

دراسات في

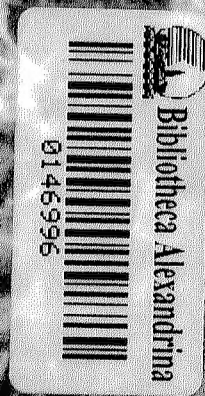
جغرافية الإنسان

البحاثة البدائية

دكتور

نصري الجوهرى

مفتي رئيس جامعة المنيا «الساينس»
رئيس قسم الجغرافيا - كلية الآداب
جامعة المنيا



مكتبة
دار الكتب والوثائق
جامعة
كلية الآداب
المنيا

دراسات في جغرافية الإنسان الجماعات البدائية

يسمى الجوهري
نائب رئيس جامعة المنيا «السابق»
رئيس قسم الجغرافيا - كلية الآداب
جامعة المنيا

١٩٩٧

الناشر
مكتبة الإسماعيل للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والتوزيع، المكتبة - أبراج مصر للتعمير رقم ١١ ٥١٧٥١٩١
الطابع، المصورة البلد - بحري - شارع ٣٨ ٥١٠٠١٧٩ إسكندرية



رقم الإيداع
بدار الكتب

الترقيم الدولي

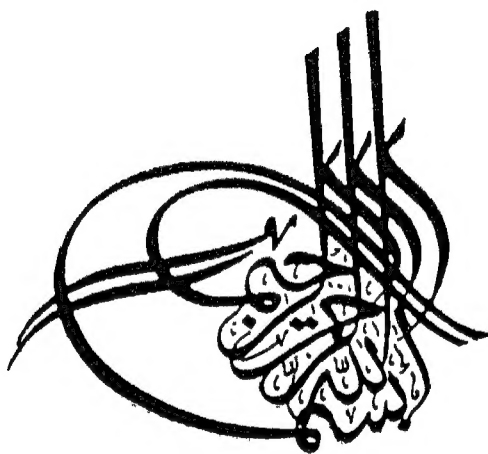
حقوق التأليف
محفوظة للمؤلف

حقوق الطبع
والنشر والتوزيع
محفوظة للناسر

الناشر

مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والتوزيع، المنتزة - أيراج مصر للتمير رقم ١٤ ٥٤٧٥٤٩١
المطابع، المسمورة البلد - بحري - شارع ٢٦٨ ٥٦٠٠٤٧٩ إسكندرية



إهداء

إلى

من كان وراء هذا العمل
اعزازاً وتقديراً

إلى

رفيقة حياتي
السيدة سحرية سليمان

يسرى الجوهري

مقدمة

يرجع اهتمامى بدراسة الانسان إلى فترة تزيد على عشرين عاماً حينما كنت أشغل وظيفة محاضر للجغرافيا التاريخية بجامعة الاسكندرية وألفت فى عام ١٩٦٥ كتاباً تحت عنوان « السلالات البشرية » حاولت فيه مخلصاً أن اسير على درب استاذى الدكتور محمد السيد غلاب وأكمل فيه ما قدمه فى تطور الجنس البشرى و « البيئة والمجتمع » . ومنذ ذلك الوقت انكببت للتعرف على جوانب الانسانية فى الانسان بالبحث عن أصوله وتتبع أماكن تواجده وانتشاره واختلاطه وأيضاً بالتعرف على معالم بيئته الإنسانية .

وفى جميع الأحوال كان رائدى الحرص على ادراك مدى التفاعل القائم بين الانسان وإنسانية من ناحية والوسط الجغرافى الذى يعيش فيه من ناحية أخرى الأمر الذى دفعنى إلى أن أصدر سلسلة من الكتب تعالج جوانب عديدة من جغرافية الإنسان ذلك إلى جانب بعض المقالات التى تناولت درس ظاهرة حضارية بعينها فى بيئة محدودة كأحياء الصفيح فى مدينة بيروت التى ظهرت فى عام ١٩٧١ .

وفى عام ١٩٧٨ قدمت للقراء ما اسميته « بالجغرافيا الاجتماعية » أوضحت فيه علاقة البيئة الاجتماعية فى تفاعل الانسان مع بيئته الجغرافية وركزت فيه على اتصال العلوم الإنسانية بعضها ببعض الآخر . وقد كان هذا العمل الأخير دافعاً قادنى إلى أن اتعرض لدراسة الجماعات البدائية فى بيئتها الجغرافية ولاصورها تحت عنوان « دراسات فى جغرافية الإنسان » لتشمل تحليلاً دقيقاً لاسلوب حياة انماط من الجماعات والقبائل والممالك والمجتمعات البدائية التى ينتمون إليها ، وهى بذلك دراسة تتجنى نحو التحليل الانثروبولوجى لعدد من الجماعات التى تتناثر فى مناطق ركنية فى العالم .

وينقسم الكتاب إلى أربعة أبواب تناول الأول منها دراسة الجماعات البدائية حيث ضرب المثل في هذا الصدد بجماعات الاندمان والياغان والاسكيمو بينما اختص الباب الثاني بتحليل انثروبولوجي للتانجوس بسبيريا وقبائل الشين التي تنتمى إلى هنود أمريكا الشمالية وقبائل الجيفارو في حوض الامزون بأمريكا الجنوبية والتاهيتيون في جزر بوليتزيا وقبائل النوير الإفريقية .

أما الباب الثالث فحتوى على دراسة الكالينجا . حيث ما زالت هذه الجماعات تمارس حياتها في بيئتها الطبيعية .

أما الباب الرابع فمجال تجواله مجتمعين قرويين أحدهما في شبة القارة الهندية والأخر في إحدى قرى المغرب العربى وقد كان اختيار هذين المجتمعين هادفاً إذ روى في أحدهما أن يكون على تخوم الحضارة العربية والأوربية والثانى في قلب حضارة الشرق الأقصى .

وقد زود الكتاب بعدد من الصور التوضيحية التى تساعد على فهم بعض ما ورد ما بين السطور بالإضافة إلى خريطة وزع عليها أماكن توطن الجماعات التى ذكرت في سياق الدرس والتحليل .

وإذ أقدم هذا العمل أرجو أن يكون لبنة في التعرف على السمات الحضارية للإنسان كل إنسان وأى إنسان .

والله ولى التوفيق ،،،

د. يسرى الجوهري

السيوف ١٩٧٩

يسعدنى أن أقدم طبعة جديدة من دراسات في جغرافية الإنسان التى يدور محورها عن الحديث على مجتمعات بشرية يمكن أن يطلق عليها مجتمعات تذكارية في اطار العالم المعاصر الذى يتجه نحو الحضارة العالمية الواحدة والتحضّر .

والله ولى التوفيق ،،،

د. يسرى الجوهري

السيوف ١٩٩٦

الباب الأول

الجماعات البدائية

- جماعات الياغان في أمريكا الجنوبية
- الاندومان
- الاسكيمو

جماعات الياغان في امريكا الجنوبية

The Yabgan of South America

جماعات الياغان في أمريكا الجنوبية

جماعات الياغان جماعات منقرضة ومن ثم فيتركز الحديث عنها والدراسة وذلك قبل أن ينقرط عقدها وتندثر .

تعتبر جماعات الياغان من أكثر الجماعات البدائية الموجودة في العالم تعاسة ، حيث كانت تقطن فيما مضى الساحل الجنوبي لجزيرة تيرا دلفويجو وبعض الجزر الصغيرة الممتدة جنوباً حتى رأس هورن في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية .

ومنطقة الياغان منطقة متطرفة من الأرض توجد حيث تنتهي السلسلة الساحلية من جبال الأنديز وتتمتع جنوباً في المحيط ، وتكون هذه المنطقة من مجموعة من الجزر والقنوات والفيوردات والرؤوس الصخرية الضاربة في البحر ومن ثم فهي منطقة تبعث على اليأس والاحباط البشرى .

فن ناحية المناخ نجد أن الرياح الشديدة والصقيع يصحبان السحب القائمة والغمام الكثيف باستمرار ، كما أن المنطقة تتعرض لاعتى العواصف المحيطية في العالم ونادراً ما تنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر المئوى غير أن المنطقة رطبة على مدار العام الأمر الذى يدعو إلى التأمل في كيفية حياة الإنسان فوق هذا الجزء من اليابس .

وعلى الرغم من أن منطقة الياغان تختلف كثيراً من ناحية المناخ عن غيرها من المناطق المجاورة ، فقد دهش الأوربيون من مدى صلابه وقوة تحمل الياغان للمناخ السائد في منطقتهم ، فهم عراة دائماً وبلا مأوى تقريباً ، اللهم الا تلك الأكواخ المصنوعة من الحشائش . كما أن المرأة الياغانية تسبح وتغطس في هذا المناخ من أجل صيد الأسماك القشرية التى تعتبر الغذاء الرئيسى للياغان ، وللمقارنة

فقد تجمد بحاران كانا مرافقا للكاتبين كرك أثناء رحلته في يناير عام ١٧٦٩ عندما كان فصل الصيف الجنوبي يسود تلك البقاع . ويقدر عدد الياغان بحوالى ٣٠٠٠ نسمة وذلك قبل أن تقضى عليهم الأمراض التى جلبها الأوربيون معهم عندما وطئت أقدامهم للقارة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ففي ذلك الوقت كان الياغان يتجولون فى جماعات صغيرة تلتشر فوق نطاق واسع يبلغ عرضه عدة أميال من الساحل ، وهذه الجماعات كانت تنكون أساساً من أسرتين أو ثلاث وان كانت فى أغلب الأحيان تتألف من أسرة واحدة .

وقد كان الياغان يطلقون على أنهم اسم « يامانا Yamana » التى تعنى زجمل أو بنى آدم غير ان اصطلاح ياغان قد اشتق أساساً من اسم مكان يقع داخل حدودهم ثم التصق بهم وأصبح من الصعب تغييره .

وجماعات الياغان ليست جماعات قبلية منظمة ، كما أن تميزهم عن غيرهم من الجيران يعتمد أساساً على اللغة بالإضافة إلى بعض الجوانب الحضارية البسيطة فلغة الياغان لغة منزلة لم تنسرب إلى أى مكان آخر ، وتعتبر جماعات الأونا Ona . أقرب الجماعات إلى الياغان وهى جماعات تعتمد أساساً على الصيد البرى وتقتن الأجزاء الداخلية من تيرا دلفويجو . أما أكبر جزر الارخبيل فهى جزيرة الكالوف إلى الشمال الغربى وتسكنها جماعات الالكالوف Alakluf ، وهى جمات تشبه الياغان إلى حد كبير فيما عدا اللغة .

والأمر جدير بالذكر ، بين الياغان أحياناً رابطة تجمعهم سرى أنهم يشعرون بمشوعة مميزة عن جيرانها ويحتلون حدوداً واضحة تتطلب دائماً الاستعداد للدفاع عنها وعن أى ياغانى يتعرض للخطر .

ولا يوجد تنظيم اجتماعى من أى نوع بين الياغان وان كانوا ينقسمون

ككل إلى خمس جماعات فرعية أساسها اختلاف لهجة كل منها كما لا يوجد نظام اجتماعى سوى الشعور العام بالقرابة بين الافراد .

وتعتمد وسائل الانتقال لدى الياغان على البحر اذ يستخدون قارب الكانو Canoe الذى أصبح سائداً لديهم لدرجة أنه يطلق عليهم هنود قارب تيرداد لتويجو وذلك على التقيض من الآونا الذين يطلق عليهم الهنود المشاه .
• The foot indians

أما عن الصفات الجنسية لليباغان فمن يختلف تماماً عنها لدى الآونا الذين يشبهون جماعات الصائدين الذين جاؤوا معظم مناطق الارجننتين واشتهروا بصفة عامة بالقامة الطويلة وصلابة العود .

ويشبهه الياغان جماعات الشونو Chono التى تعيش فى أرخبيل شيل إلى الشمال من منطقته الياغان والذين يمتازون بالقامة القصيرة ، واستناداً إلى وصف من زار هذه المنطقة فى وقت وجود الياغان وملاحظات الاوربيين عنهم فإن الياغان يبتعدون كلية عن الوسامة فوجههم عريض جداً وكبيرة بالنسبة لاجسامهم إذ يتميزون بالجذع العريض والارجل والاذرع القصيرة الرفيعة الامر الذى يضفى عليهم مظهراً قزمية .

وتغطى المناطق الساحلية التى يعيش الياغان فوقها غابات كثيفة صعبة الاختراق لهذا يقضى الياغان معظم وقتهم فوق سطح البحر . ويعتبر كلب البحر أهم حيوان الصيد لديهم اذ يعتبر المصدر الرئيسى للحم كما يستخدم جلده فى صنع الخيام وبعض القنسوات أما الحوت فيعتبر هدية ثمينة يجتمع حولها أفراد الجماعة ، ونظراً لضخامته فانه يكتفهم مدة طويلة كمصدر للحم ولامداد عدد كبير من الجماعة بالطعام ، وقد اعتادوا الا يصطادوه فى عرض المحيط لكنهم

يراقبوه حتى ينجح في الميساء الضحلة أو ينتظروا حتى تجود عليهم مياه المحيط بإحدى الحيتان الميتة .

وهناك أنواعاً عديدة من الاسماك التي تعيش في المياه المحيطة بمنطقة الياغان غير انهم لم يتوصلوا لمعرفة لفصائل البسيطة لهذه الاسماك أو استخدام وسائل الصيد المتبعة لدى غيرهم من الصائدين فالرمح هو السلاح الوحيد المستخدم وفي أغلب الاحيان يستخدمون الطعم لجذب الاسماك ثم الاسماك بها بالايدي المجردة ومن ثم فقد ينصرم اليوم دون صيد يذكر لذا كانت الحياة مستحيلة دون الاعتماد على بعض الاسماك الصدفية التي قد يكون البحث عنها هو العامل الهام وراء تنقل المجموعات الاسرية أما النباتات التي تشكل هجرها من غذاء الياغان فهي نباتات طحليه أساساً بالإضافة إلى بعض النباتات المتسلقة .

وتكثر الطيور في منطقته الياغان وهي طيور كبيرة كالاوز البري والبط البري غير أن الياغان يفتفرون إلى طريقه الصيد المثلث كالشباك فهم يستخدمون الرمح والقوس والسهم في صيد هذه الطيور .

كما يتبعون طريقه فريدة في صيدها وفي القاء الاحجار عليها لقتلها أو يتسلل الصياد للاسماك بها ليلا .

ويشبه الياغان على الرغم من صعوبة الحياة فيها الا أنها بيئته ذات وفرة بيولوجية ، أما انخفاض مستوى معيشته الياغان فيرجع في المقام الاول إلى انخفاض مستواهم الفنى (التكنولوجيا) وحضارة الياغان من أكثر الحضارات البدائية المعروفة بساطه فهم لا يعرفون الزراعة ولا استئناس الحيوان اللهم الا الكلب ومن المعروف ان هذه المعرفة ترتبط بالحياة المستقرة وتستخدم النساء المعقوفة في جمع سرطان البحر وبعض الاصداف أما أواني

التخزين فلا تعدو أن تكون أنوعاً بسيطة من السلال .

ويعيش الياغان بصورة دائمة في قواربهم — الكانو — لدرجة أنهم أنشأوا قوارب ذات مواقد تمتظ بالنار مشتعلة بصورة دائمة ومع ذلك فإن البحر لم يزل مها كالسكانو وإن كان عاصفاً في نفس الوقت ، ولم يقم الياغان بصنع القوارب التي يمكنها الأبحار في مواجهة العواصف العاتية فقواربهم عبارة عن قشرة من لحاء شجرة الزان ، وهي أكثر ضعفاً من القوارب المصنوعة من لحاء شجرة البتولا في أمريكا الشمالية ، ويتألف قارب الياغان من عدة دعائم أو فروع شجيرات وهو على شكل هلال يصل طوله إلى حوالي خمسة عشر قدماً ويمكن للمياه الانسرب إليه بسهولة ولا توجد به عوامل مساعدة على الأبحار اللهم إلا إشراع بدائي من جلد عجل البحر ، وفي عام ١٨٨٠ صنع الياغان أول قارب محفور من جذع شجرة باستخدام أدوات من الصلب وقد انتقلت صناعته بالمحاكاة على طول المنطقة المحيطة بهم .

وعند استخدام السكانو تقوم المرأة بالتجديف أما الرجل فيجلس على مقدمة السكانو ليتمكن من طعن الأسماك برمح حيث يمكن رؤيتها بسهولة من هذا المكان، وتشكل عملية إرساء القارب مشكلة بالنسبة لليغان بسبب تلك الكميات الهائلة من الحصى والحصباء التي تنتشر فوق الشواطئ والتي ينتج عن الاحتكاك بها تدمير قاع السكانو الهش إذا اقترب منها بشدة ، ومن ثم يجر السكانو برفق نحو الشاطئ ثم يقوم الرجل الواقف فوق مقدمته بمساعدة بعض المارة بسحب السكانو إلى الشاطئ برفق فيشبه اصطدامه بالقاع ثم تقوم المرأة بدفع القارب إلى حافة تملؤها أعشاب البحر الكثيفة في جزء عميق المياه حيث تقوم بارسائه ثم تعود سابعه إلى الشاطئ وعند العودة للأبحار نقرم الزوجة أيضاً باحضار القارب، والنساء أقوى على السباحة من الرجال .

ودائماً ما يتجهول الياغان رجالاً ونساءً وأطفالاً وهم عراة تماماً أما الغطاء الوحيد المستخدم لستر الجسم فهو قطعة من جلد القندس (كلب الماء) وهو من القصر بحيث لا يلتصق حول الجسم لفة كاملة فهو يستر العورة الامامية فقط وهو مربوط إلى الصدر، ولا يعرف الياغان دباعة الجلود ومن ثم الجلود الناعمة اللينة وعلى هذا الأساس فإن ملابسهم الجلدية خشنة والملبس باردة لدرجة أنهم يفضلون عدم ارتدائها عند الانهالك في عمل يتطلب حركات سريعة نشطة.

وعند السير فوق اليا بس يرتدى الياغان أحذية مصنوعة من جلد عجل البحر وهي أحذية بلا كعوب محشوة بالحشائش وعموما فهي ليست أحذية مريحة أو متينة.

ويطلى الرجل أو المرأة جسمها بالزيت أو الشحم للحصول على نوع من الوقاية والحماية من الرياح القارسة والأتربة الكاوي الذي تسببه مياه البحر المالحة.

ويستخدم الياغان وسائل بسيطة لتزيين الوجه والجسم وهي الوسائل السائدة لدى غيرهم من أصحاب الحضارات الهامشية، فالمرأة دائماً ما ترتدى غطاء مثلث الشكل مصنوع من الفراء أو من جلد بعض الطيور وذلك لتغطية عورتها أما تغطية الرأس فلا يعيرها الرجل أو المرأة أى إهتمام فلا توجد قبعات أو ما يشبهها بل يطلق شعر الرأس على شكل عقد باستثناء ما فوق الجبهة وينزع شعر الجسم باستخدام صدق نوع من المحار حيث تستخدم كملقط أو مكشط، ولا يتخذ الياغان أجسامهم من أجل الزينة كما لا يقومون بأحدث شقوق بها، إذ لا يتخذ الجسم إلا من أجل اظهار الحزن في وقت الحداد، أما الوشم فما هو الا ركن بسيط من أركان الطقوس التي تقام عند بداية سن البلوغ ومن ثم

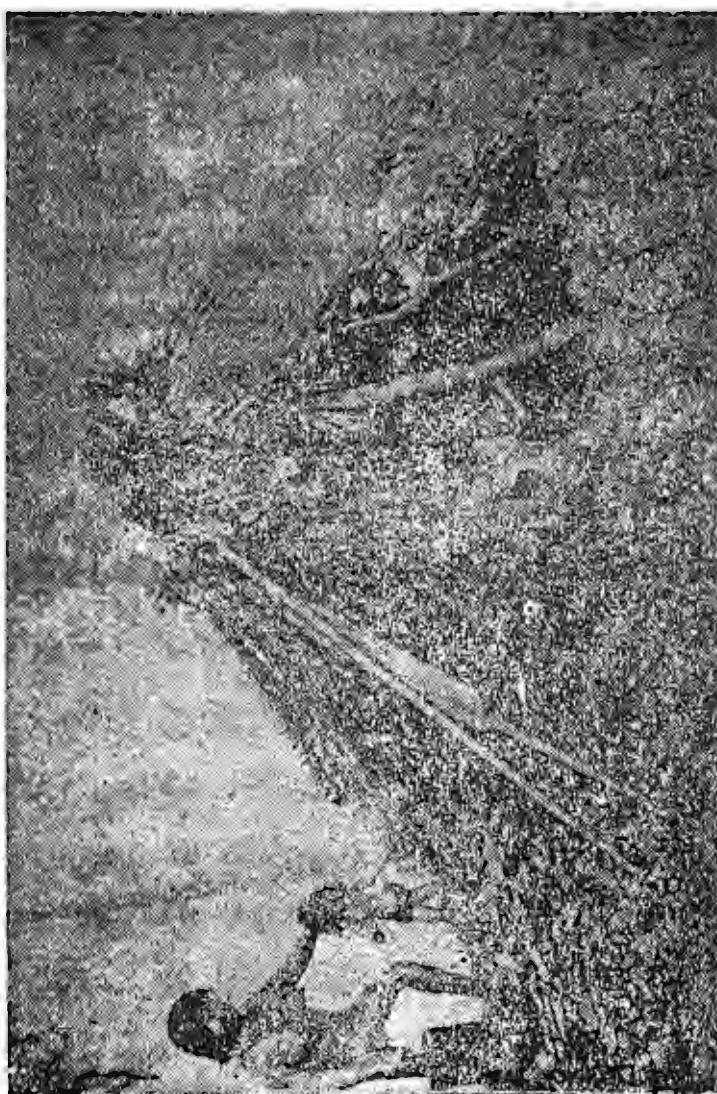
لا تنتشر بينهم طريقة تشويه الجسم المعقدة التي يعرفها الهنود الأمريكيون الآخرون مثل تشويه الرأس والأذن والشفاه أو خرق الأنف غير أنهم يعبرون بالرسوم الملونة عن أحاسيسهم برسمها على أجسامهم فالصور المرسومة باللون الأحمر (التي تصنع مادته من الرمال المحترقة) يدل على السلام أما الصور التي ترسم باللون الأبيض (من الصلصال) فتعنى الحرب ، ويخصص اللون الأسود (مصنوع من الفحم النباتي) لرسم الصور المعبرة عن الحزن أو الحداد .

وتصنع الخلاخيل أو الأساور من جلود الحيوانات أو من أوتار عضلاتها وترتديها النساء كحلية أما العقود فتصنع من الأصناف الصغيرة وبعض أجزاء من عظام أرجل الحيوانات حيث يلحمونها في أوتار عضلات هذه الحيوانات ، ولما كان استقرار اليافان فوق اليابس إستقراراً بسيطاً مؤقتاً فإن كوخهم يتسم بنفس الدرجة من البساطة وهو على غطين .

الأول : على شكل خلية نحل بسيطة ويقام بإنشاء شبكة من الأغصان ذات شكل قبائ ثم يغطى بالحشائش والسرخس واللحاء والجلود .
والثاني : ذو شكل يضاوى ، اذ ترفع الجذوع والفروع على شكل مخروط يغطى بنفس الطريقة المتبعة في النوع الأول .

ولاحكام صنع الأعشاب والجلود فان سقف الكوخ لا يسمح بتسرب الدخان الناتج عن النار المشتعلة باستمرار داخل الكوخ ومن ثم يتميز اليافان بسيوهم الدائمة والإلتهاق والإيهوار بسبب الدخان الدائمة في فصل الشتاء عندما يحكم صنع الكوخ ،

والتخصص في العمل بين اليافان يعتمد على مدى قوة تحمل كل من الجنسين فالرجال يقومون بعملية الصيد والفنص وعمل الأسلحة والقوارب أو القيام



شكل (١) نموذج لكوخ الباغان النحروطنى

بالأعمال الصعبة عموماً كبناء الأكواخ شكل (١) أما المرأة فهي مسئولة أساساً عن تربية الصغار وكافة النشاط المنزلى كالطبخ والحياكة وعمل الحثائب والسلال، وبقدر ما يعتبر الكانو مسكناً لليغان وذلك لأنهم يقضون معظم وقتهم فيه بقدر ما تقوم المرأة بمعظم عمليات التجديف وإدارة دفة الكانو وإرسائه وإعداده للإبحار مرة أخرى .

وكما في مجتمعات الصيد والجمع الأخرى فإن المرأة هي التي تقوم بعملية الجمع لأن هذا العمل يمكن القيام به بالقرب من الكوخ كما أنه لا يتطلب مشقة كبيرة وتعتبر عملية جمع الأصداف البحرية أهم عمل تقوم به المرأة .

وتتمتع المرأة اليغانية بمنزله خاصة ربما بسبب دورها الهام في الامداد بالطعام والكساء أو ربما بسبب مشاركتها للرجل في كافة نشاطاته .

فعندما يقض الرجل أثر حيوان بحري من أجل اصطياده تقوم زوجته بعملية توجيه الكانو ، وعند بناء الكوخ تساعد المرأة زوجها في إتمام عملية البناء بحيث يصبح العمل مشتركاً بينهما ، ونظراً لأن الرجل هو الذى يسيطر على الأسرة وتسكن له الكلمة الأخيرة في شئونها بالإضافة إلى مركز القيادة غير أن الملاحظات قد أثبتت العديد من الحالات التى يكون الزوج فيها خاضعاً لزوجته .

وهذه دليل آخر على أهمية المرأة وهو نظرة المجتمع إلى ظاهرة الزنا إذ يبدو أن هذه الظاهرة غير مستحبة من قبل الزوج والزوجة كما أن الغيرة ظاهرة عامة بينهم .

والبغاء (اعارة الزوج لزوجته لرجل آخر أو العكس) أو المتاجرة بشرف الزوجة أمر مرفوض وهذا دليل على أهمية المرأة في مجتمع اليغان ، ويحدث

الطلاق أحياناً لكنه غير ملاحظ بصورة عامة ومن أهم أسباب الانفصال بين الزوجين قسوة الرجل وشراسته أو إصابة المرأة بالبرود والجنس .

وتعدد الزوجات ليست ظاهرة عامة ، كذلك توجد بينهم عادة تزويج المرأة التي يحدث زوجها إلى أخو الزوج المنوفى *Levirate* فعندما تصير المرأة بلا زوج يجب أن يتزوجها أخو زوجها الذى توفى وهذا الموقف في نظر البياغان هو الاختبار الرئيسى لهذا الأخ ، وإذا تزوجت المرأة برجل آخر يكون لأخو زوجها المنوفى الحق في أولادها منه . وعما يراه الزوج لا تنعكس في ما سبق فقط . لكن تنعكسها ظاهرة الإقامة بعد الزواج فإذا تزوج الرجل فانه يصحب زوجته معه للإقامة في المنطقة التي تعيش بها أسرته مما يؤدي إلى ارتباط الزوجية بأسرة زوجها تدريجياً أكثر من ارتباط الزوج بأسرة زوجته وهناك دليل آخر وهو أن عضوية الرجل أو إشتراكه في المنطقة التي تعيش بها أسرته تورث حتى بعد وفاته كما يحدث في معظم مجتمعات الجمع والتقنص الأخرى

وعندما يصبح أطفال الرجل الذكور رجالاً لا يمكنهم الانتقال من المنطقة التي تعيش بها الأسرة أما الإناث فقط . فمن اللائى يستطعن مغادرة المنطقة (إلى منطقة أسرة الأم) .

والإتجاه نحو مجموعة محلية من الأسر المتقاربة هو الإيعاز الوحيد بتنظيم أكبر من الأسرة لكن هذا النظام غير رسمى كلية فالإرتباط بين الأسر التي تؤلفه نادر الحدوث ولكنها مترامية فوق إقليم واسع وتلتقي في فترات غير منتظمة .

وليس هناك رئيس أو أية ساطة أخرى تسود فوق الجماعة فإيجمعهم أساساً هو الشعور بالاتصال الذي يتضمن إفتراض أن الافراد يستطيعون طلب

المساعدة من بعضهم في حالة الامراك مع الغير أو لإنهاء الغير لحرمتهم أو الانتقام من مجموعة أخرى .

والوظيفة الوحيدة لهذه المجموعة المحلية هي عقد الشعائر البدائية التي تتألف منها الإحتفالات التي نادرا ما يقومون بها .

ولا توجد حرب منظمة من أى نوع ، فالشجار بين الافراد والجماعات الصغيرة تزدح عنه أضرار بسيطة نسبياً أما جرائم القتل فتتطلب الأخذ بالتأثر والانتقام من قبل أسرة القتيل .

ويبدو أن ظاهرة القتل كانت تسود بينهم في الماضي ، غير أن تقديم الإنسان كقربان غير معروف كذلك الإنتحار .

وقد كان يظن أن الياغان من آكلى لحوم البشر حتى أخذ الادميرال فيتزورى أربعة من الياغان إلى إنجلترا عام ١٨٣٩ حيث تأكد بصورة حتمية أنهم ليسوا من آكلى لحوم البشر .

وقد أنكرت أسرة بريدج التي عاشت بين الياغان لسنوات عديدة صفة أكل لحوم البشر عن الياغان وقد ثبت بعد ذلك أن الياغان لم يعرفوا هذه العادة مطلقاً .

وقبل تبادل البضائع تتم عملية تبادل الهدايا ويجب أن يستجيب متلق الهدية براد هدية مساوية أو أعلى في قيمتها من الهدية التي تلقاها ويعتبر رفض الهدية إساءة إجتماعية ربما تدل على بخل رافض الهدية .

وتتمتع عادة الكرم لدى كل من يحيط بالفرد من قومه ويعتبر هذا شيئاً طبيعياً فالقاعدة هي أن يد كل إنسان يده للآخر كما في معظم المجتمعات

البداية فالجود بين الاصدقاء والافارب ضرورى كى هو متوقع ، وليس من
النصرف السليم أن يعبر المرء عن شكره لما يتلقاه من هدايا تعبيراً شفهياً ربما
بسبب انه إذا فعل ذلك فانه قد يشير إلى عدم قبوله للهدية أو انه لن يردها
وتعتبر السرقة من الامور التى تستوجب أكبر قدر من التوبيخ وإذا سرق
أحد الغرباء شيئاً لا يوبخه الياغان على إعتبار أنه ذو درجة أقل من درجاتهم
ككثير .

وقد وافق الياغان على وجود عائلة بريدج بينهم بعد أن كابدت سلسلة من
المتاعب .

والمعلومات عن آداب المعاشرة والإنسيكيت المتبع نحو فئات خاصة من
الاقارب معلومات ناقصة ومع ذلك فان رقاب النسب بين أفراد العشيرة القاب
ثنائية أو مردوجة وهى تعتمد على مدى القرابة الاب أو الام فالحالات والاعمام
يمنحون القاباً خاصة مميزة عن تلك التى تمنح الابن أو الابنة وكل بنات الام أو
أبنائه يخاطبون بأخى أو أختى ، اما الفاظ مناداة العم أو الحالة فيرفق معها لفظ
أب أو أم ، والزواج ممنوع بين هؤلاء الافراد .

وبسبب حياة الياغان فى أسر صغيرة متباعدة فان المميزات التى تفصل بين
الوالد من ناحية وبين الاعمام والحالات من ناحية أخرى متوقعة ومثابته .

والمساواة بين أبناء العم والأخوة فى الرضاعة بصرف النظر عن المساكن
الذين يعيشون فيه انما ترجع إلى سيطرة قاعدة امتناع الزواج بينهم ، فابناء العم
يتساوون مع الأخوة فى الرضاعة من حيث السلوك الاجتماعى .

والرجل ملزم بمسئولية محددة تجاه صهره وأم زوجته إذ يساعدهما وقت
الحاجة ويعاملهما باحترام وكما فى المجتمعات البدائية الأخرى فان هذه الصلة

النسبية تعتبر هامة جدا أن لم تكن حساسة إذ يجب أن يراعى زوج الابنة عددا من النحفظات الاجتماعية فمثلا لا بد أن يستمر احترام والد الزوجة خلال حياته بأكملها كما يجب أن يكون اتصالا غير مباشر وعادة ما يكون عن طريق الزوجة ويدرك اليافعان بوضوح الفرق بين العملية الجنسية وانجاب الأطفال فالزوجات لا يحاولن عادة تحديد النسل لأنهم يحبون الأطفال ويرغبون فيهما أما بالنسبة للفتيات غير المتزوجات اللاتي يصبحن حوامل فانهن يمارسن الإجهاض ويقتلن أطفالهن بعد ولادتهم .

واستقبال الوليد يتم بمساعدة عدد من الإناث اقرباء الام ينبا يبقى الزوج خارج الكوخ وتحرق مشيمة الوليد ويجفف حبله السرى ويحفظ من أجل استخدامه في أغراض السحر . وبعد الوضع مباشرة تنهض المرأة ومعها وليدها لتأخذ حماما في البحر البارد وهذا ما يجب أن يدهش الأطباء المحدثين لأنها لم يكن لجأ أدنى تأثير لا على الأم أو على وليدها .

ولبعض الوقت يتناول كل من الاب والام طوطميا قبل الوضع وبعده خاصة إذا كان المولود ذو أولا طفل إذا تمتنع الاب عن أى عمل لأيام عديدة كما لو أنه كان يعاني من آلام الوضع وعادة ما يسمى الطفل باسم المكان الذى ولد فيه ولا تشجب عملية اعطائه الاسم أية طفوس أو شعائر لكن الاسم يجب أن يصنع بصيغة سحرية ، وتعتبر عملية مناداة أى شخص باسمه الخاص أمرا سيئاً وحتى الاسماء الشخصية للأفراد الحاضرين لا تستخدم فى المخاطبة .

ومصطلحات القراءة عند المخاطبة وجها لوجه لا تستخدم مباشرة لكن بصورة غير مباشرة وعن طريق غير ملو ونستخدم عبارات وصفية للإشارة إلى الشخص الغائب .

وإثناء الطفولة فإن كلا من الاطفال الذكور والإناث يمارسون الالعب معا لكن ليست هذه الالعب صفة جماعية لأنه نادرًا ما يتواجد عدد كبير من الاطفال في مكان واحد .

وبعد ان يصل الاطفال إلى سن السابعة أونحو ذلك لا يسمح للإناث باللعب مع الذكور ولعقاب البدني نادر الحدوث لكن كبار السن يتعضون رقتنا كبيراً في تربية الاطفال وارشادهم إلى أفضل طرق السلوك .

ويقيم العديد من الصيادين وجامعي القوت احتفالاتهم الدينية الهامة في الوقت الذي يبلغ فيه مجموعة من اطفالهم سن الحلم .

وتعتبر هذه المناسبة فرصة كبيرة للقيام بالطقوس والشعائر وينظر اليه كنوع من حفلات التخرج من نظام تعليمي غير رسمي .

ويمكن توقيت بداية سن المراهقة لدى الفتيات مع حدوث أول طمث عندئذ تصوم الفتاة ثلاثة أيام بعد ان تطلّي خديها باللون الاحمر .

ولمدة أيام عديدة تتلقى الفتاة نصائح أخلاقية من النساء الأكبر سناً ويميز انتهاء فترة الصوم والاحتفال الاستحمام الشعائري في البحر وبعده يعتبر اليوم عيداً لكل الموجودين .

ولا تتميز فترة بلوغ الذكور من المراهقة بأية شعائر من هذا النوع لكن المنبع ان يتجمع جميع البالغين حديثاً من المجموعه المحليه معا في حفل كبير ، وهذا التجمع لا يحدث في فترات محدده سلفاً فتوافر الطعام وعدد الشباب الموجود هي العوامل التي تحتم اقامه هذه المناسبه .

ويبنى اليابان كوخاً كبيراً ذو حجم ضخم للاحتفال بهذه المناسبه ، ويخصص

لكل شاب من البالغين كفيلا أو معلما ليزوده بالعديد من اساليب الحياة العملية والاخلاقية خلال أيام فترة الاحتفال (التي تمتد لعدة شهور) .

ويتعرض الشباب البالغ لعديد من وسائل الحرمان والتعذيب الجسدى إذ يسمح لهم بالحد الأدنى من النوم والطعام ويجب أن يجلسوا فقط وهم متقاطعي الأرجل أو ما يشبه القرفصاء كما يحتم عليهم الاستحمام في البحر كل ليلة ولا يشربون الماء إلا عن طريق عظمه أحد الطيور التي تستخدم كنبوب الإمتصاص .

وفي أول الإحتفال يرسم على صدور الشباب نوع من الوشم البدائى .

وابرز مراحل الاحتفال هى المجموعه التى ترقص وتغنى عادة فى آخر الليل وهذا بالطبع ربما يكون فاصلا ترفيهيا لكنه يخفى وراءه أمرا خطيرا فالأغاني ما هى الا وسيلة اتصال بالارواح الشريره وارواح الشياطين مثل روح يتايتا Yetaita التى يجب ابعادها بمثل هذه الاعازيج لتظل بمنأى عن أكواخ ليابغان .

وفي الاحتفال السابق يتم تقديم الشباب إلى المجتمع عندما يستقبلهم المشرف على الاحتفال (وهو ليس رئيس الاحتفال لكنه يشبه نظيره لدى الاروتتا فهو سيد الاحتفال) الذى من خلال مجموعه من الشعائر يجعلهم أعضاء كاملين فى المجتمع وبعد ذلك يقوم كل كفيل أو معلم بتقديم من تملئ على يديه من الشباب ومعه سله مزينه خصيصا لهذه المناسبه وعظمه للشرب وعصا مزركشه .

وهناك احتفال آخر يطلق عليه اسم كينا Kina وهو أحيانا ما يتلو الاحتفالات السابقة ويبدو أنه صوره ركيكه من احتفال الآونا المشهور بالكلوكيتين Klodeten الذى هو أساسا صياغة دراميه مسرحيه لاسطوره تعيد من جديد تاريخ الآونا الماضى التى كانت السباهه فيه للبراه ، حيث تمت للبراه

السيطره على الرجال عن طريق ارتدائهم اقنعه جعلتهن يتقمصن ارواحا شريره مما أدى إلى خوف الرجال وانزوائهم إلى مكانه أقل من مكانه المرأة ثم اكتشف الرجل خدعه المرأة وعادت له السيطرة عليها .

ويجب على الرجال الذين يقومون باحياء احتفال الكينا أن يكونوا على اطلاع كامل بسكافة تقاليد الياغان فهم يعتزلون سرا في كوخ الاحتفال ثم يلونون اجسامهم ويرتدون الاقنعه التي تمثل الارواح ثم يقلدون الارواح فيظهرون فجأه أمام النساء والأطفال ويغنون ويرقصون مهدين المرأة التي لاتطيع أوامرهم بأشد أنواع العقاب .

والشعائر الأكثر أهمية والتي تلى احتفالات بدايه سن المراهقه في أهميتها هي الاحتفالات الجنائزيه (احتفالات الدفن) والصورة العامة التي تعامل بها جثه المتوفى هي احراقها واحراق كافة ممتلكاته الشخصية ، ويعبر اقرباؤه عن حدادهم بصبغ اجسادهم باللون الأسود ثم يصومون بعد ذلك ، ويقوم أقربائه بشق صدورهم للدلالة على حزنهم العميق .

ويعتقد البياغان في مجموعه من الإلهه والارواح ، كما يخافون على وجه الخصوص من أرواح الموتى الجدد ومن ثم فانهم يهجرون المنطقة التي يموت فيها انسان منهم ولا تسود بينهم عباده الاسلاف الموتى أو الصلاة لهم بل انهم لا ينطقون اسم الشخص المتوفى مطلقا ، ولكل انسان روح صديقه تحرسه وهي التي يمكن استدعاؤها لمساعدته إذا احتاج ذلك ، ويبدو أن هناك اعتقاد في روح سامية يطلق عليها باسم « أبى » لكن لأنه لا يوجد نفوذ تبشيري بين الياغان فانه لم يستدل على حقيقة هذا الاعتقاد .

ولا يوجد بين الياغان رجال دين « قساوسة » ، أو عقيدة أو أى شكل من

أشكال الدين وأقرب الأشكال إلى رجل الدين هو الشامان ، وهو رجل طيب من ذلك النقط الذى يسود بين الهنود الأمريكين ، ويمكن لأى رجل أن يصبح شامانا إذا رأى فى نومه أنه يدعى لهذه المنه عن طريق روح صديقه تلقته أغنيته الشامان ثم يذهب إلى أن أكبر شامان على اعتبار أنه صبي تحت التدريب ومن ثم يهرضه الشامان الكبير لمسألة من الاختبارات الجسدية والألام المختلفة ثم يلقنه الشعائر السرية الخاصة بالمنه .

ويمتدح الياغان أن باستطاعة الشامان التحكم فى مظاهر الطقس والتحكم بما سوف يحدث فى المستقبل من أحداث ، غير أن الوظيفة الأساسية له هى معالجة الناس من أمراضهم فاذا اشتكى انسان ما من ألم يتم تدليك المنطقة المصابة ودهانها بالمرام لاستخلاص الأشياء الغريبة (الإل) منها ويعزى هذا الإلم بل وحتى الموت - إلى مكائد شامان عدو أو شيطان ومن ثم فانه على الشامان المعالج أن يقوم بتطبيق سحر مضاد .

والمفهوم العام لدى الياغان عن الموت هو نفسه الذى يسود بين كافة الهنود الأمريكين فهم يعتقدون أن الموت يرجع إلى وجود شامان شيطان يسرق الروح من الشخص فيسبب له المرض والسام ومن ثم الموت إذا لم تسترد الروح بواسطة شامان آخر .

واعتقاد الياغان فى نشأة الكون والإساطير التى تسود بينهم تشبه ما هو موجود لدى غيرهم من الشعوب البدائية وأن كان ينقصه العمق والتعقد .

وتسود بينهم بعض الإساطير المفسره لكيفية وجود بقع فوق سطح القمر وكيفية شروق الشمس كما توجد اساطير على شكل مواظ دينيه ومحاضرات اخلاقية يعاقب فيها الذكر ويوصم بالخزى والعار وبعض الاساطير عبارته عن

تمجيد (لبطل شعبى) وتحكى اححدى الإسطير أن وضع القواعد الإخلاقية لمجتمع الياغان قد تم على يد أخوين قاما أيضا بوضع اسماء الاشياء وقواعد الفنون والحرف .

أما اسطوره ديبا كل Depacle فتحتوى عديدا من الروايات الخاصة بطوفان عظيم نتج عن سقوط الشمس (أو القمر) فى مياه المحيط ، وعدد آخر من الإسطير يختص بنشاط الارواح المرعبه آكلة لحوم البشر وبجنس العمال الخبيثاء . ولا يشكل استخدام المخدرات جزءا من اعتقاد الياغان الدينى أو من عقيدة البعث لديهم كما لا يوجد أى شكل من أشكال المشروبات الروحية أو حتى الدخان .

أما الموضوعات الجمالية كالموسيقى والرقص فبى أقل اتقانا ، فلا توجد لديهم أدوات موسيقية تقريبا فيما عدا طبول الإيقاع وحتى الطبله والنأى البدائيين لا يسود استخدامهما .

أما الألعاب فبى غايه فى البساطه وأكثرها شيوعا هى ما يشبه المصارعه أما وسيلة التسلية الشائعه فاهى الأنوع بسيطه من السامر وحتى الفنون اللفظيه فانها لم تلق حظها من النطور فلا توجد لديهم أقوال مأثوره (امثال شعبيه) ولا شعر وحتى الكلمات التى تعد لتغنى فاهى الإلحادات أحادية النغمه أو نغمه واحده مكرره .

ويجد الياغان وقتا طويلا للتحدث فيما بينهم ، وقد قدر توماس بريدج Thomas Bridges وهو أحد الباحثين الذى قام بدراسة هذا المجتمع انهم يعملون فعلا في الوقت الذى يخصه الرجل المستحضر للعمل ، وقد ذكر أكثر من ملاحظ أن الياغان لم يعطوا أنفسهم أية فرصه للتفكير فى مستقبلهم أو حياتهم المقبله فهم يأكلون ما هو موجود بين ايديهم وإذا لم يجدوا طعاما فانهم

لا يتبرمون ، غير أن أهم ظاهره استرعت اهتمام الباحثين أن الياغان ينقسم الميل إلى الإختراع أو الاستنباط .

وكل ملامح حضاره الياغان ملامح بسيطة ، لكن السؤال المحير هو أنه على الرغم من قسوة البيئة إلا أن الياغان لم يصنعوا لأنفسهم ملابس أفضل أو مساكن أكثر متانة مما أدى إلى اعتقاد الإركيولوجى صمويل روب بوجود نقص حوى فى قدرتهم الذهنية وعلى الرغم من ذلك فإن من يعرفون الياغان كأفراد لم يلاحظوا عليهم مظاهر الغباء والدليل على ذلك أن صغار الياغان الذين رحلوا إلى إنجلترا مع الإدميرال فيتزورى عام ١٨٢٩ قد تأقلموا بسزعة مع الحضارة الإنجليزية وبنفس السرعة عادوا إلى حياتهم القديمة بعد عودتهم إلى بيئتهم الأصلية مما أدى إلى خيبة أمل الرجل الإنجليزي الذى كان يأمل فى نقل الحضارة الإنجليزية إلى تيراد فلويجو عن طريق هذه البراعم الصغيرة ومن الصعب تفسير كون الياغان راضين عن انفسهم فى نفس الوقت الذى هم فيه غير قادرين على الاختراع لكن الإنثروبولوجيون قد عرفوا أن هذا أمرا طبيعيا فلهذا المقدره غير متوقعه فى العالم البدائى خاصة مع وجود التحدى الكبير الذى تفرضه البيئة القاسية والذى ينتج عنه ذلك الاستلام الكبير من قبل الرجل البدائى مما لا ينتج عنه وجود أية طاقة خلاصة .

وقد حاول الرجل المتحضر التفكير فيما سوف يفعله إذا واجهته ضرورة الحياة فى اقليم الياغان لكن الناس الذين ينتمون إلى الحضارة لغربية يفكرون بعقلية مختلفة عنهم بمعنى أن أراؤهم تشكلها حضاره مختلفة تماما ومسئوليتهم نحو هذا النوع من المسائل مسئولية انسانية أساسا .

وهناك بعض الظواهر التى يستطيع الإنثروبولوجيون ملاحظتها للوصول إلى تفسير للحقائق السالفة منها .

أولاً : أن الحضارة القديمة البدائية التى تميل دوماً إلى البساطة تتجه إلى مرحلة ثابتة من القصور الذائقى التى يسببها شدة اندماج مكوناتها والتأقلم مع بيئتها التى لا يمكن تغييره بدون ضغط خارجى ملحوظ والأفراد فى هذه الحضارة لا يستطيعون التخلص منها بسهولة غالباً فاليابانى الذى عاد من إنجلترا لم تنوافر لديه فرصة اختيار حقيقية لكنه عاد إلى حضارته الوطنية ، ولا توجد هناك قضية سوى أن الامن الاجتماعى والاستقرار الروحى الذى يتضمن التأقلم الكلى للفرد مع حضارته الوطنية وهو أكثر ضرورة من راحته الجسدية عندما يجد الإنسان نفسه مرتدياً ملابس أكثر دفئاً .

ثانياً : أن معظم الحضارات البدائية توجد فى المناطق الأكثر هامشية وعزلة والبعيدة عن أى احتكاك بالمرأى الحضارية المنطوية بسبب المسافة الكبيرة والمواقع الجغرافية ، ويجمع اليابان - كغيره من المجتمعات البدائية الأخرى التى توجد فى المناطق الهامشية الأخرى لا يعرف عديد من الأدوات التى يشيع استخدامها بين الهنود الأمريكين وذلك ببساطة بسبب أنهم منعزلون جداً .

ثالثاً : أنهم كبقية العديد من الصيادين وجامعى القوت الآخرين ليست لديهم الأدوات الإنتاجية التى يستطيعون بها استغلال وقتهم فليس هناك أكثر من جمع الاسماك والقواقع التى يمكن أكلها وهم يأكلونها يوماً بيوم اذ أنهم لا يملكون أدوات لحفظها فاذا لم يكن السمك موجوداً أمامهم فانهم لا يتجهون لصيده .

ووسائل التخزين كالتجفيف والتعبئة التى تسود بين هنود شمال غرب أمريكا الشمالية تجعل من الممكن استغلال الوقت للحصول على أكثر ازاج ممكن ، أما السكان المستقرين فلهيهم حضارة مقعده على الرغم من ارتكازها على تكنولوجيا

الجمع والصيد فقط لكن هذه الأساليب لم تنتشر لتصل إلى جنوب أمريكا الجنوبية وقد كان لدى اليانغان فرصة كبيرة لاكتساب الخبرة التكنولوجية باحتكاكهم مع الحضارة الأوروبية بعد وصولها اليهم ، غير أن الأمراض الأوروبية (الحصبة) حمى التيفود (السعال الديكي) (الجدري) قد أهلكت الجزء الأعظم من اليانغان بمجرد احتكاكهم بالإوربيين فقد تناقص عدد اليانغان من حوالى ٣٠٠٠ نسمة عام ١٨٨١ ليصل عام ١٩٠١ إلى ١٣٠٠ نسمة فقط وفى عام ١٩٣٣ أصبح عددهم ٤٠ نسمة فقط ومنذ هذا التاريخ تناقص عددهم ثم انقرضوا نهائيا .

وقد مر مايجلان ببعض الجزر الفويجية عندما اكتشف المضيق الذى يحمل اسمه الآن، ومعنى تيرا دلفويجو ارض النار وذلك لأن ملجلان قد لاحظوه يضا دائما أثناء الليل ينبعث من معسكرات اليانغان وغيرهم من قاطنى هذه المنطقة .

والإلتفاف بالسفن حول راس هورن عملية صعبة جدا أو خطيره فقد تحطم عدد من السفن بين هذه الجزر وقام الوطنيون بنهبها ، لكن السمعة السيئة التى طبعت اليانغان فقد كانت نتيجة لجهل اليانغان وخوفهم من الإوربيين من ناحية وخوف الإوربيين منهم من ناحية أخرى ، فى أيام الإبحار الأولى كان هناك خوف مبالغ فيه من هؤلاء البدائيين .

وقد بدأت اتصالات مستمره بين الإوربيين واليانغان فى أوئل القرن الماضى مع بدا الحملات الكشفية والبحريات المشاحية التى جابت أمريكا الجنوبية، واكثر الحملات شهره حملتا فترزورى Fitzory ما بين عامى ١٨٢٦، ١٨٣٢ التى أخذت معها عند عودتها أربعة من اليانغان قضوا بانجلترا ثلاث سنوات وقد كان اصغر الاربعة اليانغان فتاه سنها تسع سنوات أطلق الإنجليز عليها اسم السلة الفويجية «Fuegia Basket» كذلك ولد يبلغ من العمر أربعة عشر عاما وقد كانا مثل تليدين وديين، وقد جذبت الفتاه

اهتمام ملك ومالكة إنجلترا. عندما أخذنا يستمعاً إليها ، أما رحلة عوده الصغار إلى وطنهم فقد تمت فوق فوق ظهر السفينة يبجل مع سير شالز دارون وقد وصلت السفينة إلى تيرا دلفويجو عام ١٨٣٢ وبقيت لعدة أسابيع جمع خلالها دارون ملاحظات هامة عن الياغان .

والحدث الذى كان مفتاح معرفتنا بالياغان هو وصول توماس بديج وأسرته عام ١٨٧١ لإنشاء محطة ارشاد فى يوشايا Ushuaia على قناه بيجل على الساحل الجنوبي لجزيرة تيررادلفويجو ، فقد انفق بروج معظم حياته للاعتناء بالياغان والكتابة عنهم وقاموسه عن اليامانا Yamana هو واحد من الدراسات الهامة التى اهتمت باللغات البدائية فمجهود هذا المبشر من المجهودات الكبيرة على الرغم من عدم استطاعته الحيلولة دون اتصال الياغان بالعدد المتزايد من الاوربيين الذين تدفقوا على المنطقة ومن ثم لم يستطيعوا مقاومة الامراض الاوربية التى أدت إلى انقراضهم نهائيا .

الاندامان الجزريون

The Andeman islanders

سكان جزر الاندمان

يقطن سكان جزر الاندمان بيئة مختلفة تماماً عن بيئة قاطنى الصحراء
الاسترالية من ناحية وبيئة اليانغان الساحلية من ناحية أخرى ، كما انهم ينتمون
إلى مجموعة جنسية مختلفة الا وهى النجريتو أو الزوج الأقزام .

وهم يمثلون بوضع بقايا سلالة قديمة كانت تقطن الغابات على مساحة أكبر
من المنباجة التى يتشرون فوقها حالياً. وبصورة عامة فان لهم اتصالاً سـلـالـياً
بنجريتو الاجزاء النائية من الفيلبين ، ونجريتو الاجزاء المرتفعة من نيوزيلندا
والمناطق الداخلية من شبه جزيرة الملايو واقليم الكونجو فى أفريقيا .

ومع ذلك فان أى اتصال تم بين الاندمان وبين هذه المجموعات انما تم فى
الماضى البعيد جداً لأن كل هذه الجماعات حالياً بما فيها الاندمان جماعات منفصلة
تماماً ، وربما يسبب الاندمان عن الشكل الأفقى والأكثر أصالة من حضارة
نجريتو الغابات ، لأن جماعات النجريتو الأخرى فى المناطق التى ذكرت تعيش
بصورة نموذجية فى نوع من الاتصال أو حتى التكامل الاقتصادى مع جيران
أكثر قوة وقد استعمار معظم ملامح حضارية عديدة وصلت إلى حد استخدام
لغة هؤلاء الجيران كلغة للتفاهم فيما بينهم .

أما الاندمان فهم على العكس من ذلك ، فإنهم منزولين تماماً كما تشكل
لغتهم فرعاً لغوياً منفصلاً ليس له أى اتصال واضح مع من العائلات اللغوية
المعروفة .

وفى الحقيقة فان الاندمان وقت أن اكتشفهم الأوربيون لم يكن لديهم علم
بوجود بشر غيرهم. كما اعتقدوا بأن الغرباء ذوى البشرة الفاتحة اللون والشمع

الاشقر والقامة الطويلة ما هم الا أزواج .

وتقع جزر الاندامان على طول الجزء الشرقى من خليج البنغال مترامية على خط طول جزر نيكوبار ليشكلا معا إحدى ولايات الهند ، وتبلغ المساحة الاحمالية لجزر الاندامان حوالى ٢٥٠٠ ميلا مربعا وتعتبر جزيرة الاندامان الكبرى أكبر جزر المجموعة إذ يبلغ طولها حوالى ١٦٠ ميلا أما عرضها فلا يتعدى ٢٠ ميلا فى أى مكان منها ، أما الجزيرة الكبيرة الوحيدة الأخرى فهى جزيرة الاندامان الصغرى التى يبلغ طولها حوالى ٢٦ ميلا وعرضها ١٦ ميلا ، أما بقية المجموعة فما هى الا جزيرات صغيرة متباعدة .

وقد كان عدد الاندامان يقدر بنحو ٥٥٠٠ نسمة وذلك قبل أن يتناقص هذا العدد بسبب الأمراض التى جلبها الأوربيون معهم .

ويسود المناخ المدارى جزر الاندامان ومن يميزاته انه مناخ دافئ رطب به اختلافات طفيفة فى درجة الحرارة والجزء الأعظم من التساقط السنوى (١٤٠ بوصة) يسقط خلال الفصل المسمى من شهر مايو حتى منتصف نوفمبر أما بقية شهور السنة فهى جافة تماما أما المجارى المائية التى تفتش فوق الجزر الكبرى فهى مجار ضئيلة قصيرة تنصرف مياهها إلى مستنقعات داخلية كبيرة .

وكانت معرفتنا بالاندامان أساسا نتيجة دراستى لرجلين هما E.H man الذى كان موظفا حكوميا بريطانيا فى هذه الجزر فيما بين ١٨٦٩ ، ١٨٨٠ وعلى الرغم من أن مان لم يعد ليكون أنثروبولوجيا إلا أنه كان ملاحظا ماهرا وجامعا شديدا للتدقيق للمادة العلمية أما الرجل الثانى فهو البرفيسور A.R.Radcliffe براون الذى كان دارسا للأنثروبولوجيا فى جامعة كمبردج والذى تناول الاندامان بالدراسة فيما بين عامى ١٩٠٦ ، ١٩٠٨ ويعتبر عمل راؤ كليف متمما ومكملا

لعمل مان غير أنه توجد إختلافات طفيفة في تفسيرهما لغالبية مظاهر حضارة الاندامان ما عدا فيما يختص بصلة القرابة ونظام المصاهرة والمصطلحات الفنية وبحلول عام ١٩٠٦ كانت الامراض الأوربية قد انتمصت عدد الوطنيين إلى حوالى ٢٧ / مما كانوا عليه في الفترة التي كان مان موجودا بينهم فيها .

وقد أثر هذا التناقض بوضوح على التنظيم المحلى للقرابة وعلى قاموس القرابة وقد سلم راد كليف براون بصعوبة تفسير هذه المظاهر ولهذا السبب فإن الكتابة الحالية تستخدم المادة العلمية التي وضعها مان على الرغم من وجود إختلافات بسيطة بينها وبين المادة العلمية التي وضعها راد كليف براون ويجب أن يفهم أن المعلومات المذكورة تشير إلى حضارة الاندامان لبدء من عام ١٩٠٨ وما قبلها .

ولا يمارس الاندامان الزراعة كما أنهم لا يمتلكون حيوانات مستأنسة فحتى الكلاب قد أحضرت إلى الجزر عام ١٨٥٨ وتوجد حيوانات الصيد والأسماك والنباتات بوفرة بالمقارنة بما هو موجود لدى قبائل الأرونوتا الاسترالية ويمتبر الخنزير البرى من أكبر مصادر حيوانات الصيد من الغابة وهو أول هدف لمن يقوم بعملية الصيد على الرغم من صيدهم لكميات كبيرة من السحالي ذات الحجم الكبير بل والفئران والأفاعى إذا وجدوها مصادفة في طريقهم .

وعلى الرغم من وجود أنواع عديدة من الطيور الا أن الصيادين لا يمتلكون شراكا ولا شباكا ونادراً ما يحاولون قذف الطيور بسهامهم وذلك بسبب كثافة الادغال .

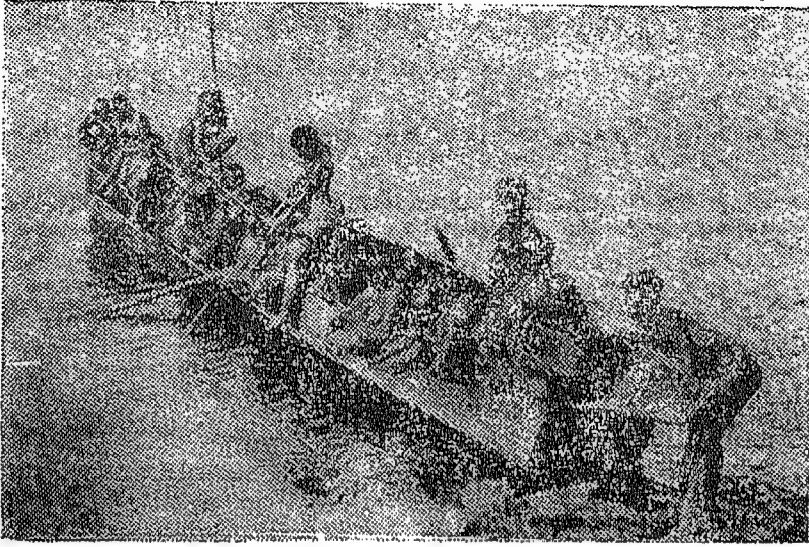
ويعيش معظم الاندامان على الساحل أو بالقرب من المجارى المائية الصغيرة وتعتبر الاحياء البحرية الوفيرة مصدراً رئيسياً للطعام بالنسبة لهم ، ومن بين

الحوانات البحرية التى يتخذونها طعاما الاطوم (حيوان بحرى ثديى) وأنواعاً عديدة من السلاحف والاسماك والسرطانات وجراد البحر والرخويات .
ويجب أن يأخذ الصيادون حذرهم أو أى عابر طريق من النحل البرى ومن النساء والاطفاله الذين يجوبون المنطقة المحيطة بمعسكرهم لجمع بعض البذور والجذور الصالحة للأكل والفواكه أيضاً .

وتستخدم الشباك والرماح القصيرة أو الحراب فى صيد الاسماك ولم يعرف الشخص (السنارة) إلا فى وقت قريب ، وكذلك تستخدم الافواس والسهام فى صيد الاسماك الكبيرة أما فى صيد الحيوانات البرية فيعتمد الاندمان كلية على القوس والسهم ، فلا تستخدم الشراك أو الرماح الطويلة ولا حتى بندقية النفع كما أنهم لا يعرفون السهام المسمومة .

أما الوسيله الوحيد التى تستخدمها النسوة أثناء الجمع فهى العصا المعقوفة التى تستخدم فى اقتلاع الجذور والمادة الخام الاساسية فى صناعة كافة الادوات هى الخشب والصنخور والاصداف لكن الاندمان قد اكتسبوا بسرعة فكرة صنع رقوس السهام والسكاكين من الحديد الذى أصبح موجوداً لديهم بوفرة نتيجة عمليه تحطيم السفن على شواطئهم الوعرة ، غير أنهم لم يتوصلوا إلى معرفة أن تسخين الحديد يجعله ليناً سهل التشكيل لذلك كان عليهم أن يطرؤوه وفيما عدا هذا الاستخدام الحديث والمؤقت للحديد فان السكاكين والمخارز والمسكاشط ورقوس السهام تصنع كلها من الاصداف .

أما قواربهم فهى من النوع المحفور شكل (٢) الذى يتم صنعه بتفريغ حزغ شجرة ويستخدمون قاربهم بمساعدة مسند خارجى عائم ليحفظ الاتقارب من الانقلاب أثناء الابحار ومن ثم فليست هناك تسييلات ميكانيكية تساعد فى عمليه النقل والانتقال .



شكل (٢) مجموعة من الاندامان فى قاربهىم المحفور

ومع ذلك فانه بسبب السخاء النسبى للبيئة فان الاندامان يميون حياة أقل بداهه من الاستراليين الاصليين ، فأكو اخهم من نوع أكثر استقرارا كما انهم يمتلكون أنواع متعددة من الأواني المنزلية فأواني لطهى الطينيه التى أحيانا ما يشبثوها باطار مصنوع من الاملود ليسهل حملها تعتبر واحده من الأدوات الخاصة بالاندامان وهو الذى لانفعله أكثر المجتمعات التى تعيش على الجمع والقنص بسبب ثقل هذه الأواني وقابليتها للكسر .

أما الدلاء الخشبية التى تستخدم فى تخزين المياه فتصنع من كتله خشبيه واحده محفوره جيدا كذلك تستخدم قطاعات من البامبو طولها حوالى ٤ أو ٥ اقدام لتخزين المياه أيضا ، ويستخدم الاندامان اصداق بعض الحيوانات البحرية كأ كواب للشرب أما الاصداق العريضه فيستخدمونها كأطباق وتقوم النساء بصنع السلال من الروتان المنسوج لتستخدم فى حمل الطعام والأدوات الخفيفه.

ويأتى الاندامان فى طليعة الجماعات البدائية من حيث الراحة أثناء النوم وذلك لأن لديهم حصر يستخدمونها للنوم وأحيانا يستخدمون وسائل خشبية وما يدعو إلى العجب أن الاندامان متأخرين فى ناحية هامة وهى أنهم لا يعرفون كيفية إشعال النار ولذلك فإن عليهم أن يبذلوا جهدا كبيرا للإبقاء على نيرانهم مشتعلة ، وحتى الأساطير العديدة التى تناول أصل النار لا تمنع وصفا ممتع ولا للطريقة التى أشعلت بها النار أول مره اذ يمزى ذلك إلى أن مخلوقات أسطورية أشعلت النار عن طريق النفخ فى جمرات متفحمة .

وقرية الاندامان عبارة عن حلقة دائرية من الكواخ المنظمة مسقوفة بالحصير مفتوحة من الجوانب وفى وسط هذه الكواخ توجد صالة للرقص وفى بعض الأحيان تتكون القرية من كوخ واحد كبير ذو شكل دائرى يبلغ قطره ستون قدما وتخصص فيه اماكن للنار من أجل طهى الطعام وحول حلقة الرقص فى منتصف هذا الكوخ توجد أماكن نوم الأسر المختلفة وفى جميع الأحوال تبنى الكواخ المتينة الصنع من أجل الاستقرار الدائم.

ويستخدم موضع القرية باستمرار فى الشهور المطيرة من العام أما خلال الفصل الجاف فعاده ما يتحرك المجتمع مرات عديدة نحو المناطق ذات الموقع المثالى للصيد أو التى توجد بها نباتات لكن المجتمع سرعان ما يعود إلى المعسكر الاصلى الدائم .

وتتكون المعسكرات المؤقتة من الكواخ فردية على شكل دائره غير أنها تبنى بلا أحكام أو اهتمام .

ويخصص كوخ لسكنى غير المتزوجين من الشباب حيث توجد إلى جواره

سلسله من المواقف على جانب أرض الرقص التى توجد فى مركز القرية وذلك ليستعملها هؤلاء الشباب فى تحضير الطعام للقرية كسكل .

وأحيانا ما تهاجر العشيره أو المجموعة المحلية - بلغة الانثروبولوجين - سالكة طرقا تقليدية متخذة القرية الأصلية كنقطة مركزية دائمة، والأرض التى يتجول فوقها الاندلمان تعتبر اقليما خاصا بهم ومن ثم فإن ما بها من مصادر طبيعية يعتبر ملكا خاصا بالقرية عامة وبالمجموعة كسكل ولكل عضو حق فيه ويجب عليهم الدفاع عنها ضد أى معتد غريب .

أما الاستثناء الوحيد الذى يسمح للنرد فيه بالملكية الخاصة فهو مطالبه الفرد بأن تكون له ملكيه إحدى الأشجار فقد يعد رجل ما شجرة تصلح فى نظره لتحويلها إلى قارب أو تصلح ثمارها كطعام عندئذ فإنها تعتبر ملكا خاصا به وهذا المفهوم عن الملكية الفردية الخاصة للأشجار يسود بصراعه فى العالم البدائى بنفس الدرجة التى يسود بها مفهوم حقوق المجتمع فى بقية الأرض .

كذلك يعتبر ما تجمع به المرأة من محاصيل ملكية فردية ، لكن حيوانات الصيد ذات الحجم الكبير أو المحاصيل الوفيرة بدرجة غير عادية من الخضروات فلا بد أن يقسمها المجتمع معها أما كافة الأدوات البسيطة كالقنارب والحلى فتعتبر ملكية خاصة بها .

وتسود بين الاندلمان - مثل غيرهم من أصحاب الحضارات البدائية - عادات تدل على الكرم مثل الملح بسخاء والاعتراض المباح للممتلكات لدرجة سياده فكرة المساواة فيما يختص بالثروة ودائما ما يتبادل الاندلمان هداياهم حتى فى أبسط المناسبات ويعتبر عدم اجابة من يطلب أى شيء انتهاكا صارخا لآداب

المعاشرة ودائما ما يتوقع رد الهدية بهدية مساوية لها أو أكبر قيمة منها، وعادة ما تصاحب اللقاءات التي تتم بين أفراد القرى المختلفة تبادل نوعيات كبيرة من الهدايا وتتضمن فكرة المساواة في القرية مفهوما اجتماعيا واقتصاديا في نفس الوقت .

ويعامل الرجال بصورة مختلفة عن معاملة النساء كما أن الأكبر سنا هو الأكثر احتراماً ولا توجد أسره تستأثر بوضع اقتصادي أو اجتماعي مميز عن غيرها من الأسر ويمكن القول بوضوح أن القرارات التي تتعلق بالمجتمع إنما هي من صنع المجتمع ككل .

ولما كان كبار السن لا يتمتعون بنفوذ كبير من نفوذ غيرهم فإنه لا يوجد بين الاندماجان سلطة عليا أو رئيس ، فليس هناك دستور حقيق للقوانين أو للعقوبة على الجرائم ، فالنمسل الذي يأذى الفرد كالإيذاء البدني والسرقة والزنا (الذي يعتبر نوعا من السرقة) فينظر اليه كمرضوع يتطلب توقيع الجزاء على من ارتكبه أما الأفعال التي تعتبر أفعالا غير اجتماعية كالسكر وعدم احترام الأكبر سنا أو الشياجر فلا تعتبر جرائم ، فالشخص الذي لا يسلك سلوكا فاضلا يعاني من نقص نسبي في التقدير . ولا توجد حكومة أو قانون ينظم العلاقات الخاصة بالمجموعة المحيطة فيما بينها وبين غيرها من المجموعات المحلية الأخرى فكل جماعة تنظم شئونها الداخلية بصورة مستقلة وتتلخص علاقاتها في الزيارات التي يقوم بها الأفراد في مناسبات واجتماعات عرضية من أجل الرقص أو تناول الطعام وربما تعتبر مجموعة محلية إذا ما تكونت من عدة مجموعات أصغر ، كما تعتبر وحده واحدة بالمقارنة بغيرها ويكون السبب الأساسي في ذلك هو ارتباطها فيما بينها بلهجة عامة أو اسم يحدد هويتها ولكن هذه الرابطة رابطة ضعيفة .

ولا تتعارض الجماعات فيما بينها من حيث تنظيم سلوكها الفردى كما أنه لا يوجد ما يمكن أن يطلق عليه حرية منظمة حقيقية بين الجماعات فاذا وقع ظلم أو اعتداء على أى انسان فلا بد من أجراء مضاد يتخذ ضد المعتدى لكن لا ينتج عنه عدااء أسرى وليس هناك دليل ولو بسيط على وجود عدااء على مستوى القرية وأسس تنظيم العلاقة بين المجموعة المحلية هى القرابة والقرابة فقط وكما فى مجتمعات الصيد والجمع الأخرى يعتبر استخدام الاندمان لمجموعه كاملة من مصطلحات القرابة عند مخاطبة اقربائهم أمرا غير عادى فالاندمان يستخدمون الاسماء الشخصية على نطاق واسع على الرغم من اضافتهم القاب تدل على الاحترام .

وهذه الألقاب الخاصة بالاحترام لا تنضم من أية قرابه أو صله محدده بين الشخصين المتحدثين ويستخدم الصغار فى مخاطبة من هم أكبر منهم سنا الفاظا تتطابق تقريبا مع لفظى « سيد » و « سيدة » المستخدمة فى مجتمعاتنا وهاتان الكلمتان تعنيان أيضا « أب » و « أم » ولكن فى حالة الأب والأم السالفين فإن اللفظين يشيران فقط إلى وضع اجتماعى عام وليس إلى أبوه أو أمومة حقيقية أما الذين تجمع رابطة الزواج فيما بينهم فيستخدمون لفظا يدل على قدر أكبر من الاحترام وهو Mam ويستخدم فى مخاطبة الأكبر سنا .

وهناك ظاهرة أكثر وضوحا بين الاندمان عن غيرهم من البدائيين وهى أن اصطلاحات القرابة التى نعتبرها دليلا على قرابة فعلية ماهى فى حقيقة إلا الفاظ تدل على احترام فقط وهى تشبه الفاظ القرابة إلى حد كبير وهكذا فإن القاب الاحترام ترتكز على تشابه مع الاوضاع الإجتماعيه التى تسود بين الأسرة وهذه المصطلحات فى صورتها الأيسر تمتد لتشمل كل الاشخاص الذى يرتبط بهم المرء

سواء أكانوا أقربائه أم من غير أقربائه وهناك فروق طفيفة بين أطفال المعسكر على الرغم من أنهم يعاملون معاملة متساوية فليس من الضروري أن تكون المرأة التي ترضع طفلا أو ترعاه أو حتى تدله هي أمه الحقيقية ولكن باستطاعة أية امرأة في القرية مداعبة ورعاية أى طفل فيها .

ولا يفطم الطفل حتى سن الثالثة أو الرابعة وإذا حدث الفطام يصبح الطفل ابنا للقرية كسكل وخلال فترة الرضاعة يكون الطفل بين والديه أما بعد ذلك فكما يقول هرمان « من النادر وجود طفل فوق السادسة أو السابعة من عمره مقبلا مع والديه الحقيقيين ، وهذا يرجع إلى أنه يعتبر من مكملات الصداقة بين الأمر وعلاقتها بالنسبة للرجل المتزوج أن يسأل ضيفه بعد قيامه بزيارته أن يأذن له بإصطحاب أحد أطفاله ليتبناه الضيف وغالبا ما يستجاب لهذا الطلب ومن لحظة السماح يعتبر منزل الضيف هو منزل ابن صديقه أو ابنة ومن ناحية أخرى يقوم والد الطفل بتبني أحد أطفال أسرة صديقه ومع ذلك فإنهم لا يقومون بزيارات متصلة لأطفالهم الحقيقيين ولكن بين الحين والآخر يطلبونه للبقاء لديهم لأيام معدودة وللرجل مطلق الحرية في تبني أى عدد من الأطفال لكن يجب عليه معاملتهم بالحسنى كما لو كانوا ابنائه الحقيقيين ومن ناحية أخرى عليهم أن يردوا له جميله بالطاعة والحب الذى يبدوه لابائهم الفعلين .

وأحيانا ما يطلب أحد أصدقاء الرجل الذى يتبنى أطفالا غير أبنائه أن يطلب منه تبني نفس الطفل الذى يتبناه على اعتبار أنه والده — وعندئذ يستجيب الرجل لذلك دون الرجوع إلى أبويه الحقيقيين والذين نادرا ما يعلمون بالتغير الذى حدث وعندئذ يقوم الأب المنبنى الأول بإبلاغ والدين الحقيقيين حتى يتمكنوا من زيارة ابنائهم في موقعهم الجديد .

وبعد سن البلوغ يترك الفتى كوخ والديه أو والديه بالتبني ليبدأ حياته في كوخ غير المتزوجين من الشباب حيث يبقى بينهم إلى أن يتزوج ولا يحدث ذلك بالنسبة للفتيات .

ويمكن رؤية الاطفال وقد تركوا معا (أحيانا مع غيرهم من أطفال قرى أخرى) ليلعبوا في مجموعات ذات سن متقارب وعندما يكبر جيل الاطفال هذا ليصير أباء أو أمهات يكون رفاقهم في اللعب في الصغر بمثابة أخوة وأخوات مما يقوى العلاقات الاجتماعية ويعكس نظام مصطلحات القرابة أو النسب هذا الوضع تماما كما يعكس نظام مصطلحات القرابة في المجتمعات الأخرى وضعا مختلفا عن حالة الاندما .

والاندما على ادراك تام بالفروق الدقيقة بين درجات القرابة وبالفاظ المستخدمة عند المخاطبة وتعكس مصطلحاتهم سيولة نظامهم الاجتماعي المحلي .
ويميز أفراد الأسرة بين الأقارب التي ترتبط بهم بصلة النسب البعيد وبين من ترتبط بهم بصلة الزواج وعلى المرء أن يكون أكثر احتراما في معاملته للذين ارتبط بهم بصلة الزواج من معاملته لأسرته كما أن علاقته بوالد زوجته وأما يجب أن تكون علاقة بعيدة عن التعقيد فلا يخاطبها بنفس القاب الاحترام التي يخاطب بها من هم في سنها بل يستخدم المصطلحات المستخدمة في مخاطبة الجيل السابق لهم وكلما كان السن أكبر كلما كان الاحترام أكبر . وهكذا يعامل والد زوجته ووالدتها كما لو كان أكبر من سنهم الحقيقي .

وعلاقة الاحترام هذه قد تكون غريبة في مجتمعاتنا الحديثة غير أنها عادية تماما في المجتمعات البدائية وتستخدم أساليب إتيكيت خاص في معاملة أفراد معينين فليس من المفروض أن تكون لرجل متزوج علاقة مباشرة بزوجة رجل

يصغره سناً إذا كان لا بد من حدوث اتصال بينهما) فلا بد أن يتم عن طريق شخص ثالث، أما إذا لمسها فإنه يعتبر قد انتهك آداب المصاهرة انتهاكاً خطيراً .

ويفسر الاندمايان ذلك بأن الرجال لديهم من الخجل والحياء ما لا يسمح لهم بفعل ذلك أما بالنسبة لزوجته من يكبره سناً فإنه يكون مألوفاً لديها أن يعاملها كأخت له . وهناك إتيكيت خاص يسود بين الأسر الصغيرة (المكوّنة من زوج وزوجه فقط) فهم يتبادلان الهدايا ويسود الخجل علاقتهما الأسرية .

ويسود العلاقة بين أى رجاين احترام متبادل فإذا اشتركا في وليمة سلاحف أو تناول لحم الخنزير فإنهما يتبادلان الهدايا من كافة الأنواع كذلك تفعل الأسر المرتبطة بعلاقة مصاهرة

ومن الأمور العادية في المجتمعات البدائية أن تكون المصاهرة الأسرية الناتجة عن الزواج ذات أهمية كبيرة وذلك لأن الزواج هو الوسيلة الرئيسية التي تنظم النعائون بين الأقارب ومع ذلك فإن ظاهرة الزواج بين سكان جزر الاندمايان - مثلاً في ذلك مثل الملامح الأخرى للنظام الاجتماعي تبدو وكأنها ظاهرة غير محددة .

فالزواج محرم بين الأقرباء المعاشرين لكن هذا المبدأ غير مطبق بإحكام ومن الواضح أن الرجل لا يستطيع الزواج بأخته أو أخوته في الرضاعة ولا بنحوالاته أو بنات أخيه أو بنات أخته أما الدليل على استطاعة الرجل الزواج ببنت عمه أو بنت خاله فغير واضح تماماً ، ومع ذلك فإنه من الأفضل للرجل عدم الزواج بأى من أقربائه من الدرجة الأولى وإذا تبنى رجل ما طفلاً كبير السن فإنه يعتبر من أقربائه الحقيقيين ومن ثم لا يمكن له الزواج من الأسرة التي تربى بين ابنائها

أما الطفل الذى يتبناه الرجل وهو فى سن صغير فيحق له عندما يكبر أن يتزوج إحدى بنات الأسرة التى تربي فيها .

وأكبر نسبة من الزواج تتم بين أفراد من مجموعات محلية مختلفة إذ أن الاتجاه نحو الزواج من خارج المجموعة لكن هذا الاتجاه لا يشكل قاعدة عامة كما أن تطبيقها يتم بغير نظام بسبب تبني أطفال القرى الأخرى .
ويكون الزواج مستقلاً بمعنى أن الزوجين بعد اتمام الزواج يستقلاً بأسرتهم بعيداً عن أسرتهما وعلى اعتبار أنه ارتباط مصاهرة فإن الرجال والنساء الأكبر سناً هم الذين يقومون بتنظيم عملية الزواج وبامكانهم أن يخطبوا لأطفالهم الصغار .

وبما يدل على اعتبار الاندماج عملية الزواج أكثر من ارتباط أسرى وأكثر من اتصال بين فئتين هي الظاهر التى يطلق عليها الاتروبولوجيون *Livorate* وهى تزويج الاخ المتوفى بالاخ الاصغر وما يعتبر اتمـ اما لهذه الظاهرة ممارسة الزواج باختين أو أكثر *Sororate* لأنه من المعهود أن يتزوج الارمل باصغر أخوات زوجته المتوفا وهذه العادة توفر أماناً اجتماعياً لكل من الارمل والارملة كما تحافظ على شخصية وطبيعة المصاهرة والترابط بين كل اسرتين .

وكما هو الحال فى العديد من المجتمعات البدائية الأخرى فإن الرجل يستطيع الزواج من فتاة أصغر منه سناً ومن ثم فكثيراً ما تبقى الزوجة على قيد الحياة فى حين يموت زوجها ومن ثم فإن ظاهرة *Livorate* أكثر وضوحاً من ظاهرة

|| Sororate ||

والزواج بين الاندماج زواج أحادى بالتأكيد أى عدم تعدد الأزواج أو الزوجات والزنا مرفوض من الرجل ومن المرأة وإذا حدث فإنه يستوجب أشد

العقاب ولا يعتبر الزواج تاماً وكاملاً بانتهاء احتفالات العرس لكن الذى يتم الزواج هو ولادة أول طفل على الرغم من ممارسة الفتيان والفتيات للعمليات الجنسية بحرية .

وقبل وضع أول مولود ولمدة شهر بعد ذلك يتبع كل من الزوج والزوجة نظاماً غذائياً معيناً به كثير من المحرمات « التابو Tahoo » .

وقبل نزول الوليد من بطن أمه يمنح اسمه الذى سوف يطلق عليه بعد نزوله ، وخلال مدة عدم تناول الاطعمة المحرمة يجب على الوالدين عدم مخاطبة بعضها باسم الوليد أو أن يقدم أى منهما الآخر إلى الآخرين باسم المولود .

ومثال ذلك أننا نسمى أحد الأطفال وهو فى بطن أمه « جون » ومنذ لحظة تسميته ولمدة بعض أسابيع بعد الولادة يخاطب والده بأبو جون ووالدته بأم جون .

ويكون المرء ماهراً مهارة سحرية إذا لم ينسى وينادى الأب أو الأم باسمه الحقيقى أو اسمها الحقيقى وإلا يخرج هذا الاسم من بين شفتيه وهذا الحرص إنما يرجع إلى خوفهم على الطفل وهذه الظاهرة التى تسمى Tekronomo تسود بين العديد من القبائل البدائية .

وعند الوضع تعتنى أكبر أم فى القرية بالأم التى فى حالة الوضع التى تجلس فى كوخها على سجادة من الأوراق حديثة القطف متكأة على كرسى خشبى ذو أكواع مثبتة تستند عليها ذراعيها وتقوم إحدى النساء المساعدة للولادة بمساعدة الأم على الوضع بالضغط الشديد على الجزء العلوى من بطن الأم .

وبعد الولادة يقطع الحبل السرى ويحرق « الخلاص » فى الدغل القريب ثم

يعطى الطفل بعد ذلك حماماً عتب نزع ما عليه من شعر بإحدى الصدفات .

ويعتقد الاندنامان أنه إذا مات طفل في بداية حياته فإن الطفل الذى يليه سوف يكون تجسيداً له ومن ثم يعطى نفس الاسم وهذا الاعتقاد فى الشناخ يكون فقط فى حالة الأطفال الموتي كما يعتقد الاندنامان أن أرواح الأطفال الذين لم يولدوا بعد تسكن إحدى الأشجار فإذا مات طفل قبل فصامه تعود روحه مرة أخرى إلى الشجرة التى أتت منها ومن ثم لا تقطع هذه الشجرة أو تمس بأذى .

والطفولة هى إحدى الحلقات الثلاث من عمر الإنسان . وهى تستمر حتى فترة المراهقة . أما المرحلة التالية فتتمد من فترة المراهقة حتى الزواج والمرحلة الثالثة منذ أن يتزوج القى حتى يموت .

وتتميز بدايات هذه المراحل الثلاث - كما هو الحال لدى العديد من القبائل البدائية الأخرى بعد احتفالات معقدة ، يطلق عليها الانثروبولوجيون احتفالات الحياة أو حتموق المرور وتقام هذه الاحتفالات وما يصاحبها من طقوس عند الميلاد . والبلوغ (ويطلق عليها احتفالات البداية) وكذلك عند الزواج والوفاة.

وخلال فترة الطفولة يعرض الطفل إلى عمليات تشريط الجلد التى تستخدم فيها قطعة صغيرة من الكوارتز لعمل الخزوز الصغيرة وتتم عملية التشريط على مراحل حتى يصل الطفل إلى سن المراهقة وعندئذ يكون جسمه كله قد تغطى بالشقوق ويعمل الاندنامان هذه العملية بأنها تزيد الطفل قوة كما تكسبه مظهراً حسناً .

بالنسبة للفتيات فإن فترة الطفولة تنتهى مع حدوث أول حيض وعند ذلك تنزل الفتاة وحدها فى كوخ لمدة ثلاثة أيام ولا تخرج منه مطلقاً إلا مرة واحدة

كل صباح للاستحمام في البحر أو النهر وعلى الفتاة ان تزين بباقات من أوراق الشجر كما يجب عليها أن تجلس طاوية ذراعيها وساقها موضعتان تحتها ، ولا يسمح لها بالكلام أو النوم خلال الأربعة والعشرين ساعة الأولى وربما لا يسمح لها بالاقتراب من الطعام أو لمسه بأصابعها خلال الايام الثلاثة بأكملها ولمدة شهر كامل بعد هذه الايام الثلاثة يجب على الفتاة أن تستحم يومياً عند الفجر كذلك يستبعد إسمها الذي كانت تنادى به خلال فترة طفولتها وبعد فترة العزلة هذه يطلق على الفتاة إسم الزهرة أو الشجرة التي تكون في فصل تفتحها أو أزهارها ثم تحتفظ به حتى يتم زواجها .

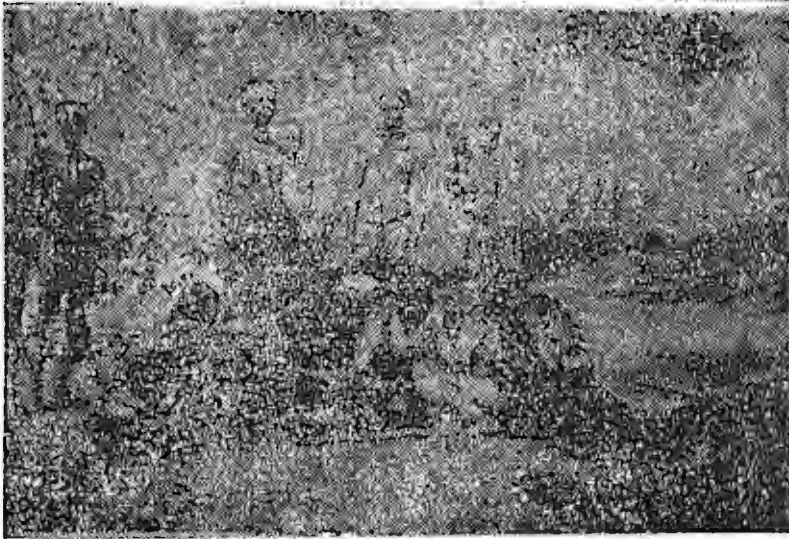
وعند ما يتقرر أن أحد الفتية قد بلغ سن الرشد يقام حفل راقص يستمر طوال الليل على شرف هذا الحدث الذي بعده يكون هذا الفتى مستعداً لتشقيق ظهره تشريطاً يتم عملية تشريط جسمه بأكمله ثم بعد ذلك بعدة أيام يتم تشقيق صدره ولا يستخدم إسم الفتى لمدة أسابيع عديدة ولكن بعد انتهاء عملية التشريط ينادى الفتى بإسمه الحقيقي وبعد الاحتفال بسن البلوغ يخضع الفتى إلى نظام غذائي يستمر لبعض الوقت وغالباً ما يستمر لمدة عام كامل وخلال هذا العام يسمح له بفترات قصيرة من الراحة على ألا يتناول خلالها أى نوع من أنواع الاطعمة المعينة وعند نهاية فترة امتناع عن طعام معين يشترك الشباب في احتفال كبير. وأكثر هذه الاحتفالات تعقيداً هي تلك التي تحدث عتب مدة الامتناع عن أكل لحم السلاحف أو أكل لحم الخنزير .

وهذه الاحتفالات أكثر تعقيداً من تلك التي تقام للاحتفال بوصول أول حيض للفتاة لكنها تركز على مفاهيم متشابهة مثل قوة الاحتمال والمحرمات الموحدة وبعد الانتهاء من احتفال أكل لحم السلاحف يمنح الفتى اسماً جديداً .

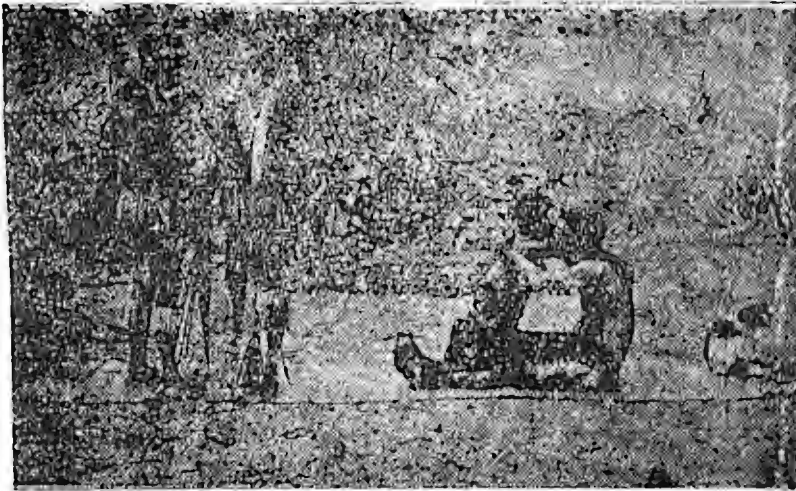
وتتنوع الاحتفالات التي تقام بمناسبة الزواج ، ففي شمال جزر الاندمان حيث استقى راد كليف براون معظم معلوماته يعتقد الاحتفال في مساء يختاره والد العريس ونجل الفتاة على حصير يحيط بها قريباتها وصديقاتها في نهاية لأحدى حلقات الرقص التي تضيئها المشاعل أما العريس وأسرته فيجلسون مع أصدقائه عند الناحية المقابلة من حلقة الرقص ثم يقف رجل كبير تبدو عليه مظاهر الاحترام ليشرح للفتاة وهو بعيد عنها ما يجب أن تفعله حتى تصبح زوجة صالحة ثم يتجه نحو العريس موجهاً له حديثاً مشابهاً ثم يأخذ بيده ويذهب به نحو عروسه وهنا يبدأ الاصدقاء والاقارب والاقارب في البكاء بصوت عال بينما يجلس العريس وعروسه وكأنهما غير مدركين لما يحدث حولهما إلى أن ينهض رجل آخر - غالباً ما يكون أقدم الرجال سناً - ثم يأخذ ذراعى العريس ويجعلهما يلتفان حول رقبة عروسه فيما يشبه الممانعة ثم يجعل العروس تفعل نفس الشيء وبعد ذلك يجعل العريس في وضع جلوس على ركبتى عروسه على اعتقاد أن ذلك يجعل كل منهما يحب الآخر ، ويجلس الرجل على ساقى زوجته لعدة أسابيع وتم عملية الجلوس بالتبادل وفي نهاية المدة يقوم أى صديقين أو قريبين ولو حتى من نفس الجنس بتنخيه كل من العريس والعروس عن بعضهما وذلك بالإلتحاح بشدة، ويبدو أن هذا العويل هو أفضل وسيلة للتعبير عن العاطفة إذ أنه يمكنهم استدراهم بسهولة وقد سال راد كليف براون بعض الوطنيين ذات مرة عن كيفية بكائهم بهذه السهولة وعرف الإجابة عند ما بكوا أمامة قبل أن ينتهى من القاء سؤاله .

(شكل ٣ ، ٤)

وبعد انتهاء احتفالات الزواج يقيم الاصدقاء حفلاً راقصاً شكل (٥) ثم يتسلل العروسان نحو كوخهما ومعهما هدايا الزواج ويتولى اصدقاءهما تزويدهما بالطعام الوفير لعدة ايام متتالية ولا يخاطب احدهما الآخر باسمه الفعلى ولكن باستخدام

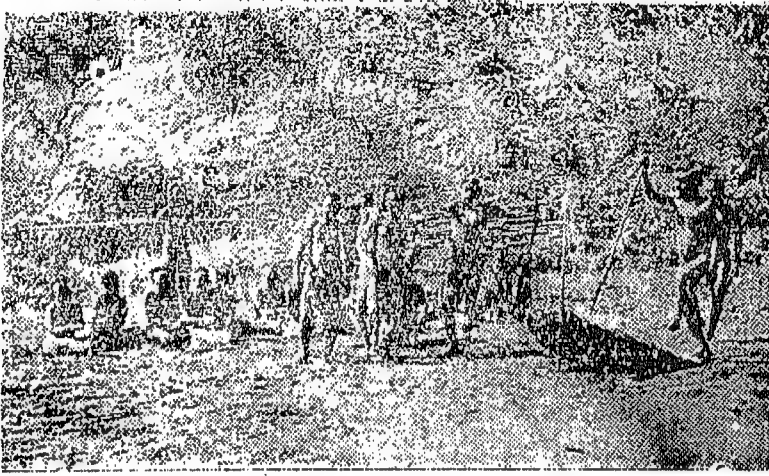


شكل (٣) الاحتفال بالزواج عند الاندامان



شكل (٤) سلوك اللقواء والمقابلة لدى الاندامان

— ٤٧ —



شكل (c) الرقص لدى الاندومان

اسمه هو بطريق غير مباشر كان تقول الزوجه يازوج فلانه (تقصد نفسها)
ويقول الزوج يازوجة فلان (ويقصد نفسه) وعندما يكون اول مولود على
وشك المجيء يختار له اسم وينادى كل منها الاخر باسم الطفل الاثني .

وتعد الاحفالات المصاحبة للوفاه وما يصاحبها من طقوس وعادات خاصة
بالدفن من اطول الاحتمالات دواما واكثرها تعقيدا ، فبعد انتشار نيا الوفاه
خلال القرية تأتى كل نساءها للاجلوس حول جثته المتوفى وتظل النساء فى حالة بكاء
وعويل حتى يصيبهن الانهيار ثم ينسحبن لياتى الرجال الذين يبدأون فى البكاء
فى حين يبدأ الشباب منهم فى دهن اجسادهم بطبقه من الصلصال كذلك تزين
الجثه باربطه من الصلصال الابيض ، بينها اشراطه ذات لون احمر ثم يحلق شعر
المتوفى وبعد ذلك تلف الجثه فى حصير وتربط جيدا باربطه من القصب وبعد ذلك
يبدأ اقرباء الميت فى وداعه الاخير وذلك عن طريق نفخ زفيرهم فى وجه المتوفى
ثم يقوم كل رجال القرية بالصطحاب الجثه الى البقعة التى ستحرق فيها وهى اما
حفره عمقها ما بين ٣ ، ٤ اقدام او فوق منصه من الاشجار .

وتوجه رأس الميت نحو الشرق لتواجه الشمس ثم يقوم اقرباء المتوفى
بوضع بعض الريش وأوراق شجره جوز الهند عند مدخل القريه ليعلم من
يدخلها ان مدة الحداد لاتزال مستمره ثم يترك المعسكر مهجورا خلال هذه
الفترة ، أما الاقارب المباشرين فيظلون فى حدادهم لعدة شهور واضعين عصابة
من الصلصال فوق جباههم .

وفى هذه الفترة توجد محرمات عديدة يجب الإمتناع عنها فلا يوجد رقص
أو تناول أطعمة محددة كما لا ينطق اسم المتوفى خلال فترة الحداد ولا حتى
اسم اقرباؤه .

وبمرور الوقت تنقضى فترة الحداد ، ويتحلل لحم الجثة وينفصل عن العظام
وعما يعتبر نهاية فترة الحداد ذهاب أقرباء الميت إلى الحضرة أو المنصة التي أحرقت
جثته فوقها وإحضار عظامه من فوقها ثم غسلها جيدا ثم يحملونها معهم إلى القرية
حيث سيكون عليها هم ونساء القرية وعند هذه اللحظة تنتهى فترة الحداد تماما
ويتحرر كل من قضى الحداد من الممنوعات التي كانت سائدة أبانها في حفل راقص
يعقد في المساء وفي هذا الحفل تتم إزالة الصلصال الأبيض من على جباههم ثم
يزينون أنفسهم بالألوان الحمراء ويستمر الرقص طوال الليل كأي احتفال آخر .
وتحفظ عظام الميت لسنوات طويلة وتزين الجمجمة والفكين بنطاقات حمراء
وببضء متصلة فيما يشبه العقد .

وفي هذه المناسبات الرسمية يجب على زوج أو أارب المنوفى المباشرين لارتداء
هذه العظام بتعليقها حول رقابهم من الأمام أو من الخلف أما عظام الاطراف
فعادة ما تحفظ فوق سطح الكوخ أما العظام الصغيرة فتتظم في شريط يرتديه
أقارب الميت من الإناث من أجل الوقاية من الأمراض .

ويبدو أنه يسود بين الاندامان مشاعر مختلفة تجاه أرواح الموتى فإحيانا ما
يكون هناك شعور بالحب والود نحو روح معينة وأحيانا ما يكون هذا الشعور
هو الخوف أو الرعب كما أنه هناك أوقات تستدعى فيها الأرواح للمساعدة ،
وأحيانا ما تكون هذه الأرواح مبالاة لايناء سكان القرية وتستمد هذه الأرواح
إرادتها وقوتها على عمل الشر أو الخير من قوة رجل الطب الشامان .

والشامان هو النمط الوحيد من التخصص الدينى بين الاندامان وهو يتميز
عن غيره من الرجال باستطاعته الاتصال بعالم الأرواح ومن ثم فهو ذو قوة
عظمى طبية .

ويستطيع الرجل من الاندaman أن يصير شامانا إذا مات ثم يعود مرة أخرى إلى الحياة محتفظاً بخصائص الروح التي كان يتقمصها تقمصاً مؤقتاً .

وفي اعتقاد الاندaman أيضاً أن الإنسان إذا سار وحيداً في الأدغال يكون معرضاً لأنه تحتفظه الأرواح فإذا أظهر شجائته أمامها تركته سالماً وبذلك يصبح شامانا .

أما في الحالة الثالثة التي يصبح فيها الرجل شامانا هي أن يكون وشيك الموت ثم يفيق ، وعموماً فإن الأحلام لدى الاندaman ما هي إلا مجموعة من الخبرات والاتصالات الخاصة بالأرواح كما يسود بين معظم البدائيين .

ويرجع اعتقاد الاندaman بظورة النوم وعدم أهميته إلى أنهم يحرمون النوم على أفراد المجتمع عندما يمارسون احتفالات بدايات المراحل العمرية الثلاثة السابقة .

وترجع أهمية الشامان بين الاندaman إلى إعتقادهم في مقدرته على إحداث الأمراض وأبعادها أو النسب في حدوث العواصف ومن ثم يصير هو القادر على الشفاء من الأمراض والمتحكم في مظاهر الطقس والمستطيع إحداث الأمراض والطقس العاصف أيضاً لابعاد أعداء القرية وكما في مفهوم العالم البدائي تكون نموده الشامان أما خيره أو شريره .

وفي اعتقاد الاندaman فإن الأرواح تسكن في الغابة أو البحر أو السماء وجميع الأرواح هي أرواح موتى سابقين وبعضها أرواح أجداد أسطوريين كانوا أكثر شهرة وأقدم تاريخاً من غيرهم ، وهذه الأرواح الكبيرة كما يدعونها هي التي شكلتها أساطير وقصص الماضي القديم عندما خلقت مظاهر الطبيعة لأول مرة .

ويطلق على عديد من هذه الارواح أسماء طوطمية بمعنى أنها تحمل اسم نبات أو حيوان وفي حالات خاصة تكون هذه الارواح مسئولة عن خلق النبات والحيوان وأشهر أساطير الاندلمان تتناول أصل مجتمع الاندلمان لانهم لم يكن لديهم علم بوجود بشر غيرهم حتى وقت قريب ولا يوجد دين لدى الاندلمان ولا آله معبود على الرغم من أن بعض الاساطير تؤكد وجود روح قديمة « بيليكو » أو « بولوجا » Biliko • puluga يعتقد الاندلمان أن لها أكبر قوة على الطقس عن غيرها من الارواح .

وكما يسود بين المجتمعات البدائية الاخرى فان مفهوم ما فوق الطبيعية يتخلل كافة النشاطات لدرجة أن يكون من الصعب النفقة بين النشاط الدينى وغيره من الانشطة كالموسيقى أو الرقص أو حتى اللعب ، فالقصص التى تروى من أجل لتسلية البهجة تكون فى نفس الوقت أساطير أرواح الاسلاف ، والمسرح الذى يرتبط بالقتاء والرقص يمكن أن يتحول إلى وسيلة ارتباط بين الافراد والقوى فوق الطبيعية .

وعموماً فليس هناك دليل على أن نشاط معين هو نشاط دينى صرف .

وليس هناك أما كن خاصه للتعبد كالكنيسة مثلاً ، كما لا يوجد رجال دين محدين كالفساوسة وحتى الشامان فان نشاطهم يرتبط بالممارسة العملية وليس بالناحية المنة تدييه ، كما لا توجد لديهم أيام خاصة « كيوم الأحد مثلاً » التى تميز الحياة الدينية عن الحياة الدنيوية .

والرقص هو الاسلوب السائد بين الاندلمان للتسلية والاحتفال ، فالزواج تتفل به باقامة الحفلات الراقصة ، حيث تكون فرصة يستطيع أى انسان أن يتمتع بها كما أن فترة الحداد على الميت يصاحبها حفل راقص يشارك فيه كل القائمين

بالحداد ، وحتى في الحالات التي يسود فيها قتال في مقام حفل راقص قبل القتال كما يستعمل أسلوب الرقص ليلا بدون أى سبب ما عدا من أجل النسلية والمرح ، والرقص التي تمارسه أى قبيله من قبائل الاندامان هو نفسه تقريبا الذي يمارس في كل مناسبة وغالبا ما يقام الرقص في منطقة مفتوحة في منتصف القرية تقريبا حيث يوجد قالب خشبي يشبه الدرع لاحداث أصوات تشبه أصوات الطبله والرجل الذي يدق عليها بقدمه هو نفس الرجل الذي يقوم بالغناء . وحول هذا الرجل تجلس مجموعة من النساء في صف واحد فيما يشبه الكورس وأرجلهم ممدّه أمامهن وفي غالبية حفلات الرقص لا تشارك المرأة في الرقص باستثناء حفلات نهاية فترة الحداد . وتتألف الموسيقى من أغنية نثرية واحدة يغنيها رجل هو في نفس الوقت الذي يقرع لوحة الصوت ويغني الكورس مع الرجل أما صف النساء يساعده فيحدث ضربات ايقاع بالتصفيق باستخدام ضربات اليد على التجهيف الذي تسميه أفخاذهن المطويه ويبدأ الراقصون في الرقص مع بداية غناء الكورس حيث يقفزون مع الايقاع على قدم واحدة حتى ينهالهم التعب فيقفزون على الاخرى وليس هناك أية محاولة من قبل الراقصين لعمل تنظيم معين أثناء الرقص باستثناء توحيد خطواتهم ، وأغنياتهم وطبله الصوت فقط هي وسيلة الموسيقى لدى الاندامان وغالبا ما يصاحبها الرقص وكلمات الاغنية ليست موضوعا مسبقا فكل معنى عند غنائه يؤلف كلمات أغنيته وهناك اختلافات في حدود ضيقة لان موسيقى الاندامان وأغنياتهم قديمة تقليدية مثل عاداتهم الاخرى ،

وينعكس ثبات حضارة الاندامان وقدمها في فلسفتهم أو نظريتهم عن العالم فلا يبدون حب استطلاع أو حتى اهتمام بسيط بظواهر الطبيعة وما إلى ذلك

فمفهومهم عن مظاهر الطبيعة أو عن نظامهم الاجتماعي أنها قد انبعث ذات مره من أصل واحد كما أنها قد انتظمت فى مجموعة واحدة تستمر فيها إلى الابد .

أما فكرة النخير فى غائية كلية ويرى الاندلمان نفسه جزءا من عالم منظم لكنه عالم لا ينظمه قانون السبب والنتيجة فقوانين الطبيعة تشبه القوانين الاخلاقية فبعض الافعال « صواب » وبعضها الاخر « خطأ » والافعال الخاطئة يتسبب عنها أذى أما الافعال الصحيحة فتنتج عنها أعمال ناجحة أو على الاقل غير مؤذية .

والصواب أو الخطأ يعنيان الافعال التى تنظم أولا تنظم مع الطبيعة ومن هذا المنظور يرى الاندلمان القواعد الاجتماعية وأساليب المعاشرة وظاهرات الطبيعة أيضا فالعاده الاجتماعية والقانون الطبيعى متشابهان تماما غير أنه من الصعب على الاندلمان ايجاد وسائل ذهنية لعمل التعديلات التى خلقتها النخير العظيم الذى سببه الرجمد المعاصر وتكنولوجيا الحديثة .

ولقد سمع ماركوبولو عن جزر الاندلمان لكن تعليقاته عليهم كانت تعليقات غامضة بما يدل على أنه قد اعتمد فى كتابته عنهم على الرويات الشائعة ، لكن المصدر الاصلى الذى أخذت عنه المعلومات التى استقاها ماركوبولو هو كتابات رحالين عربيين زارا المنطقة عام ٨٧١ ميلاديه وقد وصفا الوطنيين بأنهم خطرين جدا ومتوحشين وآكلى لحوم البشر وقد ترك الربان فردريك وصفا متشابها للاندلمان فى رحلته التى قام بها عام ١٥٦٦ . فقد كتب فردريك أنه تمتد من جزر نيكوبار إلى جزر ييجو توجو سلسلة عدد من الجزر غير المروفة تسكنها جماعات متوحشة يطلق عليها أندلمان ويطلق على سكانها القسا أو المتوحشين لانهم يأكلون بعضهم أيضا وهذه الجزر فى حروب شديدة فيما بينها لان لديهم

قوارب صغيرة تستخدم في الاغارة على بعضهم البعض ثم أسر من يقع في أيديهم من أعدائهم وأكل لحمة ، كما أن أى سفينة تفقد بين هذه الجزر لا ينجوا من رجالها أحد حيث يذبحونهم ويأكلونهم .

لكن الاندلمان ليسوا من أكلى لحوم البشر وربما الصق بهم الرحالة هذه الصفة حتى تثير رواياتهم من يقرؤها بادعائهم أنهم قابلوا بعض أكلى لحوم البشر وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ذهبت عدة رحلات إلى هذه الجزر ولكن كان معظمها رحلات عرضيه وأحيانا من أجل أسر بعض الوطنيين لبيعهم كرقيق .

وهو هدف لم يكن يؤدي إلى علاقة صداقة بين الرحالة والوطنيين .
وقد أقيمت أول مستوطنة دائمة فوق جزر الاندلمان عام ١٧٨٩ عندما أرسلت شركة الهند الشرقية البريطانية تحت قيادة لورد كورنول مجموعة من المستعمرين إلى الميناء الذى يعرف حاليا باسم بورت بليز ثم بعد ذلك نقلوا إلى ميناء كورنول بسبب تدهور حالتهم الصحية في الموضع الأول .

وفي عام ١٧٩٦ أخلت المستعمرة ومن يومها لم يطأ الجزر قدم أوروبى خلال الستين عاما التالية فيما عدا تحطم بعض السفن الأوربية بين هذه الجزر وفي عام ١٨٥٨ أقيمت مستوطنة لعقاب المجرمين في نفس الموقع الاول وقد استمرت بعد ذلك وقد قاوم الوطنيون هذه المستعمرة فى البداية وقاوا بعدة هجمات عليها وليس لدينا أية معلومات عن القسوة التى ربما تعرضوا لها .

وقد أقيمت مؤسسة تدعى بيوت الاندلمان لامدادهم بالمساعدات الطبية والواتب وأخيراً سادت العلاقات الودية بين الاندلمان والاوربيين باستثناء قبيلة فى مكان متطرف من الجزر .

وقد قامت الحكومة الهندية فى الوقت الحاضر ببعض الاعمال من أجل ادماج
النجريتو فى الامة الهندية لكن الجزر بعيدة جدا عن المناطق السياسية
والاقتصادية الحديثة لدرجة أنه من المحتمل أن ينقرض الاندماان قبل حدوث
هذا الاندماج .

وقد كان لاحتكاك الوطنيين بالاوربيين تأثيرا مدسرا بسبب افتقار الاندماان
للمناعة ضد الامراض الاوربية فقد استمر الزهرى يفتك بهم حتى ١٨٧٠ ويد
أدت الحصبة والانفلونزا إلى خلو الجزر من سكانها مما أدى إلى تفوق معدل
المواليد على معدل الوفيات وهذا يدل على أن الاندماان فى طريقهم إلى الإنقراض .

جماعات الاسكيهو

The Canadian Eskimo

جماعات الإسكيمو

يكون الإسكيمو جماعة متميزة سلايا ولغويا وحضاريا في المنطقة القطبية التي تمتد من شرق جرينلاند وعبر شمال كندا والاسكا إلى سيبيريا وينتمى الإسكيمو من الناحية الجنسية إلى المجموعة المغولية حيث يرتبطون سلايا بالهنود الأمريكيين رغم أن بعض صفاتهم الخاصة جماعات بعض الانثروبولوجيين يفردون لها سلالة منفصلة عن الهنود الأمريكيين . ويتميز الإسكيمو بصفة عامة بالقامة القصيرة إذ يتراوح متوسط طول الرجال بينهم ما بين خمسة وست بوصات في حين يقل طول المرأة عن ذلك . وتتنصف وجوههم بأنها عريضة مفلطحة مع بروز عظام الوجنات وذلك إلى جانب طية العين المغولية والشعر الأسود الخشن ولون البشرة البني الفاتح وغيرها من الصفات التي تلتصق بالمجموعة المغولية.

وتتنمى جميع لهجات الإسكيمو التي تنتشر عبر ٣٠٠٠ ميل إلى أرومة لغوية واحدة غير أن هذه اللهجات تختلف اختلافا طفيفا فيما بينها وعلى أي حال تكاد تكون لغة الإسكيمو منعزلة تماما بحيث لم يحدث أي تسربات لغوية إليها .

ويبدو أن توافق الطابع الجنسي واللغوي والحضاري للجماعات الإسكيمو يشير إلى أنهم قد تحركوا إلى موطنهم الحالي في فترة أحدث من تلك الفترة التي وصل فيها الهنود الأمريكيين إلى العالم الجديد . وحتى الآن لم يتمكن الأركولوجيون من تجديد بدقة المكان الذي وفد معه الإسكيمو أو الوقت الذي جاءوا فيه . فأقدم المواقع الأثرية للإسكيمو في رأس دبنيف Cape Denbigh بالاسكا تشير إلى أن عمر طلائع الإسكيمو يعود إلى ٤٠٠٠ عام ، بينما تواريخ تواجدهم في المناطق الشرقية والوسطى فأحدث من ذلك حيث يبدو نمط مبكر لحضارة الإسكيمو يطلق عليه الأركولوجيون اسم دورست Dorset يعود إلى حوالي ٢٠٠٠ عام

وهو سابق لحضارة الاسكيمو الحالية والتي توجد في هذه المنطقة. وهناك حضارة أحدث من ذلك توجد في تول ويرجع تاريخها إلى ١٠٠٠م وتوجد على السواحل القطبية في كندا. ويتبين الأدلة الأثرية أن هناك موجتين متتابعتين من الاسكيمو انتشرت صوب الشرق من الاسكا إلى جريندلند وأن هذه الموجات ربما حملت كثيرا من حضارة آسيا.

وجماعات الاسكيمو جماعات صائدة ولكن إذا ما قورنوا بالجماعات الصائدة الأخرى يظهر أن حضارتهم أكثر تطورا حيث تمكنوا تكنولوجيا من ملازمة حياتهم في بيئة يتصف مناخها بالقسوة ويعيش بها في كل مكان الإنسان البدائي. وتأثير العروض القطبية يترك بصماته الواضحة على طبيعة البيئة الجغرافية إذ تقع معظم محلات الاسكيمو بين خطي عرض ٦٠° - ٧٠° شمالا حيث يوجد اختلافان جديا بين فصلي الصيف والشتاء. ففي فصل الشتاء لا يرى بعض الاسكيمو الشمس لعدة أسابيع اللهم إلا على هيئة وميض بسيط من الضوء. بينما في فصل الصيف فهؤلاء الذين يعيشون في المنطقة الممتدة عن خط عرض ٦٥° شمالا يمكنهم رؤية الشمس طوال النهار والليل، وبطبيعة الحال تختلف درجة الحرارة كثيرا على مدار السنة ففي فصل الشتاء الذي يستغرق حوالي ٩ شهور من السنة تنخفض درجة الحرارة دائما إلى ما دون الصفر كما تسرّوح في بعض الشهور ما بين ٣٠° ف و ٥٠°. ولا ترفع درجة الحرارة فوق درجة التجمد إلى في خلال شهرين أو ثلاثة فقط.

والتغير من الشتاء إلى الصيف الكامل يواكب دائما انصراف الانهار الجليدية وذوبان الثلوج فوق اليابسة. وما أن يحدث ذلك حتى يتغير المظهر الطبيعي في المنطقة حيث تظهر النباتات القبطية الدائمة وذلك حتى قبل أن ينتهي الجليد من

الذوبان . كما تبدأ أسراب الطيور المهاجرة في الظهور فجأة حيث يوجد في المنطقة القطبية أكثر من مائة نوع من الطيور . كذلك يتمثل قطعان كبيرة من الكاريبو حيث تتبع تدريجيا ظهور النباتات في الاتجاه صوب الشمال . كما أن حياة السكان تصبح أكثر قلقا وازعاجا إلى حد ما حيث يصبح البر صعبا بسبب وجودة الأرض وعدم إمكان المياه المذابة من الثلوج انسرب إلى أعماق تزيد على قدمين إلا أن الذي يجعل من تلك المناطق التي تعرف باسم التندرا بيئة مستنقعية ومن ثم تخرج حينذاك هنا الحشرات الضارة والبعوض وتسبب بلاء كبيرا للسكان .

ويحل الشتاء تدريجيا على الصيف حيث تبدأ الحياة الطبيعية في الموت السريع . ففي شهر سبتمبر قد يسقط بعض الثلج كما تبدأ بعض البحيرات الصغيرة . من التجمد غير أن جليد البحر يتكون مع شهر نوفمبر في كل المناطق فيما عدا المناطق التي يوجد بها تيارات قوية . وعلى النقيض من الاعتقاد السائد لا تدفن أراضي الأسكيمو تماما تحت طائلة الثلوج وعلى الرغم من أنه يوجد اختلافات جذبية في هذا الصدد إلا أن كل النساقط السنوي لا يزيد على أربع بوصات حيث أن البرودة القاسية في معظم السنة تحدد بصورة واضحة كمية الرطوبة الموجودة في الجو ، كما أن الرياح القوية تعمل على إبقاء الأرض في مناطق عديدة عارية من الثلوج .

وبطبيعة الحال البيئة ليست متشابهة تماما في كل المنطقة التي يقطنها الأسكيمو ولهذا السبب فقد نمت بعض الحضارات المحلية إليها عكست هذه الاختلافات . وأن كان الاختلاف يتوقف أساسا على نوع الحيوان الذي يعتمد عليه الاقتصاد فصدر الأسكيمو المميز هو عجل البحر التي تصطاف وفي فصل الشتاء وإن كان بعض الجماعات الأقل تخصصا في هذا والتي لا تعتمد كثيرا في حياتها على الصيد

وثرجد أنقى أشكال الصيد القطبى الذى يطلق عليه حضارة القطب الراقية
High arctic culture بين أسكيمو القطب فى شمال جرينلاند حيث تعتمد الحياة
كلية على مصادر البحر (شكل ٦). أما فى المناطق التى تقع أكثر نحو الجنوب فى جنوب



شكل (٦) أسكيمو يحفر قطعة من الصخر بواسطة مخراز النفخ

جرينلاند وإيرادور وجزر أو ليشيان بالقرب من الاسكا فتجد أن الحضارة الشبيهة
قطبية Subarctic culture لها ارتباط أكبر بالمياه الممتوحة حيث يزداد الاعتماد
أكثر على صيد الأسماك مستخدمين فى ذلك القوارب مع اختلاف طفيف للحياة
الشووية لاسكيمو القطب . وبالإضافة إلى ذلك توجد بمجموعات صغيرة مثل
جماعات أسكيمو الكاريبو Caribou Eskimo التى هجرت تماما البحر فى سبيل
الاعتماد فى حياتها على تتبع الصيد البحرى وصيد الأسماك من الحفر الجليدية
بنفس الطريقة التى يارسها الهنود الأمريكين فى المناطق التى تقع إلى الجنوب

من مناطقهم . أما الحضارة الاقل تخصصا في وسط وسواحل كندا فلها نمط آخر حيث يعتمد على الصيد في الثلج أبان لشتاء وذلك إلى جانب الاعتماد لدرجة كبيرة على أنشطة الصيد البرى فى الفصول الأخرى . وهذا النمط هو أكثر أنماط الاسكيمو انتشارا بينا ما دون ذلك يمثل وجوها خاصا داخل جماعات الاسكيمو .

ويوجد لدى أسكيمو كندا الساحليون محاليتين عمرائيتين أو أكثر حيث يعتمد موقع كل منها على النشاط الاقتصادى الرئيسى فى الموسم . وأطول مدة إقامة تكون فى الموقع لشتوى . وفى أواخر الشتاء تتجمع الاسر فى خليج محى أو منطقة قليلة الثلوج . حيث تصبح الشواطىء المفتوحة عبارة عن أكوام من الثلوج التى حلت إلى الشاطئ فى رحلة ألا عودة . فى هذه الفترة يصبح صيد حيتان الشتاء هو النشاط الاقتصادى السائد .

وطريقة صيد الحيوان البحرى التقليدية المعروفة هناك والنمى تسمى باسم صيد ماوروك Maupok والنمى تعنى انتظار الصائد إلى جانب فتحة تنفس الفريسة هى الطريقة السائدة حيث تأتى عجول البحر بانتظام إلى هذه الثقوب والنمى كوتها منذ بدأت الجليد يتكون . وعلى الرغم من أن هذه الثقوب قد تغطى بطبقة من الثلوج إلا أن كلاب الاسكيمو الجائعة تستطيع أن تشم رائحة الحيوان البحرى من مسافة بعيدة وحينما يجد الصائد مثل هذا النقب يقف إلى جانبه كالتأمل إلى أن يأتى الحيوان للتنفس فحينئذ يرشقه فى أنفه بالحسرة . وفى بعض الاحيان لكى يجعل عمله أسهل إذ كانت الفتحة مغطاة بالثلوج فإنه يترك قطعة من العظم الذى تتحرك إلى أعلى حينما أنف الحيوان . ومن ثم فعليه أن يسرع لاقتناصه إذ أن فرصة صيد الحيوان قد لا تأتى إلا بعد بضعة ساعات أخرى وذلك لأن الحيوانات البحرية لها عدة ثقوب للتنفس تزورها تباعا وقد تعود إلى نقب بعينه

بعد فترة طويلة . فقد ذكر أحد الباحثين أن شخصا قضى يومين ونصف إلى جانب ثقب للتنفس وذلك دون جدوى .

وبعد صيد الحيوان البحرى لا يزال أمام الصائد عمل كبير على أن يؤديه فقد يكون رأس الحربة غير مثبتة جيدا فى الفريسة ومن ثم فعلى الصائد أن يشبثها فى الحيوان كما عليه أن يوسع الثقب لاستخراج الفريسة وتقدم الثدييات البحرية إلى الاسكيمو بالإضافة إلى الطعام الشحوم التى تحرق بدون دخان وتمطى حرارة تبعت الدفء والعضو خلال شهور . ولولا هذه الشحوم لكانت حياة الاسكيمو صعبة للغاية حيث لا توجد أخشاب تحرق فى المناطق القطبية ، كما أن دهون الحيوانات الأخرى ليست مثل دهون الثدييات البحرية . ولا يستخدم جلد عجل البحر Seal دائما فى صناعة الملابس إذ أن فروة حيوان الكاريبو تعطى أكثر دفئا كما أنها أخف وأسهل فى الصنع . وتأكل كل أجزاء جسم عجل البحر بدون طهى ولا يعرف كيف أن الاسكيمو لا يدركوا مدى أهمية هذه اللحوم النيرة للصحة وإن كان من المؤكد أنهم يعانون العديد من النقص الغذائى إذا لم يتناولوا هذه اللحوم غير المطهية حيث لا يوجد خضروات طازجة أو فاكهة وذلك لمدة تتراوح ما بين تسعة وعشرة شهور فى السنة .

وحينما يصبح النهار أطول تبدأ ثلوح البحر فى الشقق والإنكسار مكونة قنوات تجرى فيها تيارات قوية ومن ثم تبدأ الأسر التى كانت تعيش فى المحلة الشتوية تتحرك وتنتشر لتدخل فى معسكرات لصيد الربيع حيث تبدأ الثدييات البحرية مع صغارها فى الظهور على الثلوج وتقدم صيدا سهلا للاماندين الممطرة الذين يمكنهم الزحف ورأئهم والامساك بهم . ومع تحسن الطقس بزيادة الدفء يجوب الصيادون أطراف المياه المفتوحة وذلك للصيد حيث يصطادوا فى بعض

الأحيان الحيتان . كذلك يصبح الصيد البرى فى هذه الفترة هاما ولا سيما الثور الموسكى الذى انقرض للافراض فى صيده . ومن عادة هذه الحيوانات تكوين دائرة للحماية حيث يقف الذكور فى المقدمة والإناث والصغار فى الداخل . ولنا فيسهل على الصيادين قتل أعداد كبيرة منهم بسهولة . وتجمع كميات كبيرة من اللحوم والشحوم فى هذا الفصل الوفير وتخزن فى أكوام مرتفعة تغطى بالحجارة وذلك لحفظها من النهام الحيوانات .

وفى فصل الصيف أو كما يطلق عليه فصل السعادة تجذب نباتات التندرا أعداد كبيرة من قطعان الكاريبو صوب الشمال ومن ثم تقام معسكرات الصيف على رؤوس الاودية الداخلية .

وهنا تبدأ العناصر المتناثرة فى التجمع لتشارك فى الصيد الجماعى . ويستخدم بعض الصيادين القوس والسهم ولكن الطريقة الناجحة هو مطاردة القطعان إلى خور مغلق أو مستنقع أو بحيرة حيث يسهل صيد الحيوانات هناك . كذلك يمكن اصطياد بعض الحيوانات الصغيرة فى الصيف كالذئب والثعالب والأرانب وذلك عن طريق الفخاخ . أما البط والأوز والطيور الأخرى الكبيرة فتصطاد عن طريق الفخ أو بإسقاطها بالسهم والنبال . أما الطيور الصغيرة فتقوم النساء والأطفال بصيدها عن طريق الشباك . وتخزن الطيور الزائدة فى حفر أرضية حيث تدبجمد .

والأسماك وفيرة فى فصل الصيف على طول سواحل كندا ولا سيما سمك السلمون والذى يبدأ هجرة الفصلية مع بداية الصيف إلى أعلى الأنهار . وفى هذه الفترة تتحرك جماعات السلمون فى أعداد هائلة كثيفة لدرجة أنه يمكن اصطياد كمية كبيرة منه فى الرمية الواحدة . ويستخدم السنار المعقوف والمستقيم ذوى السنون

العاجية في الصيد في المياه العميقة ، كما تستخدم الشباك والسدود في بعض المناطق الأفل عمقاً..

وتجمع في هذا الفصل بعض الجذور والنباتات غير أن عمر هذا الفصل قصير والنباتات النافعة نادرة ومن ثم لا تلعب دوراً هاماً في الحياة الغذائية للاسكيمو . ويقل نشاط الصيد في الفترة الممتدة من أواخر الصيف وحتى الشتاء إذ يترك الكاريبو الأقاليم الساحلية كما أن الثلوج لم تأخذ بعد صفتها الدائمة التي تتواجد عليها في الشتاء . ويوجد دائماً وفرة في الطعام المخزون الأمر الذي يوضح كيفية عدم الإستمرار في مواقع المعسكرات والمحلات العمرانية التي ظهرت في الفصل السابق، وتستطيع الأسر المختلفة أن تعود إلى نفس المكان مرة أخرى حين يأتي موسم الاصطياد . وتشغل بعض الجماعات الكندية منازل حجرية دائمة في وقت الصيد مما يساعد على استخدامها لعدة أجيال بل قد تستخدم بصفة دائمة إذ كان من السهل الوصول منها إلى مناطق صيد الشتاء وبعضها يبقى مكشوراً حتى بداية الربيع .

ويشتهر الاسكيمو بادواتهم المميزة وطرقهم المتعددة في الصيد والنقل وصنع الملابس وبناء المساكن . فبعض طرق ملائمتهم للحياة القطبية لم تكن وليده تقدم العلوم الصناعية في العالم الحديث . فالرحلات الاستكشافية الكبرى التي اتجهت إلى المناطق القطبية والشبه قطبية والمجهزة بأحدث تكنولوجيا العلوم لجأت لإستخدام بعض معدات الاسكيمو مثل الزحافات وكلاب الاسكيمو المدربة وقارب الكاياك والملابس الجلدية ولا سيما أردية القدم أو أحذية الجليد .

وقد لجأ الاسكيمو إلى ملائمة حياتهم بهذه الصورة في بيئته ينقصها موادها الرئيسية ولا سيما الأخشاب التي تستخدم أغراض تكنولوجيا عديده في بقية

أنحاء العالم . فالأحجار والعظام والعاج وجلود الحيوانات وكذلك للتلوج والجليد قد تحمل محل الأخشاب . فقد تستخدم العظام والعاج والفرون في عمل الزحافات إذ تصنع الزحافة التقليدية لاسكيمو الوسط عن طريق تجميع عظام فك الحوت وحقيقة أنهم يصنعون الزحافة من قطع متعددة وليس قطعة واحدة حيث لها ميزة عملية هامة إذ أن الزحافة المصنوعة من قطعة واحدة قد تكون أقل ثباتاً أثناء انزلاقها على الجليد من تلك المصنوعة من قطع متعددة .

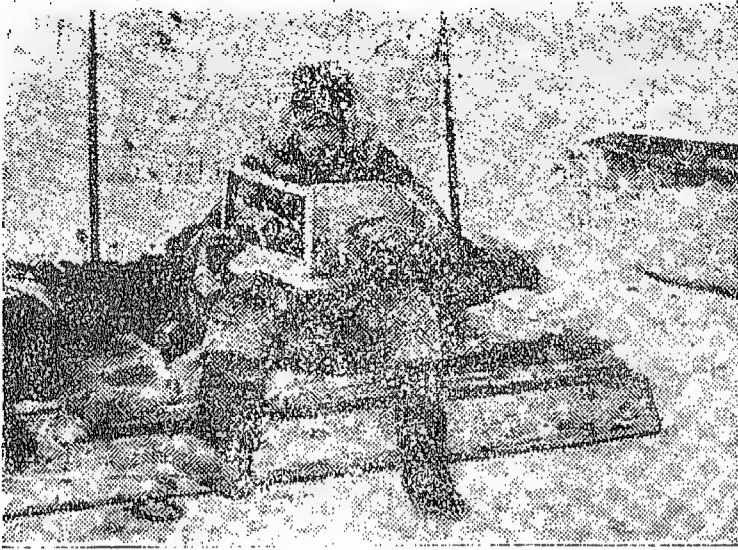
ويعد كلب الزحافة من أشهر عناصر حضارة الاسكيمو إذ أن هذا الكلب الضخم القوى القلب هو الحيوان الوحيد الذي يرى في جميع بقاع الاسكيمو حيث يستخدم عدد من الكلاب التي يقودها كلب متقدم ببضعة أقدام عن الأخرى في جر الزحافة وتكون كلاب كل زحافة مجموعة متألفة يقودها أقوى المجموعة ويشجعها حيث يعرف كل كلب موقعه في عجلة الجر عن طريق التعود . ويصل عدد كل مجموعة خمسة أو ستة كلاب ولكن في أغلب الأحيان يقل العدد عن ذلك إذ أن الكلاب العاملة تستهلك كميات كبيرة من الأسماك والذريات الأمر الذي يجعل اقتنائها بأعداد كبيرة أمراً مكلفاً ولا سيما أبان فصل الشتاء الطويل .

ويعتبر قارب الكاياك وسيلة هامة للصيد لاسكيمو الساحل في فصل الصيف . وهذا القارب الذي لا يزيد حجمه عن قوارب « الكانو الصغير » يعتبر من أفضل القوارب البحرية الصغيرة التي اخترعت فقد صنع لإطاره أو هيكله من عظام الخيتان ويطن كله بالجلود ولم يترك فتحة سوى تلك التي يجلس فيها النوق . وما أن يجلس بها وهو مرتدى جاكيت من الجلد ويثبت في القارب حتى يصبح جزءاً منه . أما عن الأوميالك Umiak قارب المرأة فهو أكبر حجماً من الكاياك كما أن سطحه مفتوحه وذلك عن النقيض من قارب الرجال ويستخدم عادة كوسيلة في

الانتقال أكثر من استخدامه في الصيد . وتستخدم قوارب الكاياك واللاومياك أيضا بعض القبائل في شمال شرق سيبيريا أذ وصل إلى هناك عن طريق جماعات الازب القديمة في النرويج . ويستطيع الباحث أن يجزم أن هذا القارب من اختراع الاسكيمو وينطبق ذلك على بعض أدوات الاسكيمو الأخرى .

وعلى الرغم من أن منزل الاسكيمو بسيط إلا أن فحصه يشير إلى دقة تركيبه فنزل الثلج المؤقت الذى يطلق عليه اسم إيجلو Igloo معروف جيدا لكثير من الدارسين غير أنه ليس من السهل تشييده كما يتصور البعض فكتل الثلوج الضخمة تقطع من جروف ثلجية متماسكة بواسطة سكاكين طويلة عظمية ثم ترص على شكل قبة . ويستطيع الاسكيمو وقطع الكتلة الثلجية بسرعة فائقة وبأحجام دقيقة تلائم الأماكن المطلوب وضعها فيه بدقة . وإذا كان استخدام المنزل لفترة طويلة فإنه يبنى بقطر يصل إلى ١٢ قدما وارتفاعه في الوسط يصل إلى تسعة أو عشرة أقدام . شكل (٦) وقد تبنى أماكن جانبية للطهي والتخزين كما يمد رصيف كبير من الثلوج للنوم وتغطى بالجلود . وتصنع النوافذ من جلود أمعاء عجل البحر وتبدو على هيئة ثقب . وقد يستخدم في بعض الأحيان غطاء من الثلج كنافذة وذلك حينما يبنى المنزل لفترة مؤقتة . ومدخل المنزل عبارة عن نفق صغير يمكن الدخول إليه عن طريق الزحف وذلك لكي يمنع البرودة . وهذا النفق طويل في العادة لنفس السبب لسابق وترتفع أرضية الحجرة الرئيسية غالبا قدم أو اثنين عن مستوى الممر وذلك أيضا من أجل الابتعاد عن تيارات الهواء الباردة .

وتغطى في بعض الأحيان جدران الحائط والأسقف بجلود عجل البحر وذلك عن طريق تثبيتها بأحبال نخزق الحوائط . وفي هذه الحالة تخلق طبقة عازلة من الهواء حيث يستطيع الأهالي أن يرفعوا درجة حرارة المنزل عن طريق المواقد لدرجة معتدلة دون أن تؤدي إلى إذابة الحوائط الداخلية كثيراً .



شكل (٦) أحد الاسكيمو يجلس في خيمته

والمنازل الدائمة التى تشيد على الساحل لها مائل للمنازل السابقة ولكنها تختلف عنها فى أنها تنحت فى الأرض لعمق قدم أكثر ، وأن حوائطها تبنى من الحجارة التى ترتفع عن سطح الأرض ما بين خمسة وستة أقدام ، كما تستخدم عظام الحوت ولاسيما الضلوع كدعائم للمنزل ويراعى وضع العظام المقوسة فى واجهة المنزل وذلك لسهولة عمل النوافذ كما يغطى السقف بالجلود مع العلم بأن الثلوج الساقطة فى فصل الصيف تكون طبقة عازلة فوق المنزل ، أما الأرض والحوائط والأسقف وكذلك رصيف المعيشة أو مكان العيش فتغطى جميعها بجلود عجل البحر . أو عظام الحيوانات الأخرى فتستخدم كمشابج فى الحائط أو تستخدم فى أغراض أخرى كعمل السنانير والفخوخ .

والمنازل ذات تهوية كافية غير أنه لا يوجد بها تيار حيث يدخل الهواء البارد من الممر ويدفء عن طريق المصابيح ومن ثم يخرج رويدا رويدا من الفتحة

الصغيرة الموجودة في السقف ، أما في المساكن الأصغر فتستخدم المصابيح في أغراض أكثر من كونها مدافء . وفي معظم الأحيان ترتفع درجة الحرارة في المنازل لدرجة أن السكان يتعرون حتى الوسط . ويوجد في معظم القرى الثابتة كوخ كبير يستخدم لمقابلات الجماعة واحتفالاتهم وإقامات الطقوس المختلفة .

وفي فصل الصيف تستخدم خيام مصنوعة من جلود الكاريبو وعجل البحر حيث يصنع إطارها على شكل نصف مخروط من عظام الحيتان مع عمود يمتد أمام الخيمة . أما من ناحية تنظيم الداخل فيشبه ذلك التنظيم الموجود في المساكن الشتوية لهم .

وملابس الاسكيمو ملائمة تماما للاحوال القطبية فهي محببة ياتقان ومصنوعة بدرجة أنه من الصعب إدخال أى تحسينات عليها . فكل الملابس مصنوعة من جلود الحيوانات فيما عدا رداء المطر الواقى المصنوع من الجلود . و بعد الجلد أولا عن طريق تخليصه من الدهون الموجودة به من الداخل بواسطة سكين ثم يشد بعد ذلك على عظمتين ليحفظ وبعد ذلك تقمن النساء بمضغ الأجزاء الداخلية لتخليصها من الدهون المتبقية ولتلينها . ويحفظ بعد ذلك للمرة الثانية حيث تستخدم مقاشط وسكاكين من العظام لتلينها أكثر . والجلود المصنوعة بهذه الطريقة يمكنها المحافظة على درجة الحرارة ..

ويرتدى كل من الرجال والنساء قصان داخلية مصنوعة من جلود الكاريبو والطيور أو القراء ويوضع فوقها قميص خارجى مبطن بالقراء ومصنوع أيضا من جلد الكاريبو أو جلود الدببة ويمتد حتى الركبة أما النساء فلا يصل البنطلون إلى الركبة ويرتدى كل من الرجال والنساء أحذية صيدفية مصنوعة من جلود عجل البحر بينما تصنع أحذية الشتاء من جلد الكاريبو . ويصل حذاء السيدات حتى نهاية

بظلو تن القصيرة بينما يصل حذاء الرجال حتى الركبة وهذه الأحذية لا تغطي
المفاصل ومن ثم فتوضع لها ما يشبه الرقع وذلك لحمايتها .

وتتسم صناعة الاسكيمو بالتنوع الكبير في أسلحة الصيد فهناك أنواع
عديدة من المقاشط والسكاكين والخارز وأنواع أخرى من الأسلحة المندبية التي
صنعت عن طريق شطف الحجارة وحكها . وفي بعض الأماكن القليلة المفرقة
عرف الاسكيمو كيف يطارقون النحاس لتشكيل بعض السكاكين كما استخدم
الحديد في صناعة بعض المقاشط والسكاكين في شمال غرب جرينلاند . وأسلحة
الصيد التقليدية هي الفؤوس والسهام وتصنع الفؤوس في العادة من ثلاث قطع من
العظام التي تربط سويا بواسطة حبال مطاطة . ويعتبر الرمح بأنواعه المختلفة
أهم أنواع أسلحة الاسكيمو الوطنية ، ويتكون الدمج في العادة من أجزاء متعددة
فالرمح الذي يستخدم في صيد عجل البحر يتكون من أربع أو خمس عقل تثبت
رأس حربه في طرف العقلة الأمامية . وقد تصنع رؤوس الحواب من العاج وإن
كان معظمها يصنع في الوقت الحاضر من المعدن . وتثبت رؤوس الحراب الطويلة
في عصي الحربة على طريق ثقب طوليه وعن طريق عقد حولها .

وقد يصنع عديد من الأواني المنزلية من العظام والعاج . فمن طريق المنقب
المنحني تمكن الاسكيمو من قطع وتشكيل أدوات دقيقة كالابر والمشاط والمغازز
والمعالق والتي قد تزين بنقوش ، كما أن تزين الأسلحة بواسطة التماثيل أمر سائد
بين الاسكيمو . وقد تنحت بعض أواني الطهي ووعاء لمضة الإنارة من بعض
الأحجار . أما الأدوات الأخرى مثل الأكواب والشنط والجراذل والاطباق فتند
تصنع من جلود عجل البحر المحاكاة . أما عملية الطهي فهي عملية بسيطة من القلي
ولذا فقد اخترع الاسكيمو نوعا من الأنية الفخارية لهذا الغرض .

ويؤكل معظم طعام الاسكيمو نياً ومن ثم ففنون الطهى غير متقدمة لديهم
 إذ ينظر إلى الطعام ببساطة على أنه مجرد تموين الجسم بالوقود . ويستطيع رجل
 الاسكيمو أن يأكل كمية كبيرة من اللحوم في الوجبة الوحيدة حيث يضع في فوه
 قطعة طويلة من اللحم ويقوم بتقطيعها بالسكين بالقرب من شفثيه . وقد تهدد
 المجاعة الاسكيمو باستمرار في بعض أوقات السنة حتى أن جلود الاحذية قد
 تمضغ في بعض الأحيان من أجل زيوتها وذلك في حالة غيبة الطعام . أما بعض
 الطيور واللحوم فتأكل في أغاب الاحيان بعد فسادها ، حتى الديدان التي تعرض
 في اللحوم الفاسدة لاستبعد منها عند أكلها . أما أمعاء الطيور والاسماك فقلد
 تدخن بها أن الاسماك الصغيرة قد تجلب حية . ولا يمكن لعائلة الاسكيمو أن
 تمرض لمجاعة كثيراً مادامت يوجد لدى للعائلات الاخرى الموجودة في المعسكر
 طعاما . فأى شخص جائع أو غريب يمكنه أن يتقدم ليأكل من اللحوم التي لدى
 شخص آخر . وحتى في أوقات وفرة الطعام يوزع الصائد الماهر فريسته على
 الرغم من أنه قد يحتفظ لنفسه ببعض الاجزاء المرغوب فيها . والمسائلة ليست
 مسائل كرم بقدر ما هي حقيقته متصل بالحياة والموت إذ أن الصائد الذي ينجح
 مرة في اصطياد فريسته قد يفشل مرة أخرى ومن ثم فالمشاركة هي الوسيلة
 الوحيدة للتوزيع حيث أنه لا يوجد سوق أو أى نوع من التجارة ومن ثم فبواسطة
 هذه الطريقة يتصرف الاسكيمو في انتاج الطعام الفردى .

وكل مواطن أو فرد له حربه استغلال انتاج الارض والبحر وحتى المنازل
 الثابتة أو الدائمة فلا ينظر اليها على أنها ممتلكات خاصة فإذا كان المسكن متوفرا
 حتى ولو لفصل واحد فأى عائلة أخرى يمكن أن تسلمه . أما ملابس الفرد
 الخاصة وأسلحته وأى شيء آخر يقرم لصناعته لاستخدامه الشخصي فكل هو
 الحال في المجتمعات الاخرى تعتبر ملكا له ويتصرف فيها كما يشاء . ولذا فقد

يعبر الانكليزوا أسلحته وبعض أدواته إلى شخص آخر إذا ما طلب ذلك .
 ولكل من الرجل والمرأة مجال نشاطه الخاص . فالرجال صائدون أو صانعوا
 أدوات صيد بينما تقمن النساء بجميع الطيور من محالبها وكذلك جمع بعض
 النباتات التي يستصاع أكلها والمحار والاطعمة البحرية وذلك إبان فصل
 الصيف . وتعتمد من أصعب الاعمال وأكثرها مهارة صناعة المرأة للباس وذلك
 بمقدار إعداد الجلود اللازمة لذلك . والنساء كما هو الحال في المجتمعات عليهن
 تدبير أمور المنزل ورعاية الأطفال والطهي والاصلاح .

وتعتبر العائلة الوحدة الانتاجية في المجتمع ، فهي الصناعة وهي المستهلكة
 وذلك فيما عدا المشاركة بين العائلات . وتوزع الثروة على كل سكان المحلة العمرانية
 فيما عدا بعض الاختلافات الفرعية وذلك بالنسبة لمصاحب الشيء ومن ثم فليس
 هناك فقرا أو غنى في المجتمع . ولا يوجد تخصص في المجتمع إلا في وظيفة
 الشامان Shanana أو المطيب الذي يعرف باسم أنجاكوك Angakak الذي
 يعطى الهدايا في سبيل خدماته من أجل شفاء المرضى . وهو رغم ذلك يقوم
 بالصيد من أجل العيش ومن ثم فنخصصه جزئي ووقتي .

وقد يكون للرجل المطيب أو الشامان تأثير شخصي قوى في المجتمع، غير أن
 ليس له وظيفة أو نفوذ . وكما هو الحال في المجتمعات البدائية الأخرى ينقصها
 تماما التنظيم الديني والحكومي، كما ينقصها أيضا التقسيم الإجتماعي والتنظيم الحربي
 وغيرها من الصفات التي تميز المجتمع المتحضر . فوحدة العائلات المنفردة في المحلة
 العمرانية تعتمد أساسا على صلة الدم والتعاون الإقتصادي غير أن هذا التنظيم
 ضعيف وذلك بسبب التغير الدوري في مكان السكن والاختلافات الفصلية في حجم
 وعضوية الجماعة . فلا توجد الروابط القبلية أو أي نوع آخر من التنظيم

الوحدوى بين المقيمين فى محلة عمرانية واحدة . ونظام رابطته الدم الذى يوجه لدى الاسكيميو يشبه ذلك الموجودة لدينا . فاقارب الام يطلق عليهم نفس الالفاظ التى تطلق على اقارب الام فى مجتمعتنا كذلك بالنسبة لاقارب الاب فينادوا بالعم والعمة وغير ذلك من رتب القرابة . نفس التميز يظهر فى الجنس وفى الجيل وبين الاصلاص وغير الاصلاص والاتجاه الاخير اتجاها غير عادى بالنسبة للمجتمعات البدائية إذ لا يظهر إلا فى الحياة المنمدنية فمصطلح أب أو أم لا يشمل سوى الوالدين فقط ولا يطلق على العم أو الخالة كذلك مصطلحى أخ واخت لا يستعمل بالنسبة لابناء العمومه . وهذا النظام يعكس بصفة عامة الحياة الإجتماعية والاقتصادية للاسكيميو . فكما هو الحال فى مجتمعتنا نجد أن الأسرة النووية التى تتكون من الاب والام والاطفال ليس لها نظام إذ يرتبط جميع أفراد الأسرة مع بعضهم على مدار السنة .

وتقدر عائله الاسكيميو الاطفال إذ يتساوى لديهم الذكور بالاناث غير أن صعوبة الحياة وقسوتها تدفعهم إلى التخلص من الاطفال المرضى والمشوهين كذلك حين حدوث المجاعات لا بد ان يضحي بالطفل وفى هذه الحالة تكون الاسبقية للبنات . ويرضع الاطفال فى العادة لمدة عامين ما دام لم يأتى الطفل جديد فى هذه الفترة وأن كان يعطى للأطفال فى هذا السن من آن لآخر بعض اللحوم النيئه التى تقوم الام بمضغها قبل اعطائها لطفلها . (شكل ٧)

وينهر الاطفال إذ ما ارتكبوا خطأ إذ لا يوجد فى الواقع أى نوع من العقاب عند الاسكيميو ، ويلعب الوالدان دورا كبيرا فى مساعدة الاطفال فى اللعب وتعليمهم واسقال الاطفال إلى عمل البالغين يحدث تدريجيا وذلك بالنسبة للذكور والاناث على السواء ، وسن البلوغ يتراوح ما بين ١٣ و ١٥ عاما . ولايصاحب



شكل (٧) سيده من لاسكيمو تحمل طفلها

بلوغ الذكور والافاث أى طقوس ملحوظة ، وبعد البلوغ هناك اتصالات جنسيه بين الشباب والشبات إذ لابد أن يبقى الفرد فترة طويله اعزب لان تكوين الأسرة يتطلب الا كنفاء الذاتى .

وتوجد حرية كبيرة فى اختيار الزواج وان كان هناك بعض التقاليد المعترف بها فى هذا الصدد إذ لا يجوز الزواج بين الآباء والابناء أو الاحفاد أو الاخوه غير أن زواج ابناء العمومه أمر شائع . والزواج يكون فى العادة محلى حيث يختار الزوج زوجته من القرية التى يعيش بها وأن كان ذلك لا يمنع من أن الاختيار قد يحدث من خارج المحلة العمرانية التى يعيش بها . ويبدو انه ليس هناك قواعد معينة لاقامة الحياة الزوجية فى الحالة الاخيرة فيمكن للزوجين ان يقيميا فى محلة الزوج أو الزوجة على السواء .

ويلاحظ بصفة عامة أن سن زواج المرأة أقل من سن زواج الرجل في العادة
ببضعه سنوات ويحدث الزواج عادة بين ١٥ و ١٤ سنة . ولانقسام احتفالات
للعرس ولا يقدم العريس مهرا لعرسه أو أى هديه من الهدايا . فالعريس يحمل
عروسة من أسرتها وكأنه يأخذها عنه . ومن ثم فلا بد وأن تبدى العروسه
مقاومة ظاهرية عند حملها . وقد يحدث تعدد الأزواج أو الزوجات في بعض
الاحيان ولكن التقسيم الاقتصادي للعمل في المجتمع في مثل هذه الحالة يكون أكثر
إيجابيه ومن ثم فهذا النوع من الزواج هو النسب انواع الزواج عند الاسكميو .

والطلاق مسأله شائعه لدى الاسكميو ولا سيما فى حالة عدم انجاب اطفال
والبقاء أمر معترف به بين الاسكميو والحرية فى هذا ممنوحه كاملا للرجل
فالرجال لهم الحق بمعاشره أى امرأة دون الخوف من النقد ولكن قد تضرب
الزوجة بقسوة من زوجها إذا ما اختلطت برجل آخر دون إذن ويتبادل الأزواج
زوجاتهم فى العادة لفترات قصيرة وليس هناك حاجه فى أن يأخذ الأزواج
رأى زوجاتهم فى هذا الصدد . وكرم الضيافه صوب الغريب أمر معترف به
بين الاسكميو إذ يحتم كرم الضيافه أن يعطى زوجته إلى الضيف اثناء وجوده
وليس هناك عدم الاعتراف بشرعية الاطفال وان كان الاطفال الذين يأتون
سفاحا يقتلون فى بعض الاحيان وذلك لضرورة اقتصادية حيث تفقر أم الطفل
لرجل يصيغها لها .

سلوك اجتماعى آخر جدير بالملاحظة بالنسبة للاسكميو وهى قتل المسنين أو
الاشخاص العاجزين . وهذه العادة على أى حال ليس خطيرة لانها تحدث فى
أوقات المجاعة وذلك لأسباب واضحة جدا .

فحياة المجموعة ككل أو على الأقل حياة الأسرة يمكن أن تهدد نتيجة لزيادة أى أعباء عليهم أو يدرك الكبار ذلك تماما ، ولهذا فقد يقتل الابن والده أو والدته تبعا لأمرهما . وفي بعض الحالات الأخرى ككبار السن والمرضى ربما يتركوا للموت وهذا أيضا بناء على طلبهم . وكثيرا ما تأخذ روح التضحية الذاتية من أجل الأسرة أو القرية شكلا جماعيا . وعلى الرغم من ان الاسكيمو يتسمون بالاحساس الدقيق إلا أن عليهم أن يواجهوا عملية القتل القاسية كما يواجهوا أى حقيقة أخرى تقابلهم في حياتهم .

وقد يعجب دارسو مجتمعات الاسكيمو من صعوبة الحياة التى يعيشها الاسكيمو لدرجة أن بعضهم قد يصاب بالانهار الكامل فيما يعرف باسم « الهستيريا القطبية » *arctic hysteric* حيث يفقد الشخص قدرته على السيطرة على نفسه تماما ، ويصبح وبعض على شفتيه ويلقى بنفسه على الأرض . وهذا السلوك أمر عاوى وقد يصاب به الاسكيمو حين يصاب بصدمة . ولكن رغم ذلك كله فيتعصف الاسكيمو بالبشاشة والتفائل الأمر الذى يبرئ على سرور أى غريب يعيش بينهم .

وفي حالة الوفاة يسرع الاسكيمو فى التخلص من جثة المتوفى وشأنهم فى ذلك شأن معظم الشعوب وذلك خوفا من الأشباح . ويكفن المتوفى بأفضل ثيابه ويوضع فى كيس من جلد عجل البحر ثم يدفن تحت كومة من الاحجار مصحوبا بكل ممتلكاته الخاصة . وقد يخشى الاسكيمو ظهور شبح المتوفى فى غضون خمسة الايام التالية للوفاة ومن ثم فقد يتعدوا فى هذه الفترة عن كل انشطتهم . وبعد ذلك يقال أن الأشباح قد تختبئ فى العالم الآخر . أما اسم المتوفى فقد يعطى لمولود جديد من أحفاده ومن ثم فيبطل الشبح المتوفى ذكرى فى جماعته . ولا يعتقد الاسكيمو كثيرا فى الحياة الآخرة .

وينظر الاسكيمو للمرض على أنه نديجة، لقوى طبيعية خارقة ومن بين المعتقدات السائدة لديهم أن الارواح قد تسلب من جسد الشخص المريض ، كما قد يسبب المرض في بعض الاحيان رجل مطبب شرير أو بالروح التي تسيطر عليه والتي غرسها في جسد المريض . ويظهر الاتجاه الاخير بوضوح في حالة شكوى الشخص من ألم في بعض أجزاء جسده . وفي كلى الحالتين يستدعى الشامان أو الرجل المطبب لتشخيص الحالة ومحاولة طرد الروح الشريرة المسببة للألم ، ويمتد الاسكيمو اعتقادا راسخا في مقدرة الشامان في هذا الصدد . وجماعة الشامانين اناس يعتقد ان لهم مواعب خاصة تجوزهم مقربين من عالم الارواح . فمن أهم مواعب الشامان في اعتقاد الاسكيمو هو مقدرة على معرفة الاشياء من الارواح وتحضيرها فيمكنه مثلا أن يذهب إل قاع البحر للاستعانة بالهة البحر المعروفة باسم Sodma وذلك من أجل أن يأتي المزيد من الثدييات البحرية إلى تخوم محلتهم العمرانية أو من أجل أبعاد عاصفه هوجاء لكي يتمكن الاهالى من الصيد . كما أنه قادر على أشياء أخرى مثل معرفة سبب المرض أو الدواء لوفره من الصيد أو لتحسين الطقس وغير ذلك من الأمور المعضلة يسهل الحياة في مجتمع يتسم بالفقر البيئى .

ولكى يصبح الشخص شامانا لا بد وان تدخل روح مساعده في جسده خلال احتفال تشهده كل القرية ، ويتضمن هذا الاحتفال ضرب الرجل وترديد بعض الأغاني والرقص بعنف أحيانا إلى أن يسقط الرجل فى حلبة الرقص حينما تدخل الروح فى جسده فينطلق لسانه متحدثا بصوت أجش مختلف عن صوته ومعبرا عن الروح . ويحدث كل ذلك فى مكان شبه مظلم حيث لا يحب الارواح الضوء وعلى الرغم من ممارسة الشامانين لأعمال السحر إلا أن الاسكيمو يعتقدون اعتقادا راسخا فيهم كما يعتقد الشامانون فى أنفسهم .

وتتسم نظرة الاسكيمو إلى العالم الطبيعي بأنها نظرة بدائية للغاية فكل مظاهر الكون حتى الاحجار تمتلكها الارواح . وللحيوانات روح مثل الإنسان لذلك فالحيوان المذبوح يتخلف عنه شبح الذى يجب أن يعامل مثل شبح الإنسان ولعل من الأمور المنصلة بهذا الرأى الاعتقاد فى فاعلية الاحجبه وهى الأشياء التى يحتفظ بها الناس ضد السحر والشعوذه . وهناك عدد كبير من هذه الاحجبه بين مجموعات الاسكيمو تتعلق بمعتقدات بعينها . ويختلف الأفراد داخل المجموعة الواحده فيما بينهم وذلك بالنسبة لهذا المعتقد غير انهم جميعا يحملون عددا كبيرا من الاحجبه .

ونجد فى عالم الارواح هذا أن بعض المعتقدات أهم من البعض الآخر لان لها سيطرة على الأشياء التى تهتم الناس فثلا تعتبر سدنا ، الهة البحر ، أكثرها أهمية لا بمعنى أنها الالهة التى ترأس جميع الالهة الأخرى ولكنها فقط تتحكم فى البحر الذى يحتوى على جميع الموارد التى تهتم الاسكيه و لهذا كان اهتمام الاسكيمو بها . ومن أكثر القصص شيوعا عن سدنا تلك القصة التى تحتوى على الاحداث التالية : كانت سدنا مجرد فتاة عادية تزوجت من أحد طيور البحر ورحلت معه فغضب والدها غضبا شديدا وخرج ليعيدها إلى بيته وحدث أثناء رحلة العودة أن انتقم الطائر منه بأن أثار عاصفه عرضت سفينته للخطر فاضطر الوالد إلى أن يلتقى بأبنته من فوق ظهر السفينة حتى يوقف الطائر هبوب العاصفة . وأمسكت سدنا بجانب السفينة وقام والدها بقطع أطراف أصابعها فسقطت هذه الاجزاء من أصابعها فى البحر وأصبحت حية انا، وعادت سدنا تمسك بالسفينة مرة أخرى ولكن والدها قطع جزء آخر من أصابعها لتصبح فيما بعد عجولا للبحر . أما الاجزاء المتبقية من أصابعها فقد صارت بعد ترها الفقمه . وأخيرا

هبطت سدننا إلى قاع البحر حيث اتخذته مسكناً وأصبح لها سلطة الحكم على الحيرانات البحرية وهى تشعر بغضب خاص نحو بنى الإنسان عندما يسيئون التصرف ويكون عقابها لهم بمنع حيوانات البحر منهم .

وفى بعض أجزاء منطقة الاسكيمو ولا سيما فى الاسكا يسيطر رجل القمر « moon man » على حيوانات الصيد ويقوم الرجل المطيب بإرسال روحه طائرة إلى القمر يستجدى ظهور حيوانات الصيد من أجل شعبه وتجنبه الشمس طبعاً كما تنجسد جميع الظواهر الطبيعية والشمس تعتبر فى بعض الاماكن فى مثل أهمية سدننا .

والاسكيمو عدد كبير من القصص والخرافات التى انحدرت اليها عبر مئات السنين دون تغير ، كما يتضح ذلك من أن بعض الخرافات مطابقة تماماً للخرافات الاخرى عبر ٣٠٠ ميل على الساحل . وتعتبر بعض القصص مثل قصة سدننا امورا حقيقية من وجهة النظر التاريخية . فالقصص التى تصف أصل الناس وتاريخهم ينظر اليها على أنها الحقيقة . أما القصص الشعبية فهى تقص للترفيه ويسمح للقصص أن يضيف اليها من الامور ما ليس صحيحا . والبعض يتهم على انه اغاى دينه وعلى العموم فإن القصص تروى للترفيه .

وبعض القصص قصيرة جدا ولعل من الافضل تسميتها بالقصائد وذلك لان شكلها ونبرات كلماتها تبدو وكأنها خرافية ، كما أن الغناء من أساليب الترفيه المحبوبة وهو عادة ما يؤديه فرد امام مجموعة من الناس ينشدون أو يترنمون بقصة قد ابتكرها بنفسه . وهو اداء ينقصه التنعيم ولكنه إيقاع فى المقام الاول ويصاحبه آلة موسيقية وهى الممروفة باسم التامبورين Tamdourine وهى الآلة الوحيدة التى يعرفها الاسكيمو . ويتحرك المغنيون فى إطار تقليدى .

ويستكون قننه من مهارته في رواية قصه في حدود هذا الإطار . وكثيراً ما تقام المسابقات الفسائية التي يحدد فيها المستمعون المغنى الفائز، وفي بعض الجبهات يكون حسم النزاع بين شخصين عن طريق التنافس الغنائى، ويقوم المستمعون بعده ذلك بدور المحلفين .

وقد تعرضت حضارة الإسكيمو في المناطق الكندية والمناطق الوسطى لفترة من الفقر الشديد منذ مرحلة جماعات جزر تول Table وقد لعبت مراكب صيد الحيتان التابعه لكثير من الشعوب الاوربية دوراً كبيراً في إلحاق الفقر بالإسكيمو ولكن سبق ذلك الفقر لكن المستمر الذى أحدثه الإرتفاع البطيء في الأرض الذى غير عمق الممرات المائية بدرجة أدت إلى عدم اقتراب الحيتان من مناطق استيطان الإسكيمو .

ومنذ اتصال الإسكيمو بالرجل الأبيض فقد تعرضوا لكثير من المناعب التى يعرفها البدائيون فتلأ تعرضوا لأمراض الأوربين مثل البرد العادى والسل والأنفلونزا والحصبة والجدري وغيرها من الامراض التى أتت بها الشعب . وكان أول من تعرض لهذه الأمور وبشكل واضح إسكيموا ألاسكا ذلك لان التطور الإقتصادى وتغلغل الرجل الأبيض منذ الفترة التى اندفع فيها للبحث عن الذهب مبعثراً عن المناطق الكندية أدى إلى تأثير جميع الإسكيمو بهذه الامراض فحيثما وجد الإسكيمو ولو بأعداد قليلة حيث تمارس بيع الفراء أو القيام بالأعمال اليومية فقد أظهروا اهتماماً متزايداً للطباق والسكر والدقيق والشاى واللبن وأصبحت أطعمتهم الوطنية التى يعدونها بالطريقة الخاصة بهم أكثر اتزاناً من حيث قيمتها الغذائية، ولكن استخدام السكر والدقيق قد أدخل بنظام تغذيتهم وأصبح الجميع يشكون من اضطرابات في التغذية مثل سقوط الاسنان والإضطرابات

الجلدة والمعدية والمعوية. وأصبح « البندقية الحديثة » أمراً عادياً وإن كان ما ترتب على استخدامها وصل إلى درجة الخطورة فتند أو شكت قطعان الكابيو والثيران الموسكية على الإنقراض فلم تعد مصدرأ يعتمد عليه كقضاء صيني . وفي بعض مناطق الإسكيمو أصبح الناجر هو الحاكم المستبد المستغل وإن كان أحياناً حاكماً خيراً . ويحصل الإسكيمو على النقد عن طريق بيع الغذاء والإيجار به . وقد يحصل أحياناً على بندقية أو عدد من الطلقات النارية أو أقمشة للخيمة أو مخز من من الصلب أو السكاكين والباط وذلك ثمناً لفرائهم . ولكن يحصل الإسكيمو على الحيوانات ذات الفراء معظم الوقت كان عليهم أن يستغنى عن عمليات الصيد من أجل الطعام وبذلك أصبح اقتصادهم اقتصاداً نقدياً حتى يستطيع أن يشتري ما يحتاج إليه من طعام . ويتميز الإسكيمو بصفة الصداقة الحقة فهم شعب منفتح كثير الئمة بالآخرين . وفي ألاسكا بالرغم من الاستغلال الذي يتعرضون له عاماً بعد عام فإنهم عن طريق الهيئات الحكومية والمدارس يمكن أن يكونوا على اتصال بالعالم دون أن يؤدي ذلك إلى القضاء عليهم . وفي المناطق القطبية الوسطى لم يتعرض الكثير منهم إلى تأثير المدينة الحديثة تأثراً كاملاً ولكن أغلب الظن أن ذلك سوف يحدث في القريب العاجل ، وكما سبق لنا الإشارة ليس في وسعك إلا أن تحب الإسكيمو .. ولكن هذا لا يرفع أيدي الرجل الأبيض عن حدود بلادهم وعن استغلالهم استغلالاً بالجلدة ويقدر تعداد سكان الإسكيمو بحوالى ٢٩ ألف نسمة يعيش ١٠ ألف منهم في كندا، ومن المحتمل أن عددهم كان ضعف ذلك من قبل . ففي جرينلاند اختلط الإسكيمو بالرجل الأبيض وهم دائمى في أغلب الأحيان ، أما في ألاسكا فإن اختلاط الإسكيمو كان بالرجل

الأيض والهنود. أما في المنطقة القطبية الوسطى فما زال الاسكيمو محتفظا بنقاوته
معظم الوقت ولكن التأثير الحضارى والاختلاط السلالي عملية مستمرة وإذا
ما استمر توسع الاقتصاد الكندي فإننا نتوقع أن يتزايد غزو الرجل
الأيض لمناطق الاسكيمو .

مراجع الياب الاول

- 1 — Bird, J., antiquity and Migration of the early inhabitants of Patagonia, Geographical Review, Vol 28, No. 2, 1938
- 2 — Bridges, E.L., Uttermost part of the earth, N.Y, 1949.
- 3 — Cooper, J.M., Temporal sequence and the marginal Cultures anthropological peries, Catholic University of america, No 16, 1941.
- 4 — Darwin, C., Charles Darwin and the Voyage of Beagle, N.Y., 1946.
- 5 — Lothrop, S.K., The indians of Tierra del Fuego, Museum of the american Andian, Neye Foundation, Vol. 10, N.Y, 1928.
- 6 Service, E.R., Aprofile of primitive culture, N.Y, 1958.
- 7 — Man, E.H, on the aberiginal inhabitants of the Andaman islands, london, 1935.
- 8 — Mouat, F.J., adventures and researches amoug the Andaman islanders, Londer, 1863.
- 9 — Radcliffe-Broun, A.R., The Andman islanders, Glencoe, III 1948.
- 10 — Birket-Smith, K., The Eskimos N Y. 1936
- 11 — Mowat, F., people of the Deer, Bostrn, 1951.
- 12 — Weyer, E.M., The Eskimos. New Haven, 1932.

المبحث الثاني

القبائل البدائية

- الجيفارو
- التانجوس
- الشين
- النوير
- تاهيتي بولينزيا

قبائل الجيفارو

JIVARO

قبيلة الجيفارو فى امريكا الجنوبية

يمثل حوض الامازون واحدا من أكثر السهول الرسوبية اتساعات فى العالم ، كما أنه يمثل أكبر منطقة من غابات الأمطار الاستوائية فى العالم ، إذ يشمل على مساحة تقرب من مساحة أوروبا كلها . فالمسافة من الأراضي المرتفعة فى شرق البرازيل وعبر المنخفضات ، حتى سفوح جبال الأنديز فى طرف القارة الغربى تبلغ أكثر من مائتى ألف ميل . كما أن غابة الامازون هى واحدة من أكثر مناطق العالم المبتسطة تخلخلها . وعلى هذا يمكن أن نعتبرها أراضي صحراوية وإن كانت تبدو ، كما حدث لعدد من الرحالة الذين زاروها ، أنها أراضي شديدة الخصوبة . ويبدو أن النبات الذى اندثر قد كون طبقا لينة من التربة ، فالمطر وفير وتدل الأشجار التى تنمو هناك بكثافة على أن الأرض بها امكانية كبيرة للزراعة . ورغم حقيقة أن غموض الغابة قد أثار قدراً كبيراً من الاهتمام ، فإن هناك عدداً كبيراً من الأساطير والمعلومات الخاطئة عنها أكثر من أى منطقة أخرى من العالم .

أول هذه المعلومات الخاطئة هو أن التربة غنية وخصبة فإن التربة ليست غنية بموادها العضوية ، فهى شديدة الفقر لكثير من الزراعات . وإن كانت الأشجار تنمو بكثافة ، فإنها تنمو بسبب المياه الجوفية أكثر منها بسبب نوعية التربة . والتربة الاستوائية شديدة الفقر فى الأملاح المعدنية فالأملاح المعدنية والمواد العضوية تتأكل بسرعة بفعل تكاثف المناخ الاستوائى وترشيع مياه الأمطار والميزة الوحيدة للغابة المطيرة هى لين تربتها ، فالتاس البدائيون الذين لا يملكون إلا عصيهم المديبة وهى نوع من العصى المقنونه كأداة للزراعة يستطيعون أن يحرقوا هذه الأرض اللينة بها بينما تظل السهول . الخصبة المليئة بالاعشاب أبيض على جهودهم .

وثاني المفاهيم الخاطئة عن الأمازون هو ، أن درجة الحرارة فيها مرتفعة بشكل لا يطاق . فإن موجة من موجات الحرارة التي تهب على ولاية من الولايات الشمالية للولايات المتحدة تصل في حرارتها درجة أكثر ارتفاعا بالفعل عما نجده في الأمازون . فنادراً ما تصل درجة الحرارة في الغابة إلى ٩٠ ° درجة ، رغم أن خط الاستواء يمر بمنتصف المنطقة تماماً . وأما أكثر الآثار المحوطة لخط العرض (بالنسبة لأحد الأمريكيين الشماليين) هو الملل . فالفرق بين درجة الحرارة ما بين الفجر والظهيرة في أي يوم لا يزيد عن ٢٥ ° ، وإن كان هذا الفرق أكبر منه بين فصل وآخر . ولعل ما يفرع له الغريب في الأمازون أكثر هو الارتفاع الزائد في درجة الرطوبة وكمية المطر الغزير ، فالحرارة يمكن تحملها ، ولكن المطر الغزير . لا يدعو للسعادة كما يقول الأمريكيون الشماليون . وأما في منطقة خط الاستواء فالمطر يأتي فجأة في دفعة سريعة قوية يتبعها صفاء سريع بنفس الدرجة . ولكن هذا لا يحدث الأنهار ، وأما الليالي فصافيه براءة عادة .

وهناك مفهومان خاطئان شائعان عن « الغابة » . أحدهما أن هناك وفرة في الحيوانات الكبيرة حيث « يطيب الصيد » . ولكن غابة الأمازون فقيرة في الحيوانات البرية الكبيرة عموماً . ونحن ندرك أن هناك حيوانات تعيش في قطعان كما أن هناك القروود وأنواعاً كثيرة من الطيور والحشرات ، ولكن كل ذلك يعيش في قم الأشجار كلية تقريباً .

ومصدر الطعام لهذه الحيوانات البرية هو الأنهار التي تعج بالإسماك والسلاحف كما نجد في الأنهار الكبيرة ندييات المياه العذبة . ولهذا يتركز معظم سكان البرازيل ، بن النائن حول هذه الأنهار .

وهناك مفهوم خاطئ آخر وهو أن المنطقة غابة من الأشجار والكروم والنباتات والشجيرات لا يمكن دخولها. وفي الواقع فإن النبات ينمو بكثافة في أعلى قمة للغابة والتي تكثف فيها فروع الأشجار بكثافة شديدة وأما أسفل هذا حيث يعيش الإنسان فإن صمما كصمت القبور يلف المكان . ويؤدي غياب ضوء الشمس إلى عدم نمو النبات في باطن الغابة بكثافة ثم نجد الأحراش على طول الأنهار وفي المناطق المكشوفة نوعا حيث يصل ضوء الشمس ويسعد النبات على النمو .

ويؤدي عدم وجود أعشاب وشجيرات إلى ندرة الحيوانات التي تتغذى على الأعشاب وإلى ندرة الحيوانات المتوحشة التي تعيش على تلك الحيوانات .

وقبائل الغابة الاستوائية تملك عددا متنوعا مذهلا من اللغات البسيطة ، ولكنها متماثلة ثقافيا وبدنيا . فهم يتفقون مع السمات الجنسية العامة للهنود الأمريكيين ، ولكنهم أقصر قليلا من هنود أمريكا الشمالية أو الجنوبية ، إذ أن متوسط طول الذكور هو خمس أقدام وأربع بوصات .

وهنود الأمازون يعتمدون بصفة أساسية على المحاصيل الزراعية بينما يعتمد هنود السهول على اللحم ، الأمر الذي يقوى الفارق في الشكل . ولا يقل التماثل الثقافي على حوض الأمازون عن التماثل البيئي عليه . فالفارق البيئي الوحيد هو وضع القبائل بالنسبة لماكن الصيد الفنية . وكما ضاق نهر الأمازون وروافده عند حدود الحوض المرتفعة ، فإن الثقافة المميزة للبلاد المنخفضة تتلاشى أكثر فأكثر .

ويسمى المنحدر الشرقي لجبال الأنديز ، في المنطقة التي تقع في اكوادور وبيرو باسم « مونتانا » . وهي منطقة استوائية شبيهة لمنطقة الأمازون تماما ، ولكن فيها أصغر وأكثر صرعة ، مما يجعل الإبحار فيها أصعب حيث تعرى التربة وتفصل الأرض عن بعضها . وهذه المنطقة يصعب الوصول إليها ، ولذلك فإن القبائل

التي تعيش فيها لم يزعجها الأوربيون كما أزعجوا تلك القبائل التي تعيش في مناطق يمكن الوصول إليها أكثر .

وقبائل « الجيفارو » نموذج لقبائل مونتانا ، ولا تختلف عن قبائل الأمازون عامة إلا في سمات قليلة ثانوية . وهي جماعة معروفة جيدا ، لأن عاداتهم الشهيرة في تقليص الرؤوس البشرية وحفظها قد أثارت خيال الأوربيين كما أظهرت كما هائلا من الكتابات العلمية والصحفية عنهم . ولكن تقليص الرؤوس ليست عادة خاصة بهم وحدهم على كل حال وإنما لأنهم شعب احتفظ بحكم انغلاقه على نفسه بعادة قديمة كانت شائعة يوما ما في الغرب الشالى لأمريكا الجنوبية . وطريقة إعداد الرؤوس التذكارية ليست سرا مبها كما هو شائع فهي معروفة منذ قرون طويلة ولا يحاول الجيفارو إخفاءها .

وتكون وقبائل الجيفارو وحدة ثقافية ولغوية تشمل على ٢٠ ألف شخص . وليست هناك وحدة سياسية شاملة ولكن هناك إحساس مشترك أن الشوارا ، (كما يسمون أنفسهم) يتميزون عن الشعوب الأخرى . ولغتهم لا تشبه أى لغة أخرى .

وهناك أربعة أقسام رئيسية للجيفارو وذلك طبقا لتوزيعهم الجغرافى ، ولكن حتى في داخل هذه الأقسام هناك جماعات صغيرة مستقلة تنتقل في مجال يتركز حول جدول ماء يعتبرونه ملكهم . وهذه الجماعات لا تكف عن شحن الحرب إما على بعضها أو على أى غريب يهددهم . ولم تستطع إمبراطورية الإنكا صاحبة الأرض الأصلية أن تقهرهم أبدا كما لم يتمكن البيض طوال أربعائة عام من ذلك « فالجيفارو لا يبدو عليهم الاستسلام أو النواضع ، فعلى عكس الهندى المتحضر حق يعيشون الحرية ولا يستطيعون أن يطبقوا أى نوع من الإذلال » .

وغذاء الجيفارو والرئيسى هو محاصيل الحداثى التى يزرعها النساء . ولكن صيد السمك وصيد الحيوانات البرية يوفر لهم غذاء شهيأ على كل حال ، ويقضى الرجال وقتاً كبيراً في الصيد . والقروود والطيور هى صيدهم الرئيسى ، إذ تكثر هذه بوفرة ويحبون القروود لطعمها الشهى . والبقريات أيضاً تمثل طعاماً مرغوباً ولكن صيدها خطر لأنها مفترسة كما أنها تسير في قطعان وتهاجم جماعة .

والطريقة المتبعة في الصيد الجماع . فهم ، يستثيرون الحيوانات كي تهاجم ، ويختبئ الرجال في فروع الأشجار الكبيرة حيث يطلقوا النار أو يطعنوا برماحهم الحيوانات لتى تفرزعة .

وأسلحة الجيفارو في الصيد هى بندقية الفخ ، والرمح ، وفي العصور الحديثة عرفوا البنادق الرخيصة كذلك . ولكن بندقية النفخ هى أكثر الأسلحة قيمة ، وبصفة خاصة لصيد القروود والطيور في أعماق الغابة . وهذا السلاح البديع يتكون من أنبوبة مفرغة طولها يتراوح من عشرة إلى خمسة عشر قدماً . يمكن أن يدفع منها سهم مسموم بواسطة نفس قوى فينطلق حتى خمسة وأربعين ياردة والجيفارو هم من أسرع صيادى بنادق النفخ في أمريكا الجنوبية كما أن صيبتهم ذائع في صنع هذا السلاح .

والمشكلة الأساسية في صنع بندقية نفخ هى في صنع ماسورة مستقيمة وزائفة الملس تماماً . وهم يحلون هذه المشكلة بطريقة زكية فالصانع يقطع جزءاً من شجرة الشونت ، وهو نوع من الخشب معروف بصلابته واستقامته ، حسب المقاس المطلوب . ثم تقطع شريحتان من هذا الخشب ، كل منهما تبلغ بوصتين في العرض ، وتعالجان بالفارة جيداً حتى تستقيماً . ويترك أحد جانبي كل شريحة مسطحة والآخر مستديراً حتى يكون الجانبان المسطحان طرفاً مستديراً حين

يوضعان معاً ، ويستدق طرفهما في بوصة مدببع البوصة من ناحية وثلاثة أرباع البوصة من الناحية الأخرى . ثم يعالج عود آخر من الشونتا بالقارة ويصبح ناعم الملمس بمقاس مدببع البوصة ، وهو طول الماسورة التي ستوضع للبندقية . ثم يكتشط الجانبان المسطحان لشقتى بندقية النفخ حتى يكونان منيماً أقصر بقليل من الماسورة . وأخيراً توضع الماسورة بين الشقتين وتربط . ويصب الرمل الناعم والماء بين الماسورة والشقتين وتحرك الماسورة للأمام والخلف حتى ينعم المنيمان بالقدر الذي يجعل الشقتين يقفلان على الماسورة . حينئذ يمكن أن يخرج الماسورة وتلتصق الشقتان معاً وتعمقان بعصاره الشجر المنابة . ثم يثبت مخ من العظم في نهاية الطرف الأطول .

ويصنع سهم بندقية النفخ من الصلع الأوسط لسعف النخل ، وهو في طول الذراع وسماك عود الكبريت . ويغطي طرفه المدبب بالسهم ويربط في طرفه الغليظ قطعة من القماش المأخوذ من شجرة القطن الحريري . وتختلف تسوية السهم حسب حجم الحيوان وموضع الجرح . فالقروذ تعيش نصف ساعة بعد الاصابة ولكن الطيور الكبيرة لا تستطيع . والسهم صغير وخفيف حتى أن بندقية النفخ ستكون بلا جدوى بدون سم زعاف .

وبندقية النفخ لا تستخدم في الحروب . فالهنود يعتقدون أنها تجلب الحظ السيئ إذا استخدمت ضد الإنسان ، ولكن يمكن أن يكون السبب هو أن السهم لن يكون مؤثراً بالنسبة لحجم الانسان كما أن الانسان سينزع السهم من جسمه سريعاً لأنه يدرك خطره أو الأسلحة التقليدية في الحرب هي الرمح والدرع والأسلحة النارية في العصور الحديثة . كما يبدو أن الجيفاروقد استخدموا في وقت من الاوقات القوس والنبيل ورامى الرمح ، ولكنهم حين عرفوا بندقية النفخ في القرن السابع عشر فانهم هجروا السلاحين الآخرين .

وإذا كان الهنود يعيشون على جدول ماء كبير فإنهم يستخدمون حيلة كثيرة لصيد السمك. فحين يسكون الماء منخفضا فإنهم يقبضون سداد ينثرون فيه عماره سامه من شجيرة خاصة بذلك. وحين تسرى عماره السم في الماء فإن السمك يهرع إلى سطح الماء فرعا فيجمعه القرويون المنتظرون. كما يعيدون السمك أحيانا بشباك ومصائد بدائية، أو بواسطة الرمح. ففي الانهار الواسعة يمكن أن يعيدوا خروف البحر والدلفين بالرمح. كما أن الزواحف الضخمة مثل الكيوس والسلاحف والاسلة العاصرة والانا كنده تكثر في بعض المناطق وتوفر للهنود غذاء حين لا يجدون ما هو أشهى منها. كما أنهم يستسيخون كثيرا من الحشرات والديدان والضفادع والعقارب والثعابين. وأما غسل النحل فهو سيد الطعام عندهم، مثل كثير من الفواكه البرية. وحين يصيدوا الطيور آكلة الحب أو الفاكهة فإنهم يلتهمون ما في بطونه فورا.

ولكن غذاءهم اليومي الذي يعيش عليه الجيفارو هو ما تنتجه الحدائق على كل حال. وأهم ما يأكله الجيفارو، مثلهم مثل بقية سكان الامازون، هو جذور المنيهوت الغنية بالنشا وهي تشبه الجزر الأبيض في الشكل والمضمون. والجيفارو يصنعونه دقيقا كما يفعل بقية الامازونيين ولكن لان المنيهوت عندهم غير سام كما هو الحال عند بقية الامازونيين فإنهم لا يحتاجون إلا تطهير السم منه. والمنيهوت يستخدم عامة من أجل شراب يسمى «ينجاش» ويعدده النساء والفتيات بمضغ ملاء أفواههن ووضعها في برميل كبير ليتخمر تخمرا بسيطا.

ويزرع الجيفارو الذرة والبطاطا والقرع والكمثرى. وهم يبنون الموز أو أذان الجدى والبابايا ولكنهم لا يرعونها كثيرا. وهم يقطعون الموز وأذان الجدى غير ناضجة ويعدونها اللاء كل إما بسلقها أو بشيها. والقطن والدخان هما

أهم ما يزرعونه لغير الا كل . وهم يدفنون لدخان في شكل سيجار ، ولكنه يحول إلى عصير كذلك يدفع إلى الانف بواسطة أداة معدة لذلك . وزراعة الحدائق وتنقيتها وحصد محصولها كل ذلك من عمل النساء وحدهن ، ولا يستخدمن في زراعتها أكثر من عصا حفر بسيطة .

وأما اعداد حديثة وموقع للبيت داخل الغابة فانه عمل من أعمال الرجال وهو يتم بطريقة التقطع والحرق السائدة في المناطق الاستوائية . وتحتاج الاشجار الضخمة التي عادة من تكون من خشب صلب ، إلى جهد شاق في قطعها . يبدأ الرجل أولاً بإزالة النباتات المحيطة بالشجرة ثم يحز الاشجار الصغيرة حتى تضعف وتسقط فور سقوط الشجرة الكبيرة فوقها . ثم يأخذ عدد كبير من الرجال في محاولة قطع الاشجار العملاقة وقبل معرفة الفؤوس الصلب لم تكن الاشجار الضخمة تقطع فعلاً دائماً فكانوا يظلون يضربونها بالفؤوس الحجرية البدائية وأحياناً ما يستغرق قطع واحدة من هذه الاشجار العملاقة لصلبة أسابيع طويلة حتى تستطيع مجموعة من الرجال اسقاطها .

وما أن تجثت الاشجار وتقطع حتى تسحب مع كل الشجيرات الاخرى الصغيرة الموجودة بالمنطقة حيث تجمع مع بعضها على هيئة حزم . وما أن تقطع الاشجار حتى يفر الهنود بحياتهم وذلك خوفاً من الثعلب والعقارب والثعابين والزواحف التي تملأ المنطقة .

وقد تترك الاشجار والحشائش لعدة أشهر في الفصل الجاف حيث تحرق بعد ذلك ليقوم الهندي بزراعة محصوله وبناء بيته في نفس المنطقة .

وقد يمتلك بعض الجيفارو منطقتين أو ثلاث مناطق يقومون بزراعتها في وقت واحد غير أن حاصلاتها تظهر في أوقات مختلفة من السنة . وفي هذه الحالة

يرتبط إقامتهم في أحد القطع بمقدار كمية إنتاجها . وقد تستمر زراعة القطعة الكبيرة خمس أو ست سنوات قبل أن تقمده خصوبتها ويتحتم على صاحبها أن ينتقل إلى قطعة جديدة ليطهرها ويزرعها .

وفي العادة يقام منزل واحد كبير في الأرض المطهرة أو المقطعة حيث يأخذ الشكل البيضاوي بإرتفاع بين ٤٠ و ٨٠ قدم . وحيث يستخدم الزحف والأخشاب في البناء . ويعيش في المنزل الواحد عدد من الأسر التي تربط القرابة بينهم . وفي نهاية المنزل أوفى أحد أطرافه يوجد ما يشبه المصطبة أو الرصيف المصنوع من البامبو يستخدم كسرير ينام عليه الرجال . أما النساء فترقدن في الطرف الآخر من المنزل حيث توجد أسرة مشابهة للرجال غير أنها منفصلة عن بعضها بواسطة البامبو وذلك لكي تعطى خصوصية أكثر لهم . وينام الأطفال في الجزء الخاص بالنساء . بينما يذهب الأولاد إذا ما بلغت أعمارهم سبع سنوات إلى مضاجع الآباء .

ويتم طهو الطعام بواسطة النساء في مكان خصص لذلك بالقرب من مكان إقامة النساء في الكوخ . وطبق الطعام المعتاد لدى الجينجوارو يتكون من الفلفل إلى المطهى . وتستخدم الأفران الخشبية في شوى الذرة كي تقوم النساء في بعض الأحيان بصناعة أنواع مختلفة من الفخار .

ويقضى الرجال وقت فراغهم في غزل خيوط القطن ونسج الملابس وهما من أعمال النساء في كثير من قبائل الهنود الأمريكيين . والأنوال صغيرة رأسية تقريبا ويصنع بها قطع دائرية من القماش . وقد يصنع القماش باللون البنى بواسطة أصباغ من الخضر . ويرتدى الرجال قمصان طويلة حتى الركبة بينما ترتدى النساء قطعة مرصعة كبيرة من القماش والتي تلف بها جسدها بطريقة من شأنها أن الطرفين العلويين من القماش يشبكها سويا على الكتف الأيمن في حين يترك الكتف الأيسر عارياً .

ويتم الجيفارو بظهورهم الشخصي ويلجأ الرجال للزين مثل النساء حيث ترك
الشمور طويلة ولا تقص إلا فوق الحواجب . وترك النساء شعورهن في العادة
دون عمل صفائر بينما يقوم الرجال بجمع شعورهم خلف الرأس .

ويرتدى كل من الرجال والنساء حلقات من البامبو في اذانهم كما تضع الفتيات
في الشفة السفلى ما يشبه الخلق . وتضع العقود والاساور والاحزمة من الاصداف
والاسنان والبذور وعظام الطيور ويرتديها كل من الجنسين . وقد يرتدى الرجال
في بعض الاحيان نوعا من النيجان المصنوعة من الريش . كذلك قد يرتدى
الرجال احزمة صنعت من شعر أحد أبطال الجيفارو الذين قتلوا في المعارك .
والغرض من ذلك هو تقمص المناجرب لبعض صفات ومؤهلات البطل المنتصر
ويدعن الرجال والنساء وجوههم وبعض أجزاء من اذرعهم حتى اكناقم بلون
أحمر زيتي صنع من حبوب بعض النباتات مثل Achiot . أما عصير نبات
الجنجا فيستخدم لطلاء اللون الاسود والذي يستخدم في العادة فوق اللون
الأحمر في سلسلة من الرسوم .

ويعتبر الجيفارو من أكثر القبائل التي تقطن حوض الأمزون غير أنهم
ينتشرون على مساحة كبيرة من الأرض بحيث تكون المجموعات المحلية بمجموعات
مكثفة ذاتيا تماما . وكل مجموعة أى الجيفارو مستقلة على الرغم من أن تحالف قد
يحدث بين عدد من الجيفارو الموجودين في المنطقة . وتتكون مثل هذه التحالف
لاغراض الحرب . وأقرب الأشخاص في المجتمع لرئيس القبيلة هو قائد الحرب
الذي يطلق عليه اسم كوراكا Caraka والذي له سلطة القيادة إبان الحروب
والازمات وليس له من سلطة غير قدرته الشخصية على قيادة بقية زملائه .
كما يوجد هناك اتجاه بين عدد من الجماعات إلى التجمع تحت رابطة الدم وذلك

لأن حكم مجتمع يعتمد على التزاوج المحلى يتطلب ألا يسمح للرجل بالزواج من زوجه خارج قريته . ومن ثم فيوجد داخل القبيلة مجموعات عائلية غير ان التعاون بينها محدود للغاية وقاصر على مقاومة استغلال أو تسلط مجموعة أخرى تعيش خارج حدودهم .

ويعتبر الجيفارو منذ فترة طويلة بانهم من أكثر قبائل أمريكا الجنوبية ميلا للقتال . فالشكل العام للحرب يمثل سلسلة لا تنتهى من الالتمام وأخذ الثأر بين المجموعات غير المتقاربة للقبائل الجيفارو . أما العمل العدائى ضد جماعات غير الجيفارو فنادر . ويعتمد على غزوات الثرباء النادرة أو المنتشرة والتي تنفق على دخولهم إلى حدود أراضيهم . ففي هذه الحالة يتحد الجيفارو مع بعضهم وتوضع الخطط وتكون حربا يسفك فيها الكثير من الدماء .

وأكبر طموح لرجل الجيفارو أن ينصب محارب حيث يكتسب هذا المركز عن طريق جمع أكبر عدد من الرؤوس التي يقتلها .

وكقاعدة عامة ، تنحصر غارة الجيفارو فى الأمور الخطيرة . فبعد أن تقرر الجماعه سن الغارة وتقيم احتفالات راقصة طوال الليل لأعداد المحاربين ترسل مبعوثا إلى معسكر العدو لتحذيرهم وتنذرهم بقدوم الغارة حتى يكونوا مستعدين . ويرسل هذا التحذير رغم أن كل الخطط التى توضع فى هذا الشأن يراعى فيها أن يأخذ فيها العدو على غره .

وفى حالة الحرب ضد البعض أو جماعات لا تنتمى إلى قبائل الجيفارو لا يراعى ارسل مثل هذا التحذير وتبذل كل محاولة للقهر وإبادة المعتدين . وفى الغارات الدموية الناجحة يقتل الرجال والمسنين أما النساء الصغيرات

والأطفال فيأخذوا في العادة كأسرى . ثم يلجأوا بعد ذلك في المجموعة الغارية ليصبحوا زوجات أو يتبنوا كابناء وبنات . وقلما يحاول الأسير الفرار .

والفرض الأساسي من الغارة هو جمع رؤوس المحاربين الأعداء فمجرد أن تنتهي المعركة يمكن كل محارب على قطع رؤوس هؤلاء الذين قتلهم . وأخيراً بعد أن ترحل الجاعة المحاربة إلى مكان أمين يقيمون خيمتها ومن ثم يبدأون في سلب فروة الرأس . والتي تسمى باسم Tsantas . ويأخذ جلد الرأس بعد ذلك لثقلها عدة ساعات إلى أن تنكمش ويصبح حجمها حوالى ١/٣ حجمها الأصلي . يوضع بعد ذلك أحجار ساخنة أو رمال داخل الرأس لإكمال عمليات التقطير والتجفيف . وأخيراً تدخن الرأس لمدة ثمان ساعات وذلك لكي تحفظ كما يبيع جلد الوجه . وحينما يصل المحارب إلى قومه حاملاً معه التسانتاس Tsantas وهي علامة النصر الكبير تقام حلقة رقص حول تلك الرؤوس وعلى النقيض من عادات عديد من قبائل الأمزون المحاربة لا يضحى بالأسرى ولا يأكلوا .

وتبذل كل المجموعات مجهودات كبيرة في التعاون للدفاع ضد الغزوات أو الهجوم المفاجيء . حيث تفرع الطبول في دقائق معينة لجمع الجيران كما أن الإقتراب من القرية يكون مصحوباً بوضع المناريس والفخاخ . ويحاط المنزل الرئيسى دائماً بسور متعرج من الألواح الخشبية كما تحفر انفاق للهرب تبدأ من المنزل وتقود إلى حافة النهر إذا كان قريباً . ولا بد للزائر الغريب أن يمضي بضعة ساعات قبل أن يقترب من قبائل الجيفارو حيث تطلق المجموعة المقربة عدد من الطلقات النارية والصيحات لا تعطى إنذاراً بوجودهم وبعد ذلك تستعد المجموعة المصنعة للاستقبال والترحيب بالزوا . ولذا لم ترعى أصول الاعلام من قبل المجموعة المتعربة فربما يتعرض الزوار للمهجم من قبل بعض الافراد .

وقد ترتب على استمرار الحروب سيادة المرأة في مجتمع الجيفارو ومن ثم سيادة نظام تعدد الزوجات . فالشاب عادة ما يتزوج الزوجة الأولى من أبناء عمومته من القرى الصديقة المجاورة غير أن الزوجات الأخريات يحصل عليهن عن طريق الأسر أو الإغارة وأحيانا تشتري فتاة غير بالغة من أبيها أو من أخيها . وفي العادة لا يرغب الرجل المرأة التي لا تبادله العاطفة ولذا فاعرفة بين الرجل والمرأة ضرورية قبل أن يحدث الزواج . ولكن الزوجة تزور عائلتها باستمرار ، كما أن لرجل وحاه وحامته وكذلك الزوجة ووالدي زوجها فجميعهم يحترموا قواعد الآداب والعادات التي تنتشر في العالم البدائي .

سبب آخر لتعدد الزوجات وهو ممارسة العادة اليهودية المتضمنة أن يتزوج الأخ زوجة أخيه المتوفى ، كما عليه أيضاً رعاية أطمهاله . وليس هناك إجبار على الزوجة أن تتزوج شقيق زوجها ولكن في العادة تتزوجه .

ويجب ألا يأخذ نظام تعدد الزوجات على أن المرأة تعيش في المجتمع الجيفارى حيث نجد أن هناك رابطة عاطفية قوية تربط بين الأزواج والزوجات حتى بالنسبة للنسب غير الناضجات والمشتريات لأزواجهن والغيرة بين زوجات الرجل نادرة وتكون الأسرة التقليدية للجيفارو من رجل كبير وزوجة تقربه في سنه وأخرى يتراوح عمرها بين ١٦ و ٢٠ سنة وثالثة طفلة غير ناضجة ويربط هذه النسوة رابطة حب قوية حيث يتحمل كل منهم الواجبات الزوجية بالتساوى . وطبيعة العاطفة للنسوة الثلاثة مختلفة باختلاف أعمارهن ولذا فالخلاف بينهم ليس بنى قيمة .

وعلى الرغم من أن أى مجموعة من الأقارب تكون شديدة الريبة والشك وقوية البأس ضد الأغراب إلا أن الصداقة والعاطفة تسود بين أفرادها . وهنا

يركز الإهتمام على كرم الجيفارو وحسن ضيافتهم وسلوكهم الطيب . وقبائل الجيفارو مثلهم مثل معظم هنود أمريكا مغرمين بالغناء والآلات الموسيقية . ومن ثم فيصاحب الرقص والحفلات عادة مجموعة غنائية كما يستدعى غالباً المغنيين المشهورين للأداء المنفرد في هذه الحفلات. ويوجد عديد من الأغاني فمنها للحب ومنها للحرب أو العويل وما إلى ذلك ويلعب الرجال على مزامير مختلفة صنعت من البامبو وذلك في المناسبات الحزينة أو المفرحة . أما الطبول فتصنع من جلود ثعابين ضخمة وهي تستخدم في العادة للإشارات وليس كأدوات موسيقية . كذلك يستعمل النغير الطويل في الإشارات ولكن يستعمل أيضاً في حفلات الرقص ، كما تستخدم طبول دائرية صغيرة يصل طولها عشر بوصات في مناسبات الرقص . وأغرب الآلات الموسيقية المستخدمة عند الجيفارو كان بدائية صغيرة تعرف باسم كوركور querquer يصنع صندوق الصوت فيها من أخشاب الأرض ولها وتران يتردد منها الأنغام . ويتم العزف عليها بواسطة قوس صغير به شريط من الروطان . ولا يعزف بهذه الآلة إلا حيناً يكون العازف منفرداً في بيته أو حين يستدعى في المناسبات الحزينة . والموسيقى الصادرة من هذه الآلة تسم بالحزن الشديد كذلك يبكي العازف أثناء عزفه .

والجيفارو مولع بالأطفال ومن ثم ينظر للزواج على أنه وسيلة لإنجاب الأطفال ولذا فالمرأة العاقر تهجر لهذا السبب . وحينما تحمل المرأة ولا سيما إذا كانت للمرة الأولى فإن زوجها وجميع الأقارب يتوددون إليها ويماملونها بلطف ، وإذا ما جاء وقت الخوض تعطى مشروباً يحتوي على مسحوق من العشب وذلك تخفيفاً من لآلم الوضع . ويتم الولادة والام جالسة أو نصف واقفة . وبعد الولادة تأخذ الام والطفل للاستحمام في النهر ومن ثم تبدأ الام في أن تستأنف واجباتها الخفيفة .

وللى أن يتمكن الطفل من السير يبعده الاب عن اللحم الحيواني ويعض النباتات وذلك خوفاً على روح الطفل . ولا يأتى الاب إلى سرير الطفل فى أى وقت على الرغم من أن هذه العادة والى تعرف اسم كوفادى cowvade سائدة فى القبائل المجاورة كما أنها توجد فى مناطق متعددة من العالم ومن بينها منطقة الباسك بأسبانيا .

ويعطى كل الكبار فى هذا المجتمع جل اهتمامهم للاطفال الذين لهم حرية كبيرة ولا يعاقبوا إلا نادرا ، ومن ثم فهم مثل بقية أطفال العالم البدائى ينشئون على احترام وإجلال الكبار . وحنما ينمو الاطفال تعتنى القتيات معظم وقتهن مع النساء لتعلمن كل الأمور التى سوف تعهد لىهن عند النضج . أما الصبية فيرافقوا الرجال فى صيدهم وكذلك فى حروبهم إذا ما بلغوا من العمر السابعة أو الثامنة على الرغم من أنهم لا يشتركون فى الحرب إلا بعد بلوغهم مرحلة النضج . ولا يوجد فى هذا المجتمع طقوس تصاحب البلوغ . وإن كان يقام حفل صغير للفتاة بعد بعد بلوغها ينفخ فيه الدخان عند أنفها أما بلوغ الاطفال فيصلح بإقامة وليمة ومن ثم فليس هناك طقوس سرية .

وعلى النقيض من جماعات بدائية كثيرة لا يرجع الجيفارو كل أنواع المرض إلى سحر الشامان أو العدو على الرغم من أن بعض الشامانيين يزعمون أن لديهم القوة التى تسبب المرض والموت . فالبرد والحمى والدستريا كلها أمراض ينظر إليها على أنها طبيعية . ويبدو أن الجيفارو يفهم معنى العدوى ذلك المعنى الذى أدركه من تجربته مع أمراض البئض ومن ثم فلهذه معزل يعنون منه الشخص الذى تظهر عليه الأمراض المعدية . وبعض الأمراض تسببها فى اعتقادهم أرواح شريرة تدخل الاجسام والشامان فى هذه الحالة قادر على شفاء المريض

- ١٠٤ -

عن طريق طقوس الهنود الأمريكيين . فيحدد أن يمض الجزء المريض لفترة طويلة يندفع فجأة من المنزل كاتم أنفاسه لأنه امتص الروح في معدته ، وفي خارج المنزل يتقى لتخرج الروح الشريرة من معدته وبشيء من العظمة يأمر الروح الشريرة أن تغادر المنطقة . ويعاون جميع أهل المنزل الشامان في هذه اللحظة عن طريق الصياح لكي تهرب الروح .

وحيثما يموت الجيفارو يوضع في قارب صغير محفور أو في كتلة خشبية بحفرة صنعت لهذا الغرض حيث يوضع مع المتوفى أ سلحته المفضلة ويغطى الكفن بقطعة من لحاء الأشجار ثم يعلق في طرف عمود المنزل لتستمر مراسم الحداد ستة أيام . وإذا كان المتوفى هو قائد الحرب Caraka في المنزل فإن المبنى يهجر بعد أن توضع الأطعمة على أرضه . ومن ثم فإن الجيفارو يأتي بكل شهر وذلك لفترة عامين من أجل تحديد الطعام . وإذا كان المتوفى شخص ليه أهمية فقد يهجر البيت وبعد ستة أيام من الحداد يوضع الكفن في مقبرة صغيرة بنيت قريبة من أجل ذلك الغرض . والنساء المتوفيات تعاملن في المراسم الجنائزية مثل معاملة الرجل العادي . ومن المعتقدات السائدة لدى الجيفارو أن الأطفال يتحولون إلى طيور صغيرة بعد موتهم ومن ثم فليس هناك ضرورة للحفاظ على الحبة . ومن مراسيم الحزن أن تمتن المرأة في البكاء والعويل طوال الستة أيام أما الرجال فيغيّبوا عن المنزل .

ويعتقد الجيفارو أن الميت سوف يعود إلى الحياة مرة أخرى في شكل حيوان . أما قائد الحرب فسوف يولد من جديد على هيئة نمر الجاجوار وسوف يتجه للمعيش في العاية بالقرب من العدو ليواصل محاربته كما كان يفعل في حياته الدنيا . وقال أن استمرار تقديم الغذاء لمدة عامين إلى جثة القتائد الحربى

ضرورة لكي تستطيع روحه المثلة في حيوان الجاجوار أن تكبر وتتمكن من الدفاع عن نفسها . وبعد انقضاء تلك المدة تنزل الجثة وتدفن العظام .

وتحمل معتقدات الجيفارو بين ثنائيا قليل من النعالم المسيحية حيث خضع الجيفارو لتأثير الإرساليات المتناثرة داخل حدودهم منذ بضعة مئات من السنين، وكثيرهم من الجماعات البدائية أدخلوا في معتقداتهم بعض الصناعات الأجنبية بسهولة إذ أن معتقداتهم ليست ثابتة أو متجمدة. فأسطورة الخلق لديهم تتمثل في قصة الكوبارا Cupara وزوجته الذي خلق الشمس وزوجة الشمس والقمر خرج من الوحل وأن أبناء الشمس والقمر أنواع مختلفة من النباتات والحيوانات بما فيهم ذلك الدب الكسلان Sloth الذي أصبح الجد الأول للجيفارو ونبات المانيك أصل النيجيمانشي Nijimanche وهم خير أصدقاء للجيفارو . وترتبط بهذه الشخصيات كثيرا من القصص التي تحكي مغامرات عديدة والتي تكون بصورة أو أخرى عناصر حضارة الجيفارو . ومن خبر الأمثلة لهذه القصص التي تنتشر انتشارا واسعا بين هنود أمريكا قصة الإله التوأم Twin Gods . ففي اعتقاد الجيفارو أن الجاجوار قتل زوجته غير أن والدة الجاجور قد ربت سرا ابنائه النوم واللذان أصبحا فيما بعد نيمان . وبعد أن كبرا عادا إلى الأرض ليتنقلا لأمهم بقتل الجاجوار ثم صعدا ثانيا إلى السماء بواسطة سلسلة من الاسهم . هناك أسطورة أخرى خاصة بالطوفان ولا نعرف على وجه الدقة عما إذا كانت هذه الاسطورة من تأثير الإرساليات المسيحية أم لا . وتعتمد ديانة الجيفارو على فكرة وجود قوة خارقة تعرف باسم تساروتاما Tsarutama . ومثل هذا الاعتقاد ينتشر انتشارا واسعا في العالم البدائي ويتفق مع معتقدات البولونزين في المانا Mana . فالاشياء المادية والاشخاص والارواح كلها مسيرة بدرجات متقاربة من قوة التساروتاما ، وحيث أن هذه القوة غير غير شخصية فهي تستعمل للخير والشر على السواء . أما آلة المطر الذي يعيش في

قم الجبال المرتفعة فلدية قوة خارقة مثل قوة الإله أناكوندا Anaconda الذى يعيش فى مساقط النهر. كذلك يمثل النمر والشمس والارض وبعض النباتات قوى خارقة فى مجتمع الجيفارو . ويدخل أيضا ضمن قوة الناساوتاما أنواع بعض الجبوب والاحجار وأسنان الجساجوار وجاجم قتلى الحرب والتسانتساس Tsantsas .

ولا يوجد فى مجتمع الجيفارو آلة تصنع القواعد المادية والروحية لهم فلا يوجد رجال للدين أو أى شخصية دينية متخصصة فيما عدى الشامان الذى تنحصر مهمته الرئيسية فى شفائه السحري للمرضى . وتتركز قوته فى معرفة الأرواح فى الما يتوصل لمعرفة الروح التى تسبب آلام فى جسم المريض فهو يعرف الطريقة التى يأمر بها ليطردها من جسم المريض . وبما أن الشامان لديه القدرة على التحكم فى الأرواح إذ فبإمكانه أن يرسل المرض إلى الناس كما بإمكانه أن يمنع عنهم . ولهذا يتمتع الشامان بمركز مرموق فى مجتمعه لأن شخصيته مهيبة .

والرجل الشاب الذى يرغب أن يكون شامانا عليه أن يذهب إلى شامانا أكبر يكن له الإحترام ويسأله عن التعليمات الواجب اتباعها . فإذا ماوافق الشامان على ذلك فإنه يدربه على ذلك لمدة شهر وتتكون معظم التدريبات فى الصوم وتناول أنواع متعددة من المكيفات بما فيها ذلك الدخان الذى يتفح فى الأنف . وفى المراحل النهائية من التدريب يشعر المبتدئ أن الأرواح قد استولت على جسده وذلك من أثر المكيفات . وبعد ذلك تعطى له التعليمات الخاصة بالطرق العملية للتحكم فى أمراض الأرواح المخلفة . ومن بين هذه الطرق ترتيب بعض الاعانى الخاصة المصاحبة لطبلة الشامان .

وإذا أراد الشامان أن يرسل روح المريض إلى جسد شخص ما لى يمرضه

فإنه يذهب بمفرده إلى النهر ليستدعى الروح كما أن دخان التبغ لا بد وأن يطلق في اتجاه مكان إقامة الروح مع ترنيل أغاني معينة لكي تجلب الروح . وقد تذهب الروح كالقذيفة إلى جسد الضحية وما أن تصل هذه الروح إلى جسد الضحية حتى لا يصبح للشامان أى قوة لشفائه ومن ثم فعلى شامان آخر أن يتولى هذا الأمر .

والشامان واجبات أخرى إلى جانب ذلك إذ يعتبر حكيم قومه كما أنه يتمتع بنفوذ كبير . ونظراً لغيبة التنظيم السياسى بين الجيفارو لذلك يعتبر الشامان أهم شخصية لها نفوذ في المجتمع ففي كثير من الأحيان فهو قائد الحرب إلى جانب شامان . كذلك ببعض معلوماته الخاصة بالقوى الطبيعية الخارقة قد توضع في خدمة المجتمع بطرق عديدة إلى جانب الشفاء . فهو يستطيع أن يعد جرعة الحب للرجل الشاب الذى من شأنها أن تساعد على اخذ زواجها التى يريد . كذلك من بين أعماله الأخرى العمل على التحكم فى الأمطار والفيضانات ومطاردة أرواح الأعداء وما من شأنه أن يصنع القوة على مجتمعه .

وبما هو جدير بالذكر أن أول ذكر ورد لقبائل الجيفارو فى التاريخ الحديث يرجع إلى منتصف القرن ١٥ حينما بذلت محاولة عديدة من جماعات الأسكا - وذلك تبعاً لتقويمهم - لتوسيع أمبراطوريتهم على حساب أراضي الجيفارو . وقد فشلت هذه المحاولات ربما بسبب عدم تأقلمهم لطبيعة مناخ وأراضي الجيفارو ذلك بالإضافة إلى مهارة الجيفارو فى القتال . وبعد مضي قرن من الزمان حينما تمكن الأسبان من قهر أمبراطورية ألانكا أرسلت بعثة تحت قيادة بينافينتي Benavente إلى مناطق الجيفارو ووصف مناطق استقرارهم بأنها أسوأ أراضي شاهدها على الإطلاق فى حياته فلم يرى مثلها فى أسبانيا أو أى جزء آخر من أراضي الهند التى رحل إليها، كما ذكر أن الجيفارو عاريون ويعتمدون على أنفسهم

اعتماداً كلياً وفي وصف ينساقني لسكان هذه المنطقة أطلق عليهم لاسم جيفارو حيث ظل هذا الاسم لاحقاً بهم حتى وقتنا الحاضر .

وقد بذل الأسبان محاولات عديدة للاستيلاء على موطن الجيفارو وتمنحنت هذه المحاولات على اكتشاف مناجم الذهب في عديد من المجارى العليا للأنهار . ولم يهاجم الجيفارو الأسبان القادمين في بادىء الأمر ولكن حينما بدأ الأسبان يفدون بأعداد كبيرة إلى أرض الجيفارو وحينما بدأوا يمارسون ضغوط جيفارية ومادية منهم كاستخدامهم كرقائق قام بسلسلة من الثورات المحلية والغزوات التي بدأت في عام ١٥٩٩ وهى نفس العام الذى قامت فيه ثورة هنود Araucanians في شيل . وقد كانت هذه الثورة نجاحاً كبيراً للجيفارو حيث قتل معظم الأسبان في مناطق كثيرة ون بقى منهم فر . حدث بعد ذلك أن أرسلت أسبانيا حملة حربية إلى منطقة الجيفارو غير أنها ألبدت ومن ثم توقف تغلغل الأسبان إلى هذه المناطق .

وقد بذل الجيزويت عدة محاولات لإقامة مدن تبشيرية غير أن هذه المحاولات لم تكمل بالنجاح حتى النصف الثانى من القرن ١٨ . فقد تمكن أحد المبشرين ويدعى الأب أندرز كاماشو Andres Camacho من أن يرسل بمفرده إلى هناك من أجل اكتساب ثقة عديد من مجتمعات الجيفارو وبالفعل تمكن من تحقيق بعض النجاح . غير أن جماعات الجيزويت قد طردت من العالم الجديد في عام ١٧٦٧ بواسطة الملك شارل ٣ ومن ثم أسدل الستار عن محبودات البعثات التبشيرية في هذه المنطقة . ذهبت بعض ذلك في فترات متفرقة بعض أساقفة الدومينكان غير أن ماحقته هناك وانتشار أمراض الجدري بين الجيفارو الذين ليس لديهم مقاومة لهذا المرض . كما أن حروب الإستقلال في أمريكا اللاتينية والتي أغلقت

أوكادور وبيرو ولم يكن هناك مفر من إبعاد الإضطرابات عن أراضي المونتانا وذلك حتى منتصف القرن ١٩ حينما أسست لإرساليات متعددة، ورغم ذلك لم تنجح أى إرسالية في التأثير على عدد كبير من الهنود الأمريكيين .

وربما كان أعظم تأثير حضارى نتج عن احتكاك الرجل الأبيض بهنود المونتانا ومثلهم في ذلك مثل بقية الهنود الموجودين في حوض ألامازون هو معرفة المطاط واستغلاله . فإقليم المونتانا من الأقاليم التى كانت تقسم بوجود كميات كبيرة من المطاط الطبيعى وذلك حينما بدأ العالم يبحث عن المطاط الخام ومن ثم فمنذ عام ١٨٧٠ بدأ التسايرىخ الحقيقى لإزدهار حوض الامزون حيث بدأت عديد من الدول ترسل إلى تلك المنطقة البعثات الكشفية. وقد تمكن الرجل الأبيض في أجزاء عديدة من حوض الامزون من أن يحتكوا بالسكان الأصليين نفي غضون الفترة القصيرة للعصر الذهبى المطاط الطبيعى التى انتهت في عام ١٩١٠ حينما بدأ ظهور مزارع المطاط الحديثة في أندونيسيا تمكن الجيفارو من الاتجار مع الأوروبيين والإحتكاك بهم فعرفوا البنادق والفؤوس والسكاكين . ومنذ عصر المطاط الطبيعى وجد الهنود طريقة للاتصال باليضائع الأوربية من مراكز بعيدة ولكنهم ظلوا مطاردين لآى محاولة للسيطرة عليهم أو التغلغل في حياتهم . حقيقة قد تمكن بعض الرجال والعلماء من الإتصال بقبائل الجيفارو حيث استقبلوا استقبالاً كريماً من جانبهم غير أن نظام مجتمعهم قد بقى على ما هو عليه ليمثل مجموعة من أنقى القبائل الأصلية الموجودة في العالم .

قبائل التانجوس

The Reindeer Tungus of Siberia

قبائل التانجوس

ما زالت تحتوى الاراضى المترامية الاطراف فى سيبيريا على بقايا عدد من القبائل القديمة . حتى القرن ١٦ كان يقطن معظم سيبيريا عناصر بدائية ليست على صلة بالعالم الخارجى ، كما أن اتصالها بروسيا الاوربية كان محدوداً للغاية وقاصر فقط على بعض المغامرين والراغبين فى التجارة والذين ذهبوا الى هناك فى بعض الاحيان وقد خضعت هذه المناطق لهجمات التتار والمغول والتي اتجهت صوب الغرب فى غضون القرن ١٣ وحيث فتحت لروسيا تدريجيا فيما بعد لتسقط تحت نفوذ روسيا فى عام ١٥٨٠ . ومنذ هذا التاريخ فقد شهدت سيبيريا تغلغلا تدريجيا الروس ومستعمراتهم والتي واكبت أيضا امتصاص وإذابة بطيئة للسكان الاصليين .

وقد ظلت أواسط آسيا لعدة قرون اراضى البدو الرعاة الذين يتجولون فصليا بغية الحصول على مرعى لقطعان أغنامهم وأبقاعهم وخيولهم . وربما انحدرت هذه الحيوانات المستأنسة من مراكز العصر الحجري الحديث الكبرى التي وجدت فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط وفى الهند وأواسط الصين . ومع انتشار هذه الحضارة لم تدخل الزراعة الاقتصاد المستقر المتطور فى المناطق الصحراوية المجاورة لمراكز نشاطها كذلك إلى مناطق الاستبس والسلاسل الجبلية فى وسط آسيا واقصر انتشارها على بعض المناطق المحدودة التي لامت فيها الظروف الجغرافية قيام هذه الحضارة .

وحيث أن هذه الحضارة اعتمدت على استئناس الحيوان فقد انتشرت صوب الشمال إلى الغابات الشبه قطبية المترامية الاطراف فى سيبيريا غير أن قطعان الماشية والاغنام والحقول لم تتمكن من العيش فى هذه المناطق الباردة فترك

فكانها لا تستئناس حيوان الرنة . وقد ظل الصيد رغم ذلك اساسا هاما في اقتصاد القبائل التي ترعى الرنة .

وتتضمن المناطق القطبية في امريكا الشمالية عروضاً متشابهة لتلك التي توجد في آسيا فالمناطق الجنوبية تتكون من نطاق غابي كبير يتدرج صوب الشمال إلى نطاق يحتوي على اشجار اصغر وشجيرات . وإلى الشمال من نطاق الغابات عند تلك السهول المعروفه باسم التندرا أو كما تسمى في كندا باسم الاراضي الجذباء ، وإلى الشمال من تلك المنطقة يوجد المحيط المنهمممد الشمال ولكن رغم هذا التشابه الواضح بين العروض القطبية في كل من القارتين السابقتين إلا ان اقتصاد البحر واليابس في كل من القارتين مختلف تماما .

ففي امريكا الشمالية يقطن حدود البحار القطبية جماعات الاسكيمو الذين لاءموا حياتهم لصيد الثدييات البحرية إذ ان التندرا يجذبهم تماما وان الموارد المحدود هي مصدر معيشه الأعداد القليلة من الاسكيمو ومجموعات الهنود الامريكيين .

أما في آسيا فعلى النقيض فتتجسر منطقة صيد الثدييات البحرية في منطقة ساحليه واحده فالبحر على طول الساحل صخيل ، كما ان الاراضي منخفضة مستنقعيه بحيث لا يستطيع الانسان يدين استخدام سفن صيد الحيتان أن يصل إلى الثدييات الكبرى .

غير ان التندرا والغابات المتاخمة لها في سيبيريا تضم حضارة ارقى ومن ثم يقطن في تلك المناطق مجموعات سكانيه أكثر من تلك التي تعيش في نفس العروض بأمريكا الشمالية .

وينتشر الصيد البري وصيد الاسماك إلى جانب تربية الرنة . ويمتد قوس كبير يضم رعاة الرنة أبتدأ من شمال اسكنديناوة وعبر التندرا ومن خلال حدود

الغايات الشمالية إلى شبه جزيرة شوكشى Chukchi إلى بحر بهرنج . ويضم نطاق رعاة الرنة في الوقت الحاضر ألاسكا أيضاً حيث أحضرت الحكومة الأمريكية القطعان السيرية وذلك لمساعدة الإسكيمو . وفي كل هذه المنطقة لا يعتمد الاهالى على أى محصول زراعى كما أنهم لا يمتلكون أى حيوان مستأنس سوى الكلب.

واستخدام حيوان الرنة بين رعاته يختلف اختلافا كبيرا على الرغم من تشابه البيئة ويبدو أن اختلاف الاستخدام يرد في المقام الأول إلى الأصول المختلفة لمعادات الرعاة ، فبعض الجماعات الغربية مثل جماعات اللاب في شبه جزيرة اسكنديناوة يعتمدون على الأيل deer في الحصول على الالبان والاحوم والجلود كما يستخدمونه في اجتذاب حيوانات المطية . ويحتل أنهم عرفوا قلب الاستخدامات عن طريق جيرانهم الجنوبيين . أما على التخوم الشرقية من الإقليم حيث توجد جماعات الشوكشى Chukchi الكوريك Koryck بالقرب من بحر بهرنج نجدهم لم يستأنسوا قطعانهم استئناسا كاملا إذ يستخدمونها فقط . في جر زحافتهم بطريقة تشبه استخدام الكلب في هذا الصدد . أما في المناطق المحصورة بين الاطراف الشرقية والغربية فتوجد جماعات التانجوس أو رعاة رنة التانجوس الذين يمثل الياقوت Yakut أكبر جماعاتهم كما أن قبيلة سويوت Sonut الصغيرة تبدو وكأنها تمثل نموذجا للمعادات والتقاليد الرعوية السائدة في بيئة رعاة الخيل . ففي هذه المنطقة تحلب الرنة مثلما تحلب الخيول في أواسط آسيا ، كما تستخدم أيضاً في الخل والامتطاء . وأسراج التانجوس تشبه أسراج خيول المغول كما أن كثيراً من تقاليد وطرق الامتطاء وإعداد المطية لديهم تشير إلى وفود هذه التقاليد من الجنوب صوب الشمال .

وتنتشر لغة جماعات التانجوس انتشاراً واسعاً في شمال شرق آسيا حيث

تنقسم إلى مجموعتين لغويتين شمالية وجنوبية . وهذا التقسيم يتفق بصفة عامة مع نمطين من الاقتصاد يسود بينهم . أما عن الجماعات الجنوبية أو التانجوس الجنوبيون فيقتطعون أساساً في منشوريا ومنغوليا الخارجية Outer Mongolia حيث يمارسون بعض الزراعة إلى جانب تربية قطعان الماشية والخيول للجماعات المانشو Manchus الذين هزم أجدادهم الصين في عام ١٦٤٤ يعتبروا خير الامثلة لتانجوس الجنوب . أما تانجوس الشمال الذين يعتقد بأنهم دفعوا إلى سيبيريا من موطنهم الاصل في منشوريا تحت ضغط جماعات اقوى منهم في الماضي فهم رعاة رنة في الاصل وصيادين فيما عدا بعض الجماعات النهرية الصغيرة وكذلك بعض القبائل الساحلية مثل قبيلة الجولدى Gold والجيليك Gilyak والذين يعتمدوا في حياتهم أساساً على صيد السمك . وينتمى كل الجماعات المتحدثة بلغة التانجوس إلى المجموعة المغولية، غير أن بعضهم يتصف بأن وجوههم أقل عرضاً وفلطحاً من وجه المغول الحقيقيين الذين يقطنوا الجنوب .

وينتشر رعاة الرنة الذين يربوا عددهم على ٢٠ ألف نسمة على هيئة قبائل صغيرة مستقلة تعيش على مساحة واسعة من الارض تمتد من شرق سيبيريا ابتداء من نهر يانسي وحتى شبه جزيرة كتشكا . هذه القبائل التي تعتمد اعتماداً كلياً على الرنة تعيش في شمال بحيرة بيسكال إلى الشمال من خط عرض ٥٥° ش . وهم لا يطلقون على أنفسهم اسم تانجوس كما أنه لا يوجد مثل هذا الاسم لدى أى مجموعة منهم فبعض القبائل المنفردة تدعى لنفسها اسم ايفنكي Evenki وهو مصطلح لا يعرف معناه الاصل على وجه الدقة غير أنه من دراسة مضامين استخداماته فربما يعنى شعب People . بعض الجماعات الاخرى من التانجوس الرعاة تعرف باسم الاوروكون Orochon أو مربى التانجوس . أما مصطلح تانجوس فتد أطلقه عليهم جماعات الياقوت وأخذوا عنهم بعد ذلك المستوطنين

الروس . أما الآن فيستخدم هذا المصطلح استخداما علميا فيطلق على كل المجموعة اللغوية المتحدث بها .

في فصل الشتاء تغطي معظم مناطق التانجوس الشمالية بالغابات التي تسمى باسم التانجا وحيث يخترقها عدد من الانشاءات النهرية التي تساعد في فصل الصيف على خلق منطقة مستنقعية متسعة كذلك التي توجد في قيعان لاودية النهرية الكبيرة . والتربة فقيرة لا تصلح للزراعة كما أن فصل النمو قصير جدا غير أن الأراضي الغابية والمستنقعية تغطي بالطحالب والشجيرات والصفصاف القرمي وغيرها من الحشائش التي يأكلها حيوان الرنة . وفصل الشتاء طويل كما أنه بارد جدا حيث تنخفض درجة الحرارة إلى 80°F ، ويستمر الطقس المثلج المتجمد من أوائل أكتوبر وحتى شهرى مايو ويونيو . وتساقط الثلج خفيف كما أن غيبة الغطاءات الجليدية تساعد على تجمد التربة لآعماق كبيرة .

ويسود المستنقعات كل المنطقة الموجودة في شمال شرق آسيا فيما عدا قم التلال والجبال وذلك لإبان فصل الصيف ، كما أن التجمد الذي يتسرب إلى الأرض إلى أعماق بعيدة لا يذوب إلا في الأجزاء العليا فقط وذلك في فصل الصيف ، ومن ثم فالأحوال الناتجة عن ذوبان التربة العليا والتي تصل إلى بضعة أقدام لا تجف خلال فصل الصيف القصير ، كما أن المياه الناتجة عن الذوبان لا تجف منفذا لإنصرافها إذ أن الطبقة السفلى من التربة ما تزال متجمدة . ومع نهاية فصل الصيف تعطى الأراضي التي يمكنها أن تجف مظهراً لتربة صلبة ولكنهما في العادة لا تمثل إلا قشرة يمكن أن تنهار بسهولة .

وسهول التندرا المتجمدة والتي تمتد صوب الشمال إلى ما وراء نطاق أشجار الزان تمثل بيئة رعوية أفضل من الغابات في فصل الصيف ومن ثم تتحرك بعض

الجماعات اليها لخلال فصل الدفء . ولا توجد هناك حشائش بكثرة ولكن توجد بعض شجيرات الصفصاف والحشائش القصيرة. ولا بد للحيوانات أن تأكل ما تستطيع أكله وتسمن في هذا الموسم إذ عليها أن تقاوم الشتاء القاسى حينما تضطر إلى الرعى فوق الجليد للحصول على القدر اليسر من الطعام والمثل في طحالب الرنة والتي تعتبر الغذاء الرئيسى لفترة تتراوح ما بين ثمانية وتسعة شهور . وفى خلال فصل الشتاء على وجه الخصوص لا بد للقطعان من التحرك الدائم وذلك لأن تراكم الجليد قد يحول دون قدرة الحيوان على التنقيب . ونتيجة لذلك فعلى جماعات التانجوس أن تجوب فوق مساحة واسعة ومن ثم فكثافة السكان فى هذه المناطق قليلة جد حيث تصل الكثافة إلى شخص واحد لكل ١٠٠ ميل^٢ .

أما فى فصل الصيف فيعانى حيوان الرنة كثيراً من الذباب والناموس بحيث إذا ما تركت الحيوانات بدون رعاية فإنها تمزق وتمرض . ولذا فيضطرب التانجوس لمطاردة تلك الحشرات وذلك عن طريق إشعال النار وتكثيف الأدخنة حول المنطقة التى ترعى فيها الحيوانات أثناء النهار . ويحدث الرحيل عادة أثناء الليل فى فصل الصيف وذلك لتجنب الحيوانات المضاربة . أما فى الشتاء فتمثل الذئاب خطراً كبيراً على الرعى حيث يفقد القطيع فى العادة ما يقرب من نصف عدده بسبب الذئاب أثناء فصل الشتاء حيث يرتفع عدد لضحايا بين صغار الحيوانات وضعافها . وفى العادة يخرج القطيع للرعى أثناء النهار ويبقى إلى جانب المعسكر أثناء الليل وذلك حينما تبدأ الذئاب فى التجوال .

والرنة الذى يمتسكه جماعات التانجوس من سلالات مرعاه وليس مستأنس من أصول بريه فلون الرنة ربما يكون أسود أو أبيض أو الاطيايف المختلفة من اللون البنى وذلك على النقيض من اللون البنى الرمادى الذى يميز الانواع البرية

وقد يلحق في بعض الاحيان ذكور الرنه البريه بالقطعان المستأنسة وذلك أثناء فصل التزاوج ولكن يعتمد التانجوس لقتلهم وقتل سلاتاتهم المختلنة وذلك لإعتقادهم بأن الاصول البرية لا يمكن استخدامها . والرنه المستأنس وضع محترم حيث يلتحقوا بمسكرات التانجوس وذلك لحاجتهم إلى الملح وإلى مخلفات الإنسان .

ويكمن الخطر الأكبر للرنه في الذئاب ومن ثم فلا تزن أحجام القطعان بسهولة . ومن هنا لا يلجأ التانجوس بذبح حيواناتهم من أجل الحصول على اللحوم ولا يحدث ذلك إلا في المناسبات القليلة الهامة وفي حالة المجاعات . وحتى في تلك الاحوال فلا يقتل إلا ضعاف الحيوانات . والافتاج الرئيسى لحيوان الرنه الألبان التى تحلى ويصنع منها الكريم غسير أن نسبة اللحم منخفضة فونشى الرنه يمكنها أن تهبط فى أفضل حالاتها حوالى رطل من اللبن يوميا وذلك بعد اطعام رضيعها . وتقوم النساء بحلب الألبان ورعايتها غير أنهم لا يقمن برعيها إذ يترك القطيع ليرعى بنفسه وليجهد الماء كل والمشرط اللازم فى أى مكان ليعود بعد ذلك بنفسه لمكانه ولا تغادر انثى الرنه ورضيعها المعسكر ، كما تقطع قرون الذكور وذلك خوفا من أن تخرج راكبها أو تشبك فى الشجيرات أثناء رعيها ، ومن الطبيعى أن تتعرض للتلف بسهولة وذلك فى فصل التزاوج . ويقدر التانجوس حيواناتهم كثيراً حتى فى حالة رعيهم لا يستخدموا عصي أو اسواط لقيادتهم . وينحصر الإستخدام الرئيسى للرنه فى النقل والركوب أما استخدامه فى الحمل فيأتى فى مرتبه بعد ذلك وفى بعض الأقاليم تربط الرنه احيانا فى زحافات للسفر فى مناطق التندرا أثناء الصيف والشتاء فرنه التانجوس الكبير الحجم يمكن إستخدام مثل الحصان فى سيبيريا حيث يستطيع ان يرحل لمسافة ٥٠ ميلا يوميا ويحمل ١٧٥ رطلا بسهولة فوق اراضى وعرة وصعبة

لا يمكن للحضآن أن يسير فيها . وإستخدام الرنة بهذه الصورة يمثل أساس اقتصادى هام للتانجوس إذ تمكنه من توسيع نطاق صيده .

ويعتبر الصيد والقتل هو النشاط الإقتصادى اليومى لقبائل التانجوس . حيث يعتمد الاهالى لاصطياد الثعالب والسمور Saïbo وبعض الحيوانات الكبيرة مثل الرنة البرى والايلى والدب والثئاب ذلك إلى جانب الخنازير . ويستخدم التانجوس حاليا البنادق بدلا من القوس والسهم والرمح الذى كان يستخدم قبل ذلك . ولا يمارس صيد السمك بطبيعة الحال إلا فى الاوقات التى يتحرك فيها التانجوس صغوب المجارى المائية . وعلى الرغم من الاهمية الكبرى لحيوان الرنة فى الحياة العاطفية والدينية للتانجوس إلا أنهم جماعات صائدة أساسا ، فحيوان الرنة هو الحيوان الذى جعل التانجوس يعيشون فوق مستوى الكفاف كما انه هو الذى جعلهم أكثر حرصا كصيادين ، وبهذا المفهوم فلمهم الفوق الحضارى على مجتمعات الصيد والقتل العادية الاخرى التى توجد فى أنحاء العالم . وتقدم منتجات الصيد بواجباتهم الاساسية من طعام وملبس وماوى . كما أن صيد الحيوانات ذات الفراء ولاسيما السمور والسنجاب وذلك للبايضة مع التجمار الروس يمثل أهمية اقتصادية كبيرة لقبائل التانجوس منذ قرون عة . فروج الحيوانات والبنادق والطلقات النارية والفؤوس الحديدية والسكاكين والادوات المنزلية والشاى والنبغ كلها بضائع وسلع هامة بالقسبة للتانجوس يمكن مقايضتها نظير فراء الحيوانات ،

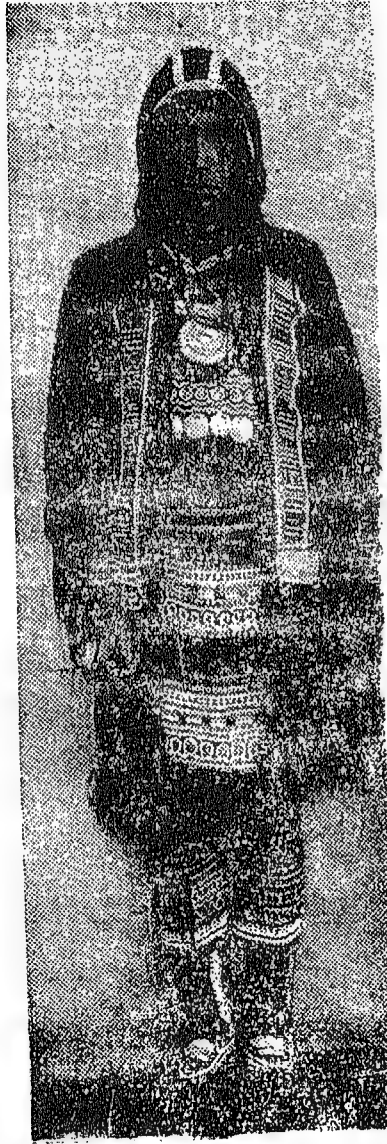
ويختلف ملبس التانجوس من مكان لآخر وذلك تبعاً للأثيرات الحضارية المختلفة المستمدة من جيرانهم فى جميع الجهات . وقطعة الملابس الوحيدة الباقية من الملبس التقليدى للتانجوس هو المعطف المزركش وهو مصنوع من جلود

الرنة ويفضل جلد أنثى الرنة حيث تحاك بطريقة تشبه طريقة حياكة المعطف الأوربي . ويرتدى التانجوس هذا المعطف شتاءً وصيفاً . وربما نجد أن الفتحة الأمامية بها ميزات معينة أثناء الامتطاء حيث يتعرض الصدر والمعدة إلى البرد ولذا فتوضع قطعة من الجلد لحماية هذه الأجزاء من الرياح . ويوجد هذا الطراز في بعض جهات الصيد . (شكل ٩)

وربما كان الأصل الجنوبي لتانجوس الشمال وعدم ملائمتهم السكاملة لظروف الحياة القطبية مما وراء مظهر آخر من ملابسهم . فالبنطلونات قصيرة . وهو نموذج معروف أيضاً بالصين - كما أنه يوضع عليها قطع مقوية عند الركبة . أما الأحذية الجلدية ذات الرقبة والتي تعتبر نموذجاً حمضاً - أراها مرتبطة بالمناطق القطبية فربما استعير بمظهره السكامل هذا من القبائل القطبية المجاورة وذلك لأن الحنف Footgear الأصلي الذي لا يناسبهم مطلقاً لم يستخدم . كذلك النظارات التي تحمي العين من ضوء الشمس أثناء الربيع وتحفض الرؤية لدرجة كبيرة فقد استعيرت هي الأخرى من السكان السابقين .

وتتكون نواة مجتمع التانجوس من خيمه صغيرة يعيش فيها الزوج وزوجته وأطفاله على الرغم من أن والدي الزوج قد يعيشا مع الأسرة في أغلب الأحيان . وتتكون الأسرة أساس الوحدة الاقتصادية والتقسيم الأولى للعمل في المجتمع بين الرجل والمرأة أمر معترف به هنا حيث يركز نشاط الرجال على الصيد والدفاع ضد أخطار الحيوانات الضارية والاعداء ، كذلك صناعة معظم الأدوات وتحميل الحيوانات وذبحهم وسلخهم ، وعملية التخطيط وغيرها من الأمور التي تتم خارج المنزل . أما النساء فتقمن بصنع الثياب والخيام وحلب الحيوانات ورعايتهم في المعسكر ذلك إلى جانب الأعمال المنزلية العادية التي تربط بأعداد الطعام ورعاية

— ١٢٢ —



شكل (٩) التانجوس في سيبيريا

الاطفال . وجهاءات التانجوس لاتنمسل بشدة بتقسيم العمل بين الرجل والمرأة ومثلهم في ذلك مثل كثير من المجتمعات حيث يساعد الرجل المرأة في كثير من أعمالها كذلك تقدم الزوجة المساعدة للزوج في عمله . أضف إلى ذلك فقد يقوم الرجل المسن الذي لا يقوى على الصيد بجميع الاعمال التي تقوم بها المرأة في المنزل .

ولا بد أن يكون منزل التانجوس سهل الحمل والنقل كذلك لا بد أن تكون أدوات المنزل خفيفة ومحدودة .

فخيمه الشتاء الجليديه صغيرة وتحتوى في العادة على اماكن مبيت لشخصين أو ثلاثه إلى جانب بعض الاطفال . اما الماوى الصيفى فيشيد عادة من لحاء الاشجار وهو أكثر اتساع من الخيمة وذلك لان مكان الاستقرار في فصل الصيف أكثر دوماً منه في الشتاء . ويأخذ المنزل الشكل المخروطى حيث يحمل على اعمده مائله تتجمع عند القمة في الوسط حيث تترك مفتوحة كمنفذ للدخان . أما الاثاث فمباراه عن الجلود التي تكون الاسرة . ويفضل التانجوس الاسترخاء على الارض بدلاً من الجلوس وذلك لكى يتشققوا هواء أنقى .

ولا بد وان تظل الخيمة مغلقة جيداً في فصل الشتاء كما لا بد وان تظل النار مشتعلة وذلك لشدة البروده اما في الصيف فيفتح نفس النظام بالنسبة للمستقر الصيفى وذلك بسبب وجود الحشرات ومن ثم فالجو داخل المسكن دائماً مدخن وأدوات الطهى لاتزيد في العادة عن كونها مجرد غلايه من المعدن . وعنصر الطعام الرئيسى في جميع المواسم اللحوم المغليه ذلك إلى جانب الشاى والدخان اللذان يقدمان في العادة عند وفود الضيوف .

وتتسم طريقة أو اتيكيت المعيشة في المسكن بأنها معقدة حيث يخصص المكان الذى يقع على يمين المدخل للزوج والزوجة بينما يخصص الجانب الايسر لأكبر الذكور بعد ذلك وفى العادة يكون الابن الأكبر . أما الجانب المقابل للمدخل فيخصص للأرواح أو للزوار الذكور المقتربين حيث يعامل الزوار معاملة تتسم بالخفاوة والكرم . والمحادثه امر عادى ولا سيما إذا كان الزائر أكبر من المضيف كما أن التعميرات العاعفية للفرح والسرور والدهشة أمر غير مستحب وتقدم الهدايا بحريه وواحب على الضيف عدم رفض الهديه بل يقتضى الواجب عليه أن يردّها .

وفى فصل الشتاء الذى يستغرق ٣٠ العام ينتشر التانجوس على طول حدود القبيله ونادرا ما يجده جماعة تزيد على اسرتين أو ثلاث . ويتحرك معسكر التانجوس باستمرار مع بحث الرنه عن أراضى رعى جديدة ويغيب الرجال عادة عن المعسكر وذلك بسبب الصيد ورحلات القنص بينما تنعبد النساء القطعان وتحافظ على المعسكر حتى فى حالات الضرورة قد تقمن بنقل المعسكر إلى موقع جديد . وحين يتكون المعسكر من عدد من الاسر يقسم الصيد بينهم فيما عدا الجلود التى يبقى عليها من اجل أن يتبادلها الصائد شخصا للحصول على الشاي والتبغ وبعض الكمليات .

وتعتمد اسر التانجوس لاختيار مواضع مدينه لمعسكراتهم كما ان لها طرقا منظمه للهجرة حيث تأتى جميعها فى فصل الصيف إلى معسكر أكثر دواما وأكبر وقد تترك الاسر المفردة وحامات معسكر الشتاء مخازن الطعام والملابس والادوات الاخرى فى مواضعها المعتادة وذلك لكي تتخلص من مشكله النقل والمخازن عبارة عن اكواخ طويله صغيره ترتفع فوق ارضهه وذلك لكي

تحميها من الحيوانات ويسمح لاي فرد أو أى أسرة من التانجوس التى تنمى إلى القبيلة أو العشيرة أن يأخذ من المخزن ما يشاء وإذا ما أخذ شخص شيئاً ثميناً من المخزن ولم يتمكن من إرجاعه إلى مقامة قبل وصول العائلة فإنه يترك مكانها قطعة من الخشب يوضح عليها شخصية المستير ومعنى ذلك أن الشيء سوف يرد فيما بعد .

ولا يتبادل التانجوس فى العادة التجارة مع غيره إذ يقصر الامر فقط على تبادل الهدايا والاستعارة والكرم العادى أما الادوات والأشياء والتبغ والمواد الأخرى التى تأتى من الخارج كلها بمئات يحضرها بعض تجار التانجوس فى نظير تبادلهم للنمراء. وكان من نتيجة ذلك أن احترمت الملكية الخاصة للسجناب والسنور . وفيما عدا ذلك لا يوجد اعتراف بحقوق الملكية الخاصة للمصادر الطبيعية فالأبد الأكبر إذ كان قادراً يرث فى العادة حقوق ومسؤوليات كبير العائلة غير أنه لا توجد ملكية خاصة بمعنى السكينة يمكن أن تنتقل إليه . فتمطيع الرنة ليس بذات قيمة لأنه ملكاً دائماً للأسره . فحجم التطيع يتذبذب من سنة إلى أخرى بسبب فتك الثعالب والأمراض بهم ومن ثم فيجتمع قادة الأسر فى كل صيف على هيئة مجلس العشيرة ليعيدوا توزيع رؤوس الرنة على الأسر وذلك لكي تتمكن كل أسرة من العيش فى خلال الشتاء القادم . وهذا يعنى أن ملكية الرنة استثمار لكل العشيرة على الرغم من الأسر المنفردة . تتجهد الجزء الخاص بها من التطيع وبنفس الماطق الاراض التى تتجول فيها الأسر تدخل ضمن نفوذ العشائر المتزاوجة التى تشغلها فلا توجد امتيازات ثراء مهمه بين السكان .

وتتكون عشيرة التانجوس من أسر ابويه متقاربة ، وتسمى كل عشيرة باسم

يحمل أحيانا اسم جند الرجل . وتختلف عشائر التانجوس فيما بينهم اختلافا كبيرا من حيث الحجم إذ يتراوح عدد أفرادها ما بين ١٢ فردا إلى عدة مئات ، ورياسة العشيرة ليست وراثية ، ففي فصل الصيف حين تجتمع كل الاسر في الماوى الصيفي يتخذ القرار بإجماع اراء رؤساء الاسر أو عن طريق مجلس العشيرة . وهناك ميلا بين عشيرة معينة لأن يتزوج أفرادها من عشيرة أخرى . ونظام الزواج يخضع لأصول قوية فإذا ما تزوجت عشيرة بناتها لعشيرة أخرى كان على العشيرة الاخيرة ان تقوم بنفس العمل . وفي الواقع كما هو جارى بين التانجوس ان ينحضر الزواج بين كل اسرتين وذلك عن طريق زواج البنات ومن ثم فيسود زواج ابناء العمومه إذ يلجأ الرجل دائما لزواج ابنته خاله ، ويعتبر الزواج في هذه الحالة مثاليا أما ابناء العمومه فيعتبروا من العشيرة ذاتها ولذا يحرم زواجهم من بعضهم .

ولقد أصبح الزواج الداخلى بين افراد العشيرة في وقت من الاوقات يكون اساسا من الاقارب عن طريق الانحدار الوراثي ، قبائل التانجوس منها في ذلك مثل الجماعات الاخرى القبلية والعشائرية تكون وحدات عريقة متأسكة متميزة لتوضيح اختلافات دقيقة وحساسة عن العشائر الاخرى ولها وحدتها الاقليمية الامر الذي يدعونا إلى ان نصفها بانها قبيلة حقيقية . ووحدات التانجوس القبلية لانحفاظ على استمراريه واضطراب سكانها لفترة طويلة من الزمن إذ يبدو بوضوح من اسماء العشائر المتشابهة ومن السمات العملية التي تمارس في مناطق ممتدة أن بعض هذه الوحدات قد انفرطت عتقها وانقسمت إلى مجموعات منفصلة وذلك على النقيض من مجموعات أخرى من العشائر قد تجمعت سويا وقطنت اقلها واحدا .

وتوضح أنماط مصطلحات القرابة التي تستخدم بين قبائل التانجوس امرين هامين أولهما العضوية في العشيرة وثانيهما العمر النسبي للفرد . فالنظام المنفصل في الزواج ربما منذ الايام الاولى يتكون اساسا من اتحاد عشيرتين ومن وجهة النظر هذه يوجد نوعين من القرابة احدهما تختص بقرابة عشيرة الاب والآخرى بقرابة عشيرة الام . وكل واحد من هذه تقسم إلى قسمين نوعين أحدهما يضم كبار السن أو المتحدثين باسم مجموعة والآخرى صغار السن . ونتيجة الزواج بين هذين العنصرين نمط بدائي عام وبسيط يفصل بين تزواج أبناء الحال والحالة وابناء العم والعمة وذلك لان زواج المجموعة الاولى مباح حيث تعيش عشائرهم بعيدة أما المجموعة الثانية فينظر على انهم من عشيرة واحدة ولذا يحرم الزواج من ابن العمومة اللزم أو ما يطلق عليه باللغة الانجليزية **Parallal Cousins** وذلك على النقيض من مصطلح **Cross Cousins** بالنسبة لزواج ابناء الحالة والحال . وقد تستخدم هذه المصطلحات على نطاق واسع بالنسبة لاعضاء آخرين ينتموا إلى عشائر الاب والام . فمصطلح خال يطلق على كل اصدقاء الحال في العشيرة وليس على المتحدث باسمهم أو أكبرهم فحسب . أما المصطلحات الوحيدة التي تشير عن استخداما إلى اشخاص بعينهم فهي تلك التي تستخدم للدلالة على الاب أو الام أو الاجداد أو الابناء أو البنات والأحفاد . وقد يميز الاخوة والاخوات الكبار غير المتحدث عن الاخوة والاخوات الصغار . فيما عدا هذه المجموعة الصغيرة من المصطلحات العائلية فإن مصطلحات القرابة الاخرى تستخدم بحرية في مخاطبة بين الافراد . وقد يستعمل في مخاطبة شخص غير موجود اسمه الحقيقي أو اسمه الاول .

ولا يجوز ان يخاطب الشخص شخص أكبر منه باسمه إذ ان عمل ذلك يعد اهانه كبيرة ، كذلك لا يجوز للشخص ان يجالس في حضرة شخص أكبر منه

إلا إذ دعاه لذلك ولا يجوز له التحدث أيضا إلا إذا تسكلم قبله ، أضف إلى ذلك فإن مظاهر التقدير له لا بد وأن تصحب بالانحناءات .

وتحديد وضع الشخص من الكبار أو الصغار لا يحدد العمر النسبي بقدر ما يحدده جيله . فقد يحدث أن يكون العم في سن ابن شقيقه أو شقيقته أو يكون أصغر منه ولكن لكونه ينتمى إلى جيل الأب فإنه يرامل ابن أخيه وكأنه أكبر منه كثيرا في عمرة الحقيقى . ولا توجد محرمات أو عادات يجب تجنبها بين طبقات القرابة المختلفة في مجتمع التانجوس فيما عدا تلك المسافة الاجتماعية التي تصاحب اختلاف الأجيال .

وتصر العشيرة على أن يطيع جميع أفرادها النظم والقواعد التي تضمها فكل شيء للعشيرة حق للفرد فجميع أسرها تجوب حدود الصيد لتقتنص منها حيوان الرنة كما أنها تنظم الزواج وتحمى أفرادها من الأعداء وتدعم قواعد السلوك الاجتماعية . وتحول العشيرة في معاقبة الأفراد العاقين ولها في هذا الصدد ثلاث عتبات فالشخص يمكن أن إذا ارتكب جريمة عدم طاعة الكبار أو أتباع تعاليم العشيرة كما يمكن أن يحكم عليه بالموت إذا ارتكب جريمة أكبر من ذلك كالقتل وأن كانت مثل هذه الجريمة نادرة . ثم هناك أيضا عقوبة الطرد من العشيرة وهي أقصى العقوبات لأن الطرد في هذه الحالة يفقد أتيائه إلى المجموعة وهذا الاتياء اقتصادي وإجتماعي في نفس الوقت . أما أفراد التانجوس الذين يعيشون في الوقت الحاضر في المحلات الروسية هم الأفراد الذين طردوا فيما سبق من عشائرهم . أما عقوبة تجريد الفرد من ملكيته فغير معروفة وذلك لأن الملكية لا تفهم في هذا المجتمع بالمفهوم الفردى ومن ثم فليس لها قيمة . ومن ثم فالسرقة لنفس السبب ليست جريمة شائعة . وفي الواقع أن الجرائم من أى نوع في مجتمع التانجوس نادرة حتى

الآن حيث لا تحدث الجرائم الخطيرة إلا في اعتقاب تناول كميات كبيرة من الكحول .

وجامعات التانجوس حريصة دائما على أن تزيد من حجم عشائرها وذلك لأن الدشيعة القوية تطفى الأمان والسكينة على أفرادها . وحينما تصبح المرأة حاملا يظهر أعناء الدشيعة فرحة كبيرة لهذا الحدث ولا سيما وأنه لا يوجد تفضيل لأي من الجنسين على الآخر وذلك لأن الوالد سوف يبقى اميش في إطمار أرض العشيرة ولكن البنت أيضا سوف تستخدم للمبادلة في الزواج مع عشيرة أخرى

وعندما يحين موعد ميلاد الطفل تنصب خيمة صغيرة إلى جانب المنزل لتكون حجرة الولادة ، وفي داخلها يوضع عمودان في وضع رأسي ويشجبا سويا بعمود آخر . وعند الوضع تضع الأم صدرها على العمود العرصى وتمسك بذراعيها في العمودين الآخرين .

وقد يساعدنها في ذلك أمراء عجوز غير أنه لم يكن فيما مضى مسموحا بأن يساعدها أحد . كذلك لا يسمح حاليا أو قبل ذلك أن يحضر عملية الولادة أي رجل لذي ظل الزوج بعيدا عن مكان الوضع . ولا يمارس التانجوس عملية الوالد حتى في حالة ولادة التوعم رغم أن ولادة طفلين مره واحدة تعتبر أمر غير عادي وغير مصدق بالنسبة لهم لأن سوف تكون لها روحا واحدة ومن ثم فوت أحدهما لابد وأن يكون مصحوب بموت الآخر . وبعد الميلاد تعيش الأم ورضيعها في الحيمة الصغيرة لمدة شهر وذلك إذا ما حدث الميلاد في فصل الصيف أما إذا كان في فصل الشتاء ولا تبقى إلا عشرة أيام فقط . ولاستطيع الأم أن تدخل إلى مقر الأسرة إلا بعد أن تقام شعائر طهرها عن طريق الاستحمام وتعطير نفسها وممتلكاتها عن طريق الابخره .

وبعد الميلاد بفترة قصيرة يعطى الطفل اسماً الذى بقوة السحريه سوف يؤثر فى نمو الطفل وشخصيته . ويظل الطفل فى خلال الايام الاولى من ميلاده ملفوفاً بالفراء ولكن يغسل بعد ذلك ويوضع فى حقيقه من الفراء ويعلق حيث يبقى على هذا الحال لمدة عام . وتظل الأم ترضع وليدها لمدة ثلاثة أعوام وإذا لم تلد المرأة فى غضون هذه الفترة فقد تستمر فى ارضاع طفلها لمدة ستة أعوام . ويعطى الطفل غذاء اضافياً معيناً خلال عام ، ويعرض الأطفال للعزى لفترات قصيرة دائماً ليتقنوا على تحمل برد الشتاء القارس . والاستحمام نادر على أى حال كما يحرم غسل الرأس لمدة عامين أو ثلاثة ولهذا السبب نجد أن اطفال التانجوس معرضين للعدوى والمرض .

وقد يحرص الاباء والاقارب على تعليم ابنائهم قواعد الادب والمهارات المتطلبه فى المجتمع غير أن عملية التدريب لاتصاحبها العقوبات أو الزجر . فالاطفال محبوبين جداً من كبار الخيم ولذا فيسمح لهم بأن يفعلوا أى شئ من شأنه تسليتهم كالتدخين أو شرب الكحول أو ممارسة الأعمال البدنية الخطرة بين الحيوانات . ونسبة وفيات الأطفال مرتفعه جداً نتيجة لعدوى المرض أو تجمعها الاطراف أو الحروق التى تحدث للاطفال من جراء اقترابهم للنار فى أثناء الزحف .

ويعنى بلوغ الفتاه قدرتها على الإنجاب ويعرف ذلك عن طريق التغيرات المورفولوجيه التى تطرأ عليها ويطلق على الفتاه اسم « سمينه Fat » حينما تبدأ الحيض الذى قد يحدث لأول مرة عندما .تبلغ من العمر ١٤ عاماً حيث ينظر اليها حينذاك على أنها خطره وغير نظيفه . كذلك يصل الولد الى مرحلة الرجوله أو البلوغ تدريجياً ، ولا يوجد طقوس خاصه تصاحب ذلك إذ انه يتحمل مسؤوليه الرجال تدريجياً ابتداء من سن العاشرة إذ أن الإلتزام الحقيقى لكل من الصبى

والصبيبه إلى مجتمع البالغين في لعشيرة يتم عند زواجها - ويحدث الزواج عادة في سن مبكر لدرجة أن الزوجين قد يكونا أحيانا غير ناضجين جنسيا إذ يفضل في معظم الاحيان أن يكون الزوجين من سن واحد ومن أبناء الحال ، كذلك يفضل دائما أن تتبادل الاسرتين الأزواج، والزواج المثالي أن يتزوج ابن الأسرة بنت أسرة أخرى وأن شقيق الأخيرة يتزوج شقيقة زوجها . وحين يكون الزواج على هذه الصورة لا تكون هناك أى حاجة لتبادل أشياء ذات قيمة بين الاسرتين ويحدث الزواج فى العادة نتيجة للاتفاق بين الاسرتين أولا ثم موافقة العشيرتين اللتين تنميا لهما الاسرتين ثانيا .

والزواج الذى يتم خارج نطاق الاسرتين المتقاربه يكون مصحوبا دائما بتبادل ملكية بعض الاشياء وذلك بعد فترة من المباحثات والاتفاقات وتبادل الهدايا ، حيث يتمكن الزوج بمعونه اسرته وعشيرته من جمع عدد كبير من حيوانات الرنة والتي تقدم كقابل لأسرة الفتاه . وهذا المظهر يتفق على العادة لثى تدعى خطأ باسم مهر والذى ينتشر بصورة كبيرة فى المجتمعات الرعوية وتعتبر حجم الهدية عامل تفاخر هام بين الاسرتين لدرجة أن عشيرة الزوج قد تصل إلى حد الفقر فى سبيل تقديم هديه ثمينه للعروس . غير أن نصف قيمة الهدية سوف يعود مرة ثانية إلى عشيرة العريس على شكل مهر يقدم مع الفتاة . وبطبيعة الحال مع مرور الوقت تأخذ قيمة وحجم الهدايا فى القلة وذلك لميل العشيرتين المستمر للتزاوج بينها وتكرار تقديم الهدايا . وفى بعض الاحيان تكون أسرة الرجل وعشيرته فقيرة ومن ثم تكون عاجزه عن التعاون فى زواج معين ومن ثم لا يملك العريس ما يستطيع أن يقدم به هدية فى هذه الحالة يقيم منزل الزوجية مع أسرة زوجته وذلك لى تعاونه اقتصاديا . وقد توجد مثل هذه العادة أى عادة خدمة العرس بين بعض الشعوب الرعوية .

وتعقد الاحتفالات الزواج في وقت يحدد قبله بعام وقد يحضر الحفل عدد يزيد على ١٥٠ شخصاً حيث تقيم العشيرتان مضافاً إليهم في مكانين منفصلين ثم يبدأ اليوم الأول باحتفال كبير ، وتصل الاحتفالات إلى ذروتها بعد أن يقدم العريس الهدايا للعروس ، وحينئذ يحمل المهر على حيوان الرثة بغض النظر عن المسافة. تلتى يقطعها للوصول إلى مأوى العريسين ويكون هذا الموكب مصحوباً بملابس العرس . وتأخذ العروس بعد ذلك مكان الزوجة في بيت الزوجية وذلك في الجانب الأيمن من المدخل على حين يجلس أقاربها وأقارب الزوج في حلقة . ويدخل العريس بعد ذلك مخفوفاً بأقرانه وأصحابه ليطوف بالدائرة ويحيي الضيوف والمهنيين . ويقوم كل ضيف بتقبيل العريس في خمه ويديه أما الخاطب الذي يقوم بدور الواسطة في الزواج بين العشيرتين فيقبل اليد ثلاث مرات ، وإذا ما تمت هذه المراسم يصير العروسين زوجين أما بقية اليوم والليل فيقتضى في الأكل والمشرب .

وأفضل وسائل التسلية في حفل عرس التانجوس الرقص أو الغناء كما يطلقون عليه وذلك بسبب النغمات التي تردد أثنائه . حيث يكون الرجال والنساء حلقة دائرية كبيرة للرقص وأحياناً يكون كل منهم حلقة متصلة تشابك فيها الأذرع سوياً . ويبدأ الرقص بأن يتحرك الراقصون صوب اليسار بميل أجسادهم ثم تتحرك الدائرة مع عتارب الساعة وفي هذه الأثناء يرتل رئيس الحلقة أغاني من تأليفه يرقص عليها الأفراد دون وعى وقد يستمر هذا الرقص لعدة ساعات .

وحينما تدخل الفتاة الحياة الأسرية وتصبح زوجة فإن أعباء جديدة تلقى عليها لتسكن أكثر من تلك المواجهات التي كانت تتحملها وهي بين أمومتها .

فتنبذ ذلك اليوم تصبح هى نواة الأسرة والراعية الوحيدة لشئون الخيمة ومحتوياتها ، تحمل جرة المياه وحطب النيران ، وتعد الطهي وترعى الحيوانات ، وتدبغ الجلود وتخييط الملابس . أضف إلى هذه الواجبات تتحمل الزوجة أعباء أخرى خارج المنزل وذلك لأن الزوج يقضى معظم وقته فى الصيد . فتغيب مواضع المنازل باستمرار بسبب الحاجة لحيوان الإبل عمل يقع دائما على كاهل المرأة . وقبل بداية لرحيل فعلها أن تجمع حيوانات الرنة التى ترعى كما عليها أن تسرحها وتضع عليها الاحمال ثم عليها بعد ذلك أن تقود طابور الرنة الذى يتبعه الأطفال والذين يسيرون فى ركابها ولذا فلا بد وأن يكون لها داية كاملة بالأرض التى تسير فوقها فتعرف أماكن المياه والجطب والرعى ، كما عليها أن تعود إلى مكان لقاء زوجها فى الميعاد المحدد الذى اتفق عليه . وبصفة عامة نجد الزوجات معاونين لأزواجهن غير أنهن لا يحتلن مرتبة أقل منهم . والإختلاف القائم بينهم هو نوع من الإختلاف الموجود بين المجتمعات الإنسانية والذى ينحصر فى طبيعة العمل إذ يقضى الرجال معظم أوقاتهم فى الخارج وعملهم ذات أهمية اقتصادية كبيرة للمجتمع بينما تبقى هى للأعمال الثانوية فى المنزل إلى جانب رعاية الأطفال وتبعا لذلك تقوم الزوجة بإعداد الطعام عند حضوره كما تقوم بخدمة الزوار الرجال وإن كانت لا تجرأ على الحديث معهم كما أنها لا تتناول الطعام هى وصغارها إلا بعد انتهائهم من الأكل . ويبدو فى بعض الأحيان أن العلاقة بين الزوج والزوجة غير عادية فلا يستطيع أحدهما على سبيل المثال أن يتأذى الآخر بإسمه ولكن يستخدم مصطلح زوج وزوجة إلى أن يولد طفل ومن ثم يشير كل منهم للآخر على كونه أب الطفل أو أم الطفل . ومثل هذا السلوك أمر شائع فى كثير من المجتمعات البدائية التى توجد فى أنحاء العالم .

وتعدد الزوجات أمر نادر بين التسانجوس ولكن يسمح به حينها لا تنجب

المرأة أو حينما تكون الزوجة أكبر من الزوج وتصل إلى السن الذى لا يسمح بالحمل وليس من المقبول أن يتزوج الرجل شقيقته ولكن فى نظام تعدد الزوجات باستخدام مصطلح أخت كبرى وأخت صغرى، كما أن الاطفال يطلقوا عليها سوياً لقب الام .

ويبدو أن التانجوس أكثر تعرضاً للأمراض والضعف عن غيرهم من البدائية . ومن الأمراض المنتشرة بينهم الجدري والجديري والذى يعتقد أنهم من قبل الارواح غير أن التانجوس يلجأ إلى عزل المريض منعاً من انتشار المرض ، كما يمارس أيضاً عملية التنظيم . واعتقادهم فى السحر والشعوذة كوسيلة للشفاء محدودة إذ أن المعالجة الطبيعية هى الأساس .

والتانجوس كغيرهم من الجماعات التى تقطن المناطق القطبية فى أمريكا الشمالية بما فى ذلك الإسكيمو قد تأثروا بعد استقرارهم أو بما يسمى بهستريا المنطقة القطبية Arctic hysteria . ويذهب الباحثون لتعليل أسباب هذا المرض أن العادات غير كفيلة بأن تنجح بجاعات الأفراد ومن ثم فالهستريا وسيلة لجذب الناس إليه وإثارة العاطفة نحوه ولذا فهى أمر شائع فى تلك المنطقة . ويعتقد أن الشخص المصاب بهستريا مرتبط بعالم الأرواح ومن ثم فلا بد وأن يستدعى الشامان لطرد الأرواح الشريرة من أجسادهم . وتعتمد هذه النظرية على أن الأرواح تبحث عن سيد وتحاول أن تمتلكه من آن لآخر وما أن تجد وسيلة لها وهو الإنسان أو الشخص حتى تسيطر على روحه وتمنعها من الاتصال بإنسان آخر فتعزها إلى أن يأتى شخص آخر ويسيطر عليها .

وهكذا فدور الشامان عند التانجوس يشبه دوره بين جماعات الإسكيمو وهنود أمريكا فى أن الشخص القادر على التحكم فى الروح لى يبعدها عن

الشخص الضار كما أنه يكون من آن لآخر وسيط لها بمعنى أنه قادر أيضاً على استخدام الروح فى تجميع وإرشاد الأرواح التى قد تؤذى . وبين قبائل التانجوس يمكن للمرأة أن تكون شامانا مثل الرجل ، ومن الصدف أن تكون كلية شامان من كلبات التانجوس وأنها نقلت من هناك إلى العالم الغربى بواسطة الروس الذين قابلوا التانجوس فى القرن السابع عشر الميلادى .

ويفترض فى الشامان أن لديه معلومات خاصة عن الأرواح ولذا فقد يقوم أحياناً بدور الجان . وفى هذه الحالة لا بد من وجود شخص آخر يقوم بشرح أفعاله وكلماته التى تصدر عنه ورغم ذلك فدور الشامان الرئيسى هو السيطرة على الأرواح ومنعها من جلب سوء الحظ أو طرد الأرواح من الأجسام التى تعاني عدم اتزان عظمى .

ويلجأ الشامان لدى التانجوس لاستخدام أدوات خاصة تختلف فى تعقيدها من شامان لآخر ولكنها دائماً تشتمل على العناصر الآتية مرآة صينية من النحاس ولباس معاون وتومبرين أو طبلية يدق عليها ليمىء نفسه لمقابلة الأرواح ومن أجل أن يوصى باقتراح أو رأى معين لذهن السامع . ويختلف مشهد الشامان ذاته فى تفاصيله من إقليم لآخر ، كما يختلف أيضاً غرض الاحتفال ولكن المشهد الأساسى هو الدق المستمر للطبلية ليظهر أخيراً الشامان وهو متلبس بالروح . والغرض المتكرر هو أن ترحل روحه إلى العالم السفلى لكي يصاحب بعض الأعمال مع أرواح الأجداد وذلك من أجل خير معشيرة . وجزء مسبق من هذا المشهد يختص أولاً بالبحث عن أسباب مرض الشخص أو المناعب الأخرى أو النبأ بالمستقبل . ولا يعنى ذلك أن الشامان رجل منحدث بحق أو طبيب فى حالات المرض يركز دوره أساساً على التشخيص وفى حالة ما يقرر

إذا ما كان الشخص مريضاً لكي يطرد الأرواح وفي هذه الحالة يكون علاج المرض نفسى أكثر منه اجتماعى .

أما الموت فيعتقد أن سببه هو رخييل الروح الدائم عن الجسد . ومن ثم فيعتقد التانجوس أن موت الأطفال أسهل من موت الكبار وذلك لأن الأرواح فى الصغار لم تستقر بعد . أما الكبار فيتوقعون الموت كشكل أو مظهر طبيعى فى الحياة ولكن الكبار الأشرار يموتون خلال الحوادث أو نتيجة لمرض أو بفعل الأرواح النى تطرد الروح من الجسد . وقد يكون فقدان الروح جزئى كما يحدث فى حالات الإغماء أو فقدان الوعي . فالشخص المريض الذى يحتضر أو يكون بين الحياة والموت وكذلك الشخص الحديث الوفاة يمكن للشامان فى هذه المحاولة ولذا ما نضى الشخص نحيبه فإن انتباه الناس يتجه إلى مشكلة نقل الروح إلى العالم الآخر . ومن ثم يكهن التانجوس المتوفى بأفخر ثيابه وتغطى الجثة بلاء وبعد ذلك يبدأ الأقارب الماءم الذى يستمر طوال يومين إذا كان الطقس بارداً وعلى أى حال لا تقل فترة الزمنية عن ٢٤ ساعة . وتوضع أنواع عديدة من الأطعمة والشراب بالقرب من رأس المتوفى كما يوضع التبغ واليبب وأداة لتدخين بالقرب من صدره ، ومن آن لآخر يفد الأهالى لإلقاء بعض الأطعمة أو قطرات اللبن أو الشئ فى الهواء وذلك فى حالة ما إذا كانت الروح حاضرة . وليس هناك التزامات لإظهار الحزن والأسى على المتوفى فقد يجلس التانجوس حوله يتحدثون فى ذرات عادية فى شئون الحياة اليومية . وأخيراً حينما يتأكدون أن الروح قد ذهبت ولن تعود ثنية توضع الجثة فى صندوق خشبى حيث يوارى الأنراب . ويضحى بميوان الرنة فى هذه الحالة من أجل الروح كما توضع على الميت بعض ممتلكاته الخاصة النى يعتقد أنه سوف يكون بحاجة إليها . وإذا ما أصاب رجال العشيرة سوء الطالع أو بعض المتاعب عقب دفن الجثة فإنه يعتقد أن روح المتوفى

غاضبة لأنها لم تكرم التكريم اللازم ولذا فيستدعى الشامان لطردها وإقناعها بمواصلة رحلتها إلى العالم الآخر . أما الأرواح التي لا تصل إلى العالم الآخر فيشعر التانجوس أنها مصدر خطر عليهم .

ويتصور التانجوس أن الظروف المعيشية في العالم الآخر هي نفس الظروف على الأرض ومن ثم فالأرواح تحتاج إلى أشياء فهي تقاسى من البرد والجوع في بعض الأحيان ، كما أنها معرضة للغضب والغيرة كما يحدث في الحياة العادية لبني البشر وإن كانت الأرواح تظهر في بعض الأحيان ميلا للطفولة أكثر وهذا يأتي دور الشامان لإرشادها . وهكذا تنحر الحيوانات كلها أمكن وتقام الصلوات من أجل أجداد العشيرة لكي تبعد عنهم سوء الحظ بعودة الروح . ويتكون عالم التانجوس من ثلاثة عوالم الأول العالم السفلى أو عالم الأرواح أو عالم الأجداد Lower World of Ancestor Spirits ثم العالم الأوسط Midle world الذى يعيشون فيه ثم العالم الأعلى Upper Orsky World حيث يوجد الشمس والقمر والنجوم وحيث توجد أرواح السماء . ويسود بين التانجوس أيضا ومثلهم في ذلك مثل سكان منشوريا الاعتقاد في روح السماء . غير أن جماعات التانجوس ليس لديهم معتقدات معينة تخص بإله السماء أو المخلوقات أو نظرة واضحة لعملية الخلق إذ يبدو في نظرهم أن كل شيء ظهر بصورته الحالية . فأرواح أجداد العشيرة هي الشيء الأساسى الذى يجذب أنظارهم وإن كان من الصعب وسوء التقدير أن نقول أن في ذلك اتجاه « لعبادة الأجداد » إذ لا يعدوا هؤلاء الأجداد إلا أشخا صا انتهى دورهم بعد الموت .

وربما تعطى المستريا القطبية التى تسود بين التانجوس طابعا خاطئا للحياة اليومية لهم . غير أن السلوك الاجتماعى العادى لكثير من الزوار والباحثين الذين وفدوا إلى منطقتهم يوضح أنهم أناس على درجة كبيرة من البشاشة .

والإنفتاح . فيذكر الإنثروبولوجى بيرثولد لاوفر Berthold Laufer وذلك فى مجال المقارنة مع غيرهم من سكان سيبيريا ، أنه شعر كأنه فى بيئة بين جماعات التانجوس ذوى العقول المفتحة والسلوك المستقيم والنفسية المتطورة وأنه وجدهم كما ذكر الباحث فون ميدندرف A. Von Middendorff نموذجاً لإرستقراطى سيبيريا .

وقد خضعت القبائل البدائية السيبيرية للروس لعدة قرون غير أن نتائج هذا الغزو على الحضارة البدائية لم يغير فى معالمها أو يبدل أوضاعها إذ أن التغير كان بطيئاً غير مباشراً . وربما كانت الأوبئة والأمراض الأوربية هى الطلائع الأولى لنتائج هذا الإحتكاك والإتصال . وإلى جانب ذلك كانت هناك بعض النتائج الموجبة بالنسبة لحضارة تلك القبائل حيث أدخل إليها البنادق والأدوات الحديدية التى حصلوا عليها نتيجة المبادلة وذلك إلى جانب معرفة التبغ والشاى والسكر والملح . وبما هو جدير بالذكر أن مربى الرنة السيبيرية لم يتأثر بسرعة بتلك الحضارة الوافدة كما تأثر جماعات الياقوت الزراعية أو الجماعات الصائدة الشبه مستقرية مثل مثل جماعات الكوريك والشوكشى والجولدى Goldi إلى الشرق والشمال منهم .

وقد اعتمدت علاقات التانجوس مع الروس أساساً على التجارة المنفرقة حيث كان تبادل جلود الرنة وفراء السنجاب والثعالب والذبابة هى مواد التجارة والنبال الرئيسيه على البضائع الأوربية . وكما سبق أن بينا فإن معظم السلع التى وصلت عن طريق التبادل قد ساعدت التانجوس فى حياتهم أو على الأقل لم يتمنخص عنها أى أضرار ، ولكن أحد السلع المتبادلة التى لا يحجبها معظم البدائيين فى كافة أنحاء العالم هى الكحول وهى فى هذه الحالة الفردكا الروسية فقد أحدثت الصعوبات والمشاكل العادية ولكن فى المناطق الشمالية المتجمدة يوجد خطر

آخر من استخدام الكحول . ففي جليد الشتاء يصبح الإسترخاء أو الكسل سهيا في تجمد الأيدي والأقدام وربما ينتج عنه الموت . والتانجوس الذين يمكنهم ببساطة عدم التحكم في النفس قد قاسوا الكثير بسبب إهمالهم في استخدام الكحول . وفي بعض الأحيان استدان صيادو الفراء استدانة كبيرة نتيجة لإدمانهم الشراب واضطروا أن يعيشوا تحت رحمة التجار الذين لا يرحمون .

وقبل الثورة الروسية اعتنق مجموعات كثيرة من التانجوس المسيحية الأرثوذكسية اليونانية ولكن يبدو أن هذا الإعتناق كان إسميا أكثر منه فعليا واستمر الشامان في أداء أعمالهم القديمة كما يفعلون اليوم . ومنذ أيام الثورة توقفت أعمال الإرساليات الدينية ونحن لا نعرف إلا القليل جداً عما حدث في تلك الفترة . وليس من المعقول أن التحول الفسكرى إلى الماركسية سوف يكون له وزنا بين الصيادين البادئين وقد تركزت الصناعة في سيبيريا في أماكن محدودة للفحم والحديد بعيداً عن منطقة التانجوس . ومن المحتمل جداً أن التغير الاقتصادي في سيبيريا يحدث بسرعة كبيرة الآن عن تلك السرعة التي كان يحدث بها أيام القيصرية عند ما كان اهتمام روسيا الإمبراطورية بالعلاقات الاقتصادية المرتبطة بأوروبا أكثر من تنمية موارد شبه قارة سيبيريا .

وكما يتضح من دراسة أجزاء أخرى من العالم فإن مجتمعات الصيد في المناطق النامية تكون أكثر عرضة للتغير المفاجيء الشامل من المجتمعات الزراعية المستقرة ، ونحن نتوقع أن يحدث للتانجوس نفس الشيء عند ما يرون أن حيوانات الفراء قد انقرضت وإن فرص العمل في المناجم وقطع الأخشاب قد زادت . ويجدر بنا أن نلاحظ أن الروس في سيبيريا لا يجبرون البدائيين على الحياة في مخيمات وليست لديهم تميزات عنصرية ولكنهم على النقيض من ذلك يحاولون جذب الوطنيين للاشتراك بسرعة في الحياة الاقتصادية للدولة .

قبائل الشين

The Cheyenne of the North
American Plains

قبائل الشين في شمال أمريكا الشمالية

لم تحظى أى جماعة بدائية بجذب انتباه الأمريكيين والأوربيين مثلما حظت بالنسبة للمحاربين المولدين الموجودين في السهول الغربية بأمريكا الشمالية . فحين يسمع المواطن الأمريكي العادى عن الهنود يذهب خيالة إلى تلك الجماعات التى تتجول بحرية صائدة الجاموس البرى وهى ترتدى قبعات الحرب المصنوعة من الريش وتزين ملابسهم الجلدية بطلاء الحرب وهم يرقصون رقصة الشمس ويستخدمون الاشارات اللغوية ويعيشون في قرى دائرية وغيرها من الصور التى تتوارد تبعا على مخيلاتهم . وفي واقع الامر يعتبر فرسان السهول من أكثر الجماعات تطورا بين هنود أمريكا . فقطعان الجاموس البطيء الحركة التى تنتشر في منطقة السهول العظمى تعتبر نموذجا فريدا كمورد للغذاء في العالم الجديد غير أنه عندما تطلب قبائل هندية معينة الخيول الأسبانية وتبدأ في استخدامها لصيد الجاموس تشهد المنطقة نقله حضارية واضحة ، أضف إلى ذلك في كمية وحجم الحروب بين قبائل تلك السهول أكبر وأكثر بصورة غير عادية بالنسبة للجماعات الهندية الأخرى وذلك بسبب ظروفها الخاصة .

والحضارة التى توجد في هذه السهول على الرغم من شهرتها إلا أنها ليست بحضارة أصيلة كما أنها لم تعمّر طويلا . فالحصان وهو الوسيلة الكلتية التى طرأت على حياة المنطقة انتشر تدريجيا صوب الشمال عن طريق التجار والصوف الذين أحضروه من المحلات العمرانية الأسبانية التى وجدت في نيومكسيكو وذلك بعد عام ١٦٠٠ . وما أن عرف الهنود الأمريكي طريقة امتطاء الحصان حتى أمكنه أن يطارد عدد أكبر عن ذى قبل من الجاموس ليقته . ونظرا لمزايا الانتاج

الوفبر الذى صاحب طريقة الحياة الجديدة بواسطة الخيول فقد أقبلت قبائل ذات حضارات مختلفة ولغات متعددة إلى مناطق السهول وذلك من كل صوب وحذب . ومن ثم حضارة السهول *Plains culture* الجديدة كانت محصلة للتطلعات الوظيفية لصيد الجاموس بالخيول ولتجمع عادات وتقاليد مختلفة الأصول . ولكن هذه الحياة الخيالة لم تستمر إلا لبضعة أجيال قليلة حيث استمر ازدهارها في كل منطقة السهول حتى عام ١٨٠٠ م وابتداء من عام ١٨٥٠ وحتى عام ١٨٧٠ فقد شهدت المنطقة حروب إبادة ضروس بين الرجل الأبيض والهنود الأمريكين وذلك لإبان فترة الزحف الأوربي صوب الغرب للحصول على مزيد من الاراضى الزراعية . وقد ترتب على ذلك أن أبيدت معظم قطعان الجاموس فيما عدا تلك المناطق القليلة والتي تعرف باسم المحصنات *Reservation* والتي يعيش فيها الهنود الباقين .

وقبل أن يستعمر الأوربين العالم الجديد وقبل أن يتمكن الحصان من أحداث انقلاب في نمط الحياة في منطقة السهول كان قبص الجاموس بطريقة الارتجال غير مشمرة وغير كافية لإقامة أود عدد كبير من السكان فمعظم حضارة الهنود الأمريكين الننى كانت تنتشر في شرق الولايات المتحدة كانت تعتمد على الزراعة زراعة الذرة ، والفول والقرع . وقد انتشرت طريقة الحياة هذه من مناطق الغابات الشرقية إلى مناطق السهول حيث وجدت في كل بقعة يمكن أن تقوم بها . الزراعة على طول الأنهار . ولا سيما في ولايتى داكوتا ونبرسكا بل امتدت أكثر نحو الغرب إلى ولاية مونتانا . وانحصر نمط الزراعة هنا في زراعة الحنائق وليس زراعة الحقول لذا أن الهنود لم يكن لديهم أدوات زراعية ثقيله يمكن بواسطتها تسوية التربة وتقليبها كما ليس لديهم حيوان للجر يمكن استخدامه لتطهير أراضى الحشائس وإعدادها واستغلالها للزراعة ولذا فقد ظلت طريقة زراعة الحنائق

الهندية قاصرة ومحدوة في أودية الانهار :

وهكذا كان قلة تطور حضارة السهول في الفترة السابقة بكونولومبيا هو امتداد الحضارة الزراعية الشرقية بجميع مقوماتها إلى تلك السهول بما في ذلك من سكان قري مستقرين . وجميع هؤلاء الهنود اللاتينيون كانوا يعيشون في منازل دائرية بنيت من الطوب اللبن ويبلغ قطر الواحدة منها ٥٠ قدما وتضم القرية حوالي ٧٠ منزلا . وكانت رحلات صيدهم للجاموس البري في منطقة السهول رحلات طارئة مرة واحدة كل عام تقريبا وذلك من أجل جمع غذائهم النباتي الذي يكون أساس حياتهم ذلك إلى بجانب قرون الأثريان . أما الجماعات الصائدة في منطقة السهول حينذاك كانت جماعات بدوية حديه تنحرك في جماعات صغيرة وتقاسي من شطف العيش غير أن استخدام الحصان غير تماما هذه الصورة .

وإدخاله من النقاط الهامة التي تهتم بها النظريات الاثروبولوجية والمهتمين بهذه الدراسة مسألة التغير الحضاري Culture Change وكيفية فهم كيف تمكنت هذه الحضارة الجديدة من الملاءمة في الاجزاء المختلفة من السهول عن طريق استخدام أدوات جديدة وظروف أيكولوجية متغيرة وكيفية استعارة هذه الحضارات لطرق ومظاهر حضارات أخرى وملاءمتها ووضعها في الاطار المناسب في النظام القائم . وربما ما حدث في منطقة السهول العظيمي يعطى مثالا فريدا لهذا التغير الحضاري . ففي عام ١٨٠٠ كان يقطن كل المنطقة جماعات قبلية تكاد تكون متشابهة تماما في جميع خصائصها وطريقة حياتها وبعض مظاهر حضارتها ولاسيما فيما يخص بالتنظيم الاجتماعي الذي كان متطابقا في تشكيلة في كل المنطقة الممتدة من تكساس إلى البرتا . وقد كانت هذه القبائل على درجة كبيرة من الاختلاف اللغوي بحيث استخدمت فيما بينها لغات تنتمي إلى ستة أصول لغوية منفصلة وأنهم قد جاؤا جميعها إلى منطقة السهول من جميع جهات

أمريكا الشمالية من الشمال والجنوب والشرق والغرب بل جاؤا في بعض الأحيان من مسافات بعيدة ومن ثم فالاختلافات الحضارية بينها كانت في الأساس كبيرة وعملية التحول السريع من الاختلاف الحضارى Cultural heterogeneity إلى النجاس النسبي Relative homogeneity للحضارة بين القبائل المختلفة التي تكون أجزاء من التنظيم العام للشعب أمر غير عادي غير أنه مسجل بحيث يقدم لنا مستندا تاريخيا يبين هذا التغير. وإذا كانت اللغة قد حافظت على أسلوبها وأصولها بحيث لم يطرأ عليها تغيرا إلا أن وسيلة مميزة الاتصال نشأت بينهم وانتشرت بسرعة بين قبائل السهول واتسمت هذه الوسيلة الجديدة الشهيرة بالإشارات اللغوية Sign language ،

وقد ارتبطت أعظم فترة لانتشار الحصان في منطقة السهول العظمى باسته عمود المحصورة بين عامي ١٧٤٠ و ١٨٠٠. فن المعروف أن القبائل التي كانت تعيش على تخوم وبالقرب من أماكن استقرار الأسبان في نيومكسيكو قد عرفت الحصان قبل القرن السادس عشر الميلادي ولكن نظرا لان الأسبان حرّموا بيع الحصان للهنود بسبب أن الأعداد التي كانت لديهم في بادئ الأمر محدودة لم يتمكن الهنود المجاورين للأسبان من الحصول إلا على الذر اليسير من الخيول التي يذبونها ليستخدموها كطعام. وفي خلال القرن الثامن عشر تمكن الأسبان من حوزة أعداد كبيرة من الخيول في نفس الوقت الذي بدأت فيه قوة أسبانيا الحربية تضعف .

وهكذا كانت وفرة الخيول في ذلك الوقت عاملا مساعدا على أن تنتشر تجارتها في كل منطقة السهول حيث أقبلت القبائل على شرائها وركوبها للاستخدامها في صيد الجاموس البري الذي أخذت أعداد ضحاياه تزداد سريعا نتيجة سهولة

صيده . وقد توتب على التفوق الاقتصادي الجديد أن يجتذب إلى المنصة وإفدين جدد راغبوا في المشاركة في أسلوب الحياة الجديد المنسجم بوفرة الصيد . ومن المحتمل أيضا أن سكان الاودية الزراعية من الهنود لم يتمكنوا من الدفاع عن قراهم وهم مرتحلة أمام هؤلاء ممتهلي الخيول وكان ذلك دافعا على هجرتهم إلى تلك المناطق وإبتياح الخيول أو سرقتها لاستخدامهم في نمط حياة متغيرة وبالأأكيد أصبح الحصان في منطقة السهول العظمى كما أصبح في أى مكان آخر في العالم وسيلة فعالة في الحروب حيث من الممكن أن نعتبه سلاحا حديثا أدخل ثورة في كل الادوات الحربية المستخدمة .

وقبائل الشين الهندية هم جماعات مزراعة بمعنى الكلمة تحولات إلى فرسان بدو . وما إن عرفوا الحصان حتى لامت حضارتهم لنمط السهول وذلك أولا لانهم قدموا ليشغلوا موقعا جغرافيا واسطا في منطقة السهول ولانهم ثانيا كانوا يجموعه وسطاء على طريق انتقال الخيول من الجنوب إلى الشمال ثم قاموا ايضا بعد ذلك بدور نقل البضائع الاوربية والاتجار فيها بين الشرق والغرب

وقد عاش الشين كما بين المكتشفون الفرنسيين الاراثل في وادي نهر الميسسي الاعلى على حدود ويسكنسون ومينسوتا . ومصطلح الشين Cheyenne مصطلح فرنسي اشتق اساسا من كلمة Sha hi. ye (والتي تعني المنحدثون بلغة غير ذكية) التي اطلقها هنود السيورد Sioux. indian على هنود الشين .

أما اسم الشين الذي يطلقونه على أنفسهم فهو Tsis Lsis tas أى الشعب . وقد صاحب طرد الهنود الامريكيين من المناطق الشرقية في الغرب الاوسط في عام ١٦٠٠ وصول البريطانيين والفرنسيين إلى هناك حيث أجبروهم على الانجاء نحو لغرب ، وحيث تشير السجلات لتاريخه إلى اضطرابات وحروب استمرت

في ولايات ويسكونسون ومينيسوتا واللينوى حتى نهاية القرن السابع عشر . وأخيرا تحرك الشين إلى داكوتا الشمالية واستقروا على نهـر الشين قبل بداية القرن الثامن عشر . وفي ذلك الوقت كانوا ما زالوا يمتدروا في حياتهم على الزراعة وإن كان عملية الانتقال لصيد الجاموس قد أخذت طريقها بينهم . ومن المحتمل أن قليلا من القرى ذات المواقع الملائمة أو بجموعة منها قد بدأت بالتغير أولا ولكن من المحتمل أن في عام ١٧٧٠ كان هناك كمية من الخيول كافية بحيث تمكنت قبائل الشين أن تصبح قبائل بدوية تماما .

وما هو جدير بالذكر أن الحياة في منطقة السهول العظمى بجميع مظاهرها . وذلك في عام ١٨٠٠ والتي كان يمارسها الشين لم تكن مجرد نتيجة بسيطة لتأثير الحصان على حضارة أصلية وزيادة هائلة في صيد الجاموس إذ أن حضارة الرجل الأبيض قد تركت بصمتها على أشياء كثيرة في حياة الهنود بحيث لا تزال في قيمتها عن لدخال الحصان اليهم . وربما لم يكن الشين قد عرفوا أو شاهدوا الرجل الأبيض أو أنهم شاهدوه أحيانا تجاراً أو مكشفيين ولكن تجارة الرجل الأبيض أخذت تدفق على منطقة السهول العظمى حيث شارك فيها الشين مشاركة فعالة . فالسلعة الرئيسية كانت الخيول التي جلبت في نظير المنتجات المحلية وفي نظير الحصول على الفراء إلى جانب جلود الجاموس التي انتشرت تجارتها بين القبائل الهندي إلى أن وصلت إلى محلات الاوربية الغربية وإلى مناطق الاستقرار الزراعي .

وقد كان من نتيجة هذا التبادل أن أصبحت الفئوس الحديدية والبكاكين والاولوان والاصرة مستخدما على نطاق واسع في منطقة السهول ذلك إلى جانب رغبة الهنود الملائمة في الحصول على البنادق .

وقد دفعت رغبة الهنود في الحصول على البنادق والرصاص والبارود إلى المزيد من شن الغارات للحصول على الأموال . فقد أعطت البنادق، ميزة كبيرة في الحرب إذ بواسطتها يمكنهم أن يكونوا بعيدا عن مرمى القوس والسهم . وبصفة عامة كانت كل منطقة السهول في غضون مائة عام إحدى الترسانات الحربية التي شهدت صراع قبلي مرير لم تعرفه في أى وقت من الأوقات . فلم يكن هناك حدوداً أو حقوقاً ثابتة للقبائل وذلك أولاً بسبب التذبذب في أعداد الخيول المطلوبة لختلف القبائل وثانياً امتلاك البنادق التي كل المنطقة في حالة غليان .

وقد انعكست طبيعة الاختلافات العملية في المناخ على طبيعته مرعى الجاموس البرى ومن ثم فقد أثرت أيضاً في التنظيم الاجتماعى والسياسى لهنود السهول العظمى فكان أكثر مرونة وسهولة عن تلك التنظيمات التي توجد بين المجتمعات الزراعية المستقرة بين الهنود . ففي السهول الوسطى والشمالية تدمر الحشائش بسرعة مع نهاية فصل الربيع وبداية فصل الصيف ولكن مع أواخر فصل الصيف تزيل الحشائش ويحرق والبقية الباقية منه تموت . ومرعى الشتاء فقيراً جداً وفى أغلب الأحيان تغطيه الثلوج .

وكنتيجة لهذه الظروف الجغرافية ترحل الجاموس في قطعان كبيرة في خلال فترة القحط على الرغم من أنها تكون مملوءة بالشحم واللحم مع منتصف فصل الصيف . وفى فصل الشتاء والانساقط تتناثر قطعان الجاموس في مجموعات صغيرة وتتجول بسرعة فى نطاق واسع للبحث عن المرعى . ومن ثم فنهج حياة الصيادين وتنظيماتهم تتجه نحو ونظام الهجرة الفعلية للجاموس البرى . فهم يتجمعون في شكل قبائل متماسكة أبان فصل الصيف للصيد فقط بينما يهاجرون بقية العام في

اعداد صغيرة مستقلة حيث يقتاتون من المخزون من الطعام أو ما يثمر عنه نشاط النجوال من حصول على طعام .

وحينما وفد الشين إلى ييثهم في السهول الغربية في شالي كولورادو وجنوب ويننج Wyoming وشرق النلال السوداء كان عددهم حوالى ٣٥٠٠ شخصا وقد ارتبطوا في منطقة السهول على هيئة رابطة Band أطلق عليها اسم سوتاىو Swaiao التى يتكلم أفرادها لهجة تنتمى إلى مجموعة الالجونكيان اللغوية Algonkeian Language والذي ذابوا في المجتمع . وجماعات الاراباهو Arapaho التى تتحدث أيضا اللغة السابقة لهم تاريخ يشبه تاريخ جماعات الشين كما انهم هو وأقاربهم المعروفين باسم جروس فنتر Gros ventre عتبدوا معاهدات تحالف مع الشين والذين امسكهم بهذه التحالفات من السيطرة على مساحات كبيرة من الأرض إلى الغرب من نهر الميسورى بين نهري بلاتا واركانسس وليكونوا جبهة ضد اعدائهم القدامى في داكوتا وكرو Crow في الشمال والغرب ، والباونى Pawnee فى الشرق وجماعات الكيوا kiowa والكومانش فى الجنوب . ويعتبر الجاموس البرى الغذاء الرئيسى للهنود السهول ومن ثم فالصيد الكبير من أصعب الأمور فى حياتهم الاقتصادية . فليس مسموح لأى فرد ان يصطاد الجاموس كما يشاء لان هدف المجموعة هو القضاء على القطيع البرى دفعة واحدة حين مشاهدته أو اكشافه .

والطريقة الرئيسية للصيد الجماعى تتركز على محاصرة القطيع ثم يندفع رجل ممتطى حصانا يرهبا بقوسه ويسوقها إلى داخل الدائرة حيث يسرع كل هندی باصطياد أقرب جاموس إلى مكانه . وإذا ما كان الصيد منظما ، زاد اضطراب قطع الحيوانات التى تندفع فى كل مكان فيسهل للهنود اصطيادها .

وقد تستخدم السيوف من فوق طهور الخيل فى اصطياد الجاموس الذى يقتل بعد ذلك بواسطة السكاكين . ومثل هذا الصيد يتطلب عملا مضنيا ولكن الحصول على وفرة من الصيد تبرر أى مجهود يبذل فى هذا الصدد وقد يستغرق ذبح وسلخ ونقل اللحوم والجلود إلى معسكر الهنود عدة أيام حيث تجفف فى جيركات « Jerky » ثم تصنع لحوما يطلق عليها اسم البيميكان Pemican وهى مطعمة بالزيت حيث تخزن بعد ذلك . وهذا العمل من اختصاص المرأة إلى جانب حياكة الجلود .

وتقسيم العمل بين الرجل والمرأة صارم وقد يبدو أن هذا التقسيم غير متكافئ إذ تقضى المرأة معظم وقتها فى البأوس فى الدفء بينما على الرجل أن يستنفذ طوال أيامه فى الاجواء المتجمدة يطارد الصيد ويتعرض للاختطار الهسيمة . كما يبدو أن أنشطة المرأة فى بعض الاحيان والتي يدخل ضمنها الخدمة المنزلية قد تؤدى كضريبة كما حدث لاحد الرجال البيض الذى ذهب الى معسكر الشين فى عام ١٨٤٦ .

وبما هو جدير بالذكر أن الاغنام البرية والايايل تجوب السهول واقدام التلال باعداد كبيرة ومن ثم فيعرف الهنود عادات هجرة هذه الحيوانات فيطاردون اللامسالك بهم فى حفر أو فى إمكان مسورة وقليل من قبائل السهول يمسارسون الصيد غير أن جماعات الشين تنبغ فى هذا الصدد . أضف إلى ذلك تجمع الجذور والدرنيات فى مواسمها كما يمارس صيد الحيوانات الصغيرة ، وقد تقدم لحوم الكلب كطعام وذلك من أجل التغير .

ويحصل الشين على معظم خيولهم عن طريق الشراء أو الإغارة غير أن هناك بعض المحاولات قد تمت من أجل أسر الخيول البرية . فهم لم يتمكنوا من أن

يتعلموا الطريقة الأسبانية في صيد الخيول وذلك بالتماء ما يسمى باسم : الالاسو Lasso على الحصان إنما استعملوا بدلا منها الحبال التي تاتي للقبض على الحيوان. وأثنان الخيول مرتفعة كما أن مركز الشخص يقيم بعدد الخيول التي في حوزته ويبلغ متوسط عدد الخيول لكل أسرة حوالى عشرة ولكن قد تملك الأسرة في بعض الأحيان أكثر من هذا العدد كثيرا . وتستخدم أفضل الخيول في الصيد والحرب أما الخيول الأخرى فتستخدم في نقل البضائع وحملها ، والبغال أيضا ثمنها مرتفع إذ تستخدم هي الأخرى كوسائل حمل وانتقال غير أنها نادرة في كل المناطق فيما عدا منطقة السهول الجنوبية الغربية . وقد توضع جميع متاع المنزل فوق ظور الحيوانات وقد تربط أيضا فيما يسمى باسم الترافو Travois وهما عبارة عن عمودين يربطان في الحيوان وفي نهايتها ما يشبه الزحافة . وفي العادة يجر الترافو الكلاب .

ويعتمد الشين على جلود الجاموس وعظامهم وقروهم وكذلك على منتجات الالبان في الحصول على مواد الخام الأساسية لصناعة أدواتهم وأسلحتهم وملابسهم وماواهم أيضاً . نفيمتهم المخروطية الشهيرة المعروفة باسم Tipi خيمة كبيرة في العادة تسع ما يقرب من ٢٠ شخصاً وهي مصنوعة كلية من الجلود المدبوغة المزركشة . أما القوس فيصنع من طبقات من قرون الجاموس على الإيماء ، كذلك تصنع الابنية من الجلود ومن القرون . أما المغارز والمقاشط فتصنع من قرون الوعل في حين تصنع الملابس من الجلود . أما النسيج فأمر غير معروف أو ربما تركه الهنود حينما تحولوا إلى حياة البداوة . ويصنع الفخار في بعض الأحيان في السهول وإن كان قد أفسح المجال سريعاً إلى الابنية الفخارية التي عرفت عن طريق التجارة.

وملابس الشين محاكة جيدة ومزركشة بصفة خاصة، وترتدى النساء فساتين مكونة من قطعة واحدة مصنوعة من جلود الإيل أو الظبي الفاخر وتصل إلى القدم وصدورها واسع على هيئة الماعطف ويسمى الفستسان بأنه مطرز ترتدى النساء كذلك ما يشبه الجوارب تمتد من الركبة على القدم وتربط بواسطة ما يشبه الرباط. في فصلي الشتاء تلبس ذيل الجاموس إلى جانب الشعر. ولا يرتدى الرجال البنطلون والمقسين Moccassin «حذاء بدون كعب» إلا في فصل الصيف أما في الشتاء فيرتدون بالإضافة إلى القمصان المصنوعة من جلد الإيائل والتي تتدلى إلى مقاعدهم الجوارب الطويلة تصل إلى تحت القميص. وتتصف القمصان بأن الكمام طويلة وبعضها مزين بالخرز الذي يصف أيضا حول خصاة ججامهم العدو. ويطلق في المادة على هذا القميص اسم قميص الحرب وذلك بسبب الزركشة كما أنه يرتدى في مناسبات الإحتفالات. شكل (١٠)

ويغرم الشين نثرين أجسادهم. ويركز الرجال انتباههم بصورة خاصة على شعورهم التي تترك لكي تنمو أطول ما يمكن حيث يرشقوا في وسطها الخرز وأنواع مختلفة من البلور. ويعتمد كل من الرجال والنساء إلى عمل الشعر على هيئة صفيحتين. أما ريش الطيور فلا يرتديه إلا كبار السن. وقبعات الحرب المصنوعة من الريش والتي تقسم بوجود زبلين طويلين هي القبعات التقليدية الشهيرة لقبائل داكوتا، أما بين الشين فلا تستخدم إلا في الإحتفالات لبعض الرجال المبارزين. أما العقود والأساور والخلفان فتستخدم على نطاق واسع كما يغطى الوجه والجسد بألوان عدة وعلامات مختلفة.

وتنقسم قبيلة الشين إلى عشر جماعات Bands منظمة منفصلة لكل منها محرمانها الخاصة واحتفالاتها وعقائرها. ويشعر أفراد كل مجموعة أنهم اقرباؤهم

— ١٥٤ —



شكل (١٠) الشين - هنود سهول أمريكا الشمالية

ثم فالزواج بين افراد الرابطة الواحدة غير مسموح به . كذلك يوجد تقسيم قبلى داخلى بين هؤلاء الذين يعيشون فى الجزء الشمالى من الحدود وهؤلاء الذين يقطنون الجنوب . وقد ترحل هذه الجماعات على مدار السنة ولاسيما فى فصل الشتاء فى مجموعة من العائلات الصغيرة نسبيا ، وفى بعض الاحيان تتقابل سويا وتمسك معا ولكن تذهب كل مجموعة بعد ذلك إلى شأنها . وهذه التقسيمات أو المحسكرات تعرف بأسماء وتمارس وظيفة القطاعات الاجتماعية فى الرابطة غير أن تكوينهم فى تغير مستمر حيث تلتحق مجموعة صغيرة بمجموعة أكبر أو ينشطر جزء من المجموعة الأ أكبر .

ويتقابل كل أفراد قبيلة الشين فى فصل الصيف وذلك بغرض التعاون فى صيد وفير ومن أجل أيضا إقامة الاحتفالات الهامة للقبيلة . حيث ينظم المعسكر الكبير للقبيلة على هيئة جزء من دائرة أو على شكل حدود الحصان ويتكون من ثلاثة أو اربعة منازل واسعة . حيث يفرض على كل عشر روابط أو عصبان تمسك فى موضع خاص بالنسبة للدائرة وتترك المنطقة الوسطى الكبيرة خالية ليأمرس بها الرقص وليجتمع مجلس القبيلة ولتقام الاحتفالات العامة .

وتقسم القبيلة ككل إلى عدد من المجتمعات ذات الوظائف الحربية والاجتماعية والترفيه وذلك فى وقت تجمع الروابط . المختلفة فى فصل الصيف ، وأكثر وبرز المجموعات ست مجموعات عسكرية . وعلى الشاب ان يختار الالتحاق بأى مجموعة ولكن جرت العادة على أن يذهب الرجل إلى المجموعة التى ينتمى إليها ابوه ولا يقبل فى عضويه هذه الجماعات غير الأفراد الأشداء الشجعان من القبيلة . وتسود بين بعض قبائل السهول نظام الفئات العمرية بمعنى أن على الرجل ان ينتقل من واحد إلى الأخرى مع تقدمه فى العمر إلى ان يصل إلى قمة المجتمع التى تكون من كبار السن ذوى الشخصيات السياسية الهامة والمرآكز المرموقة فى الاحتفالات .

وهذه المجتمعات هي التنظيم الحربى فى القبيلة وقوتها البولىسه ومن الواجب ان
اليوميه الهنود مراقبه تحركات المعسكر وحماية الطابور المتحرك أثناء مسيرته
وتطبيق السلطة على الصائدين أو النجرات الأخرى التى قد تؤدى إلى اضطراب
خط سير الجاموس البرى . وتمارس كل مجموعة رقص خاص للقبيلة كما تخصص
فى بعض الأحيان أربعة أشخاص مرموقين لاحتلال مراكز الصدارة فى الاحتفال
وكل جماعة تنتخب لها رئيسا الذى هو فى الواقع يعتبر قائدا الحربى الشجاع .

ويسكون عدد محدود جدا من رجال القبيلة الشجعان مجموعة صغيرة تعرف
باسم المعارضون Contraries وكما يوحى الاسم هم مجموعة من الرجال يعارضون
كل شىء بمعنى أنهم يقولوا « لا » حينما يعنون « نعم » وفى الحرب والمبارك
نجدهم يتسلحون بسحر خاص أو بقوس الرعد Thunder bow الذى يجعلهم
يقوموا بأعمال خارقة من الشجاعة . وإذا ما استدعى شخص ينضم إلى مجموعة
الممارضين فإنه منذ تلك اللحظة يأكل فى أطباق خاصة ويعيش فى كوخ أحمر
ولا يصاحب الهنود العادين إلا عاما .

والتنظيم السياسى للشين كما يظهر فى لقائهم الصيغى متطور جدا وذلك إذا ما
قورن بالعديد من قبائل السهول حيث توضع كل أمور القبيلة أمام مجلس القبيلة
الذى يتكون من ٤٤ عضوا بحيث يمثل كل رابطه band أربعة أشخاص بالاضافة
إلى الأربعة رؤساء العامين . ويعتزل هؤلاء الممثلين عقب مرور عشرة أعوام
ويحق لهم اختيار خلفائهم ولكن يلعب رأى العام من الناحية العملية دورا هاما
فى اختيار الرئيس . ويعبر عن حكم المجلس بمجتمعات الجنود غير انه لا يوجد
جهز لآزال العقاب على الأفراد المجرمين .

ويلاحظ أن هناك تفرقة اجتماعية واضحة بين الرجال . فالشجاعة والقوة

والبحر صغانت تقدير تماما ومن ثم فركز الشخص يتأثر كثيرا بمدى توافر هذه الصفات . ويتنافس الشباب بصفة خاصة بشدة لامتلاك الخيول إذ أن أسر أكبر عدد من الجنود دليل على جسارة الشباب وقوته . وقد يظهر الرجل كرامة عن طريق اقراضه للخيول الجيدة أو في بعض الأحيان الاستغناء عنها يمكنه أيضا الاتجار بالخيول مع القبائل الأخرى في نظير الحصول على الانية والفؤوس والسكاكين والخرز وغيرها من السلع المطلوبة له . وهكذا يقدر الكرم وحسن الضيافة لدرجة أن حفلات العطاء ceremonies « giveaway » تذكرنا بمهرجات النوتكا Nootka الشتوية .

وبعد الانتصار في الحرب الطريق الرئيسي للمعركة على المنصب حيث تبدو العملية كلها في صورة حرص شديد على تمثيل الفرسان الأوروبيين وعلى أى حال فالهدف الأول هو الحصول على حصان أما الثاني فهو تهديد الجماعات المجاورة بغارات مستمرة حتى لا يفسكروا في الاعتداء على حدود الشين . فشباب الذكور يتفاخر دائما بأبطالهم القتل أثناء مواجهتهم العدو ولكن البعض يقدر أكثر الرجال الذين يأسرون الخيول .

وبصفه عامه نجد أن معظم رجال الشين من المحاربين المهره إذ انها هي منه الرجل الحقيقية كما أن حب القتال توضع بذوره في نفس الفرد منذ طفولته . فالمرت في ساحه القتال هو أفضل أنواع الموت ولذا فغالبا قبائل السهول لها مجموعة من البائس البطوليه التي تفخر بها . فقتل عدو اعمل كبير كما أن الاستيلاء على فارس من معسكر العدو عمل أقل أهميه . وتجمع فروة رؤوس الاعداء ولكن أهميتها قليلة بالنسبه لآثار الشجعان .

بالمعاقبة تسمى الغارات الهادفه للحصول على الخيول على الارجل ، ويستطيع أن

يقوم بهذه الغارة أى رجل يتود مجموعة ولكن لابد وأن يكون هذا الرجل ذو كلفة مسموعة حتى يأتى بأمره باقى المجموعة المغيره وكافائد عليه ان يعقد عدة لقاءات مع كبار الرجال ثم يقدم بعد ذلك العطايا إلى الاسهم المتدسه . وإذا ما كان الرجل لأول مرة قائدا فعليه ان يتجه للتلال للصوم ولتطهير نفسه وذلك على أمل ان يتلقى نظرة أو نفحه نجاح من روح اجداده . وفى الليلة السابقة ليلة الاغارة تسير المجموعة المحاربة حول دائرة المعسكر ليخرج من بداخله المساكن ليقدموا اليهم الهدايا عند سماعهم لأغاني الحرب .

وفى اليوم المحدد يجلس القائد بمفرده ، وفى أوقات مختلفة يترك لباقون المعسكر ويتجهون إلى اتجاهات مختلفة يتقابلوا معه فى نقطة متفق عليها . وما أن يصلوا إلى ارض العدو حتى يرسل قائد المجموعة شابين من رجاله لاكتشاف مكان الممركة قبل ان يدخلوه وبعد اكتشاف معسكر الاعداء يخزن القائد مكان الاختفاء حيث يرصد منه كل بحارية وحيث تترك الاسلحة الزائدة وفى الليل ترحف المجموعة صوب القربه حيث يعمد الشبان إلى محاصرة أكبر عدد من قطيع الرعى بينما يختار بعنايه الرجال الكبار الذين يتسللون إلى المعسكر للحصول على خيول الجاموس التى توضع دائما بالقرب من صاحب المعسكر .

ويعود الجميع بعد ذلك إلى النقطة التى تركوا فيها ادواتهم الزائدة ومن هناك يعاودوا الادراج حيث يقود كل فرد الحيوانات التى استولى عليها . ومع طلوع الفجر تربط الخيول فى قطيع واحد بعد أن يتعرف كل رجل على ما يخصه ويساق القطيع بعد ذلك لمسافه طويله قد تستغرق ٢٤ وذلك لكي يتبعدها بهم عن أى مقتنى أثر لهم . وفى هذا الوقت يكون الخطر قد مر إذ لا يمكن لاي هندي أن يتعقبهم بحصان واحد طول هذه المسافه وتنتج غارة الهنود فى العادة

إذا ما خرجوا من المعسكر دون أن يزعجوا أحدا . وفى طريق عودتهم إلى المعسكر يعطى بعض الرجال كل حصيلة من الخيول .

ومجموعات الحرب على النقيض من مجموعات الاغاة تخرج مدفوعة فى الرغبة فى الانتقام . فقتل العدو يبحث على عزاء الجماعات المسكوبة . وفى بعض الحالات النادرة حينما تسكن الجروح كبيرة تخرج كل القبيلة لملاقاة العدو دون اصابة المجموعه المحاربه بخسائر . وهذا امر سهلا جدا إذا ما حصرت بمجموعه صغيرة من العدو وايدت وعلى الرغم من ان الجماعات الهندية تتصف بالشجاعة والاقدام الا انها تفتقر إلى التنظيم والنظام ومن ثم فالمعارك الطويلة نادرة .

وقد تبقى مجموعة المحاربين المائدة خارج المعسكر طول الليل وذلك استعدادا للدخول لهم مع الفجر كمتصدين وهم مرتدين ملابس الحرب حاملين معهم فراء رؤوس اعدائهم على صواري ويتقدمهم فى ذلك هؤلاء لرجال الذى أظهروا شجاعه كبيرة فى المعركة حيث يخرج جميع افراد المعسكر لاستقبالهم بالغناء والصياح . وإذا ما قتل أى فرد من المجموعه فلا تحمل جثته إلى المعسكر بل تترك بدون دفن إلى البرارى . وفى هذه الحالة يذهب المعسكر إلى الحداد ولا يحدث مثل هذا الاحتفال.

وعلى الرغم من حقيقة ان المعسكر الكبير يجمع أفراد جماعات غير متقاربة إلا أن معظم المماحبة اليومية للشين تحدث بين مجموعة من الأقارب . فعلى مدار السنة تعيش المجموعه الصغيره المتقاربة منعزلة عن المجموعات الأخرى حتى ولو كانت متحاوره منها فى معسكر القبيلة . وأساس النظام الإجتماعى هو الأسرة الامويه الممتدة . حيث تتكون المجموعه العاديه من رجل وزوجه وبناتهم المتزوجات وأزواجهن الذين وفدوا من مجموعات مختلفه بالإضافة إلى أطفال

البنات والأبناء الذين لم يتزوجوا بعد . ويعيش في خيمـة مفردة « Tipi » الزوج والزوجة والأبناء الصغار بينما يقطن بقية أفراد الأسرة في خيم أخرى مجاورة . ويتعاون جميع أفراد المـعسكر في أنشطة متعددة من بينها الطهي الجماعي على الرغم من أنهم يتناولون طعامهم في خيامهم المنفصلة .

ومصطلحات القرابة التي تسود بين الشين من النمط الواسع الانتشار والذي يطلق عليه الاثنوبولوجيون اسم النظام الوراثي « generation system » والذي يعنى أن أبرز تميز هو ذلك الذين بين الأجيال ، أما بين أقارب الجيل الواحد فليس بينهم إلا قليل من التميز . ويوجد هذا النظام على وجه الخصوص بين البولنزين . فكما سبق الذكر تتبع الأقامة بعد الزواج الأم غير أن الاحفاد يتبعوا بعد ذلك الجانبين ، بمعنى أن أقارب الأب هم أيضا بالكامل أقارب الأم . ولا يميز أبناء العمومة على أساس أبناء الأعمام وأبناء الخـال Cross and parallel types . كما انه ليس هناك تميزا بين الأقارب فالجميع ينادوا بنفس المصطلح على الرغم من الاختلاف في النوع والسن . كذلك الزواج بين الأقارب غير مسموح به . ويطلق مصطلح أم على الخالة عندما تكون من جيل الأمومية ولكن يطلق على العمة مصطلح مخالف . كذلك يطلق على العم مصطلح أب أما الخال فيخاطب بمصطلح آخر . ويسمى أبناء الأخ باسم الأبناء والبنات أما أبناء الأخت فيعرفوا بأسماء أخرى .

وهناك أنواعا مختلفة من المجاملات بالنسبة لمختلف الأقارب فهناك من يعاملوا باحترام زائد وبحساب وذلك على النقيض من الجماعات الأخرى التي لا يوجد بينها حاجز في المعاملة . والعلاقة بين الأباء والأبناء والأقارب بطبيعية الحال قوية ومتصلة . وبصفة عامة نجد العلاقة بين الأيب وابنه وأقاربه من نفس

النوع علاقة غير رسمية وذلك على النقيض من علاقتهم مع الجنس الآخر . وما أن يصل الاثخ والاثخت إلى سن البلوغ حتى يحترّم كل منهم الآخر لاحتراماً شديداً . كذلك العم والخالة اللذان يطلق عليهما مصطلحي أب وأم ويعاملان باحترام نظرا لقرباهما الشديدة أما الخال والعمة اللذان لا ينتميا إلى العائلة الاثوية فمعاملتهما مع أولاد أختهم وأخيهن تنسم بالبساطة والتبسط . وكما هو الحال في معظم المجتمعات يتمتع الاجداد سواء أجداد الاباء أو أجداد الاُمّاء بعلاقات طيبة مع الابناء .

والعلاقة بين الابناء وأبنائهم « بحكم القانون » على جانب كبير من الاهمية فالنظام الاثوى في السكر، يفرض على الرجل أن يصاحب ويعيش مع أبنائه بحكم القانون غير أنه لا يرى البنت دائماً ومن ثم فقواعد اللياقة والذوق ليست صارمة بالنسبة لها . ويعامل كل من الرجل وحامته بعضها باحترام وكلفة شديدة لدرجة انهما لا يخاطب بعضهما مباشرة رغم وجودهما في كوخ واحد ، وإذا تقابلا صدفه فعلى الرجل أن يغطى رأسه ، أما الحياة فيهم بزواج ابنته ولذا فحرية المناقشة بينهما سائدة غير أنه لا يتدخل في أموره .

ويأخذ الزواج على أنه وسيلة لتوسيع دائرة الاقارب ، وهذا أمر هام جدا إذ يذكر الشين أنهم لا يستطيعوا الزواج إذا كانوا أقارب مهما كانت الدرجة بعيدة . فالشاب يذهب إلى مجلس أقارب الفتاة وليس إلى الفتاة ذاتها عن طريق إرسال هدايا لهم . ويتقدم العرض إلى والدى الفتاة وأحياناً إلى شقيقها وذلك عن طريق أحد أصدقائه المقربين : ويتم الزواج عن طريق تبادل كمية كبيرة من البضائع بين الاثرتين .

وينظر الزواج إلى شقيقة الزوجة الصغرى على انها ربما تكون الزوجة الثانية

إذ يحتمل أن يتزوجها في حالة وفاة زوجته . وفي بعض الأحيان قد تمخض
لتميش في منزل شقيقتها بعد بلوغها سن النضج ومن ثم فهي على الأقل و
وجهة النظر الإقتصادية للمنزل زوجة ثانية لزوج شقيقتها أو أخيها في القانون
وإذا ما توفي الزوج فن المتوقع أن يحل شقيقه محله . ورغم أن هذه التقاليد غ
إجبارية إلا أنها مقبولة ومتوقعة ما دامت الرغبة موجودة للمحافظة على
الأسرة الممتدة . ومن الأشياء الحسنة أن يتزوج شقيقان شقيقتان وذلك لأن
في هذه الحالة سوف يكونا متقاربين ومتجاورين في المعسكر .

وتتعاون الأسرتان سوياً عند ميلاد طفل الزوجين حيث تساعد النساء
الكبيرات من الأسرتين في عملية الميلاد ، بينما يصعب زوج الشقيقة مهد للطفل في
حين يربطها الزوج بنفسه بعد الميلاد في الشجرة . أما اسم المولود فيستق على
مسبقاً بين أسرة الأب حيث يعطى له اسم أحد أفراد الأسرة الكبار ، وتوجه
عناية للطفل في غضون العشرة أيام الأولى للميلاد . شكل (١١)

وقد تتكفل عائلة الزوج بعد ذلك بالاحتفالات مثل قص شعر الطفل
لأول مرة ، كما يختار الزوج صديق له لممارسة شعائر ثقب الأذن . ويفترض
أن الشخص الذي يختار الزوج لتمثيله في الاحتفال أشقاء بعد ذلك . وتعتبر أسرة
الزوجة مسؤولة لدرجة كبيرة عن تربية الطفل في حياته اليومية وذلك لأنه
يعيش بينهم . وقد تقوم الأم بحمل طفلها على ذراعيها في خلال الشهور الأولى
من الميلاد ولكن بعد ذلك وإلى أن يتمكن من السير فيوضع في مهد يحمل فوق
ظهر الأم . ولا يوجد احتفال خاص عند وصول الطفل إلى مرحلة البلوغ غير
أن الحيض الأول للبنات يسمى بالإثارة إذ تطل البنات بطلاء أحمر بعد اعتزلها
في كوخ خاص بصحبة جدتها لمدة أربعة أيام . ثم يعلن الأب النبأ في اجتماع

— ١٦٣ —



(شكل ١١) أحد اطفال هنود السهول بأمريكا الشمالية

عام في المعسكر الكبير وعليه أن يطلق عدد من الخيول إذا كان في مقدرة إحتمة الا بذلك . وتعتبر فترة الحيض بالنسبة للمرأة فترة خطره ومن ثم تفرض بعض الرقابة والعناية على نشاطها في هذه الفترة .

ويعتبر أول صيد لجاموس برى وأول اشتراك في مجموعة حربيه الأحداث الهامة في حياة الصبي . ففي غفنون فترة الطفولة يتعلم الاطفال مهارات الكبار ولذا يكون الصبية مهرة في الصيد وركوب الخيل في سن ١٠ و ١٢ عاما حيث يعهد اليهم في هذا العمر رعاية قطيع من الخيول . ومع سن ١٣ و ١٤ عاما يكون الصبي مستعد للصيد الأول للجاموس البرى الذى إذا ما نجح فيه يحتفل الاب به عن طريق إهداء بعض خيوله إلى جماعات لديها عدد قليل منها . والإشتراك في أول حمله حربية تمثل حدثا تاريخيا للشاب فإذا ما نجح فيها وثبتت شجاعته يعطى اسما جديدا ، ويعقب ذلك أنه يعتبر من بين المنعقلين حيث يعامله والده وأقاربه بعد ذلك معاملة الرجال .

ويتوقع من الشباب ممارسة بعض تعذيب النفس وذلك لكي يكتسب نظرة لارواح الحظ السعيد التي سوف تحميه في ساحة القتال وتجلب له الحظ السعيد في الصيد . وترتكز هذه العملية أساسا على الصوم لمدة اربعة ايام والجلوس عاريا بمفرده على قمة التل وقد يتأقن اكتساب نظره الارواح في بعض الاحيان عن طريق التعذيب الجسدى لفترة قصيرة من الزمن . فن الطرق السائدة وضع سيج من الخشب تحت مجموعة من الجلد عند الصدر ثم يربط السيخ في حبل يشد في قمة عمود وبعد ذلك يمضى الشاب طرال يوميه يشد نفسه بعيد عن المود من اجل تمزيق اللحم . وقد تقطع في بعض الاحيان قطعة لحم مماثلة من ظهر الصبي وتربط في رؤوس عدد من الجاموس التي تشد خلفها طول اليوم .

وقد تمارس مثل عملية التعذيب الجسدى هذه احيانا أخرى من أجل مصالح خاص .

وكما يبدل الجهد لتعليم الصبية فنون الحرب ومهارات الصيد فإنه يوجه ايضا لتعليمهم للطريقه الصحيحه لصحبه عشيرتهم فمن المفروض أن يحترمون كبار السن على مدى حياتهم كما لا بد وان يكونوا بشوشين لأمناء وأصدقاء مع ذويهم وأصدقاءهم . أما سلوكهم ازاء الاعداء فلا بد وان يكون قاسيا جافا ، رغم أن يجتمع الشين لا يتهدف بذلك .

أما عن الذوق والسلوك الاخلاق كمقومات للتركيب الاجتماعى والانثروبولوجى لجماعات الشين فيلاحظ انه يجعل حياتهم اليومية تسير فى هدوء وسكينه فعلا إذا ما دخل زائر المنزل عليه ان يتجه صوب اليمين ثم يتوقف ثم على صاحب المنزل الذى يجلس فى الخلف والذى يكون فى العادة فى الغرب يدعو الضيف للجلوس وإذا ما رغب فى ان يزى من تكميمه فإنه يدعو للجلوس إلى جانبه . ومن العادات السيئه ان يتجه الضيف نحو اليسار لان هذا المكان خاص بالاسرة كما انه لا يجوز ان يخترق الفرد الممر بين موقد النار والشخص الجالس . ولا بد وان يصاحب الزوار الرسمين « جوزه التدخين Pipe Smoking » حيث يبدأ المضيف بنشر دخان الجوزه إلى السماء والارض وإلى الجهات الاصلية الاربع ثم . يصلى بعد ذلك ومن ثم يأخذ نفس منها ويدورها على الجالس من اليمين إلى اليسار وبعد سوء طالع ان تمس الجوزه أى شئ فى دورانها لذا لا بد وان تعطى بعناية .

وتقام فى العادة الصلوات قبل تناول الطعام كما يحجز جزء من الطعام على

جانب للارواح وقد يتناول الرجال والنساء الوجبات سويا في مسكنهم غير انهم في المناسبات الرسمية يأكل الرجال بمفردهم . والاعیاد الخاصة تكون مصحوبة دائما بالخطب ومرد القصص . ومن افضل السهرات حين يجتمع افراد مجموعتين من الجنود ليتفخروا بما فعلوا لاذ يحاول كل شخص ان يحصى عدد قتلاه ويلتزم في ذلك بالصدق لاذ تقدر هذه الصفة في الرجال .

وقد تعود الشين على رؤية الجرحى والقتلى باسباب طبيعية ولا سيما في الصيد والحروب غير ان المرض يعمل على أنه المرض من فعل قوة خارقه وانه لا سبيل إلى التخلص منه إلا عن طريق لرجل الطبيب ، حيث يمارس الشامان - كما هو الحال بين قبائل الهنود الامريكيين الاخرى بعض الشعائر والطقوس التي تعتبر من امراة وخصوصياته . فبادى ذى بدء يرتل سبع أغاني مختلفة مصحوبة بمشخصه وذلك بعد اطلاق دخان الجوزة المقدسة والتي تعتبر جزءا من علاجه الخاص حيث يخلط بها مجموعة من الادوية السحرية التي يفرکها بيده ثم يصنعها على الجزء المصاب من المريض . ويعنى بعد ذلك تسع أغاني يتناول بعضها الطعام الذى يقدم اليه .

وقد يوضع المريض في بعض الأحيان في كوخ صغير للبخار حيث توضع صخور محمية في داخله ومن أن لآخر تصب عليها المياه لكي تصدر بخار كثيف . وفي هذه الاثناء يصلى الشامان ويغنى ويهز خشخاشه . ويتبع ذلك غطس في النهر وكما هو الحال في عديد من مجتمعات الهنود الامريكيين يعتبر حمام البحر تطهير ومن ثم يستخدم من العادة لاغراض دينية بانه .

ومعظم الهنود لديهم وحفات معينة من أدوية والاعشاب يتناولها في حالة المرض . وقد تأتي بهم الوصفة الطبية في المنام حيث ينظر اليها كقوة روحية

أكثر من كونها دواء حقيقى . ويجعل الرجال معهم دائماً خدشه عليه
 « Medicine burdle » من الاعشاب الخاصة التى تربط من أعناقهم أو فى
 شعورهم .

ويستطيع أى هندي أن يكون شامانا وفى أطار هذه النظره فجميع أفراد
 الشين لهم درجات من قوة السحر ، ولكن إذا ما كان هناك شخص اعتقد أنه على
 درجة غير عادية من التطيب فإنه يستدعى لمساعدة الشخص العليل فى مقابل
 هدايا تعطى له ومن ثم يصبح ممتنًا تلك الحرفة . ويعتقد أن قليل من الشامانين
 لديهم قوة سحرية غير عادية يمكنهم بها تطويع الممرض أو الموت لارادتهم .
 وتستخدم هذه المقدرة فى العادة للتأثير على الناس ولكن نادرا ماتحدث .

وحين يموت شخص يسرع الشين بالتخلص من الجثة وذلك خوفا من الاشباح
 فتبعد الجثة لمسافة بعيدة عن المعسكر وتوضع على حامل من الاشجار أو فى كهف
 أو تغطى بالصخور . كما يقتل حصانه المفضل ويوضع بالقرب منه ذلك إلى جانب
 ممتلكاته الخاصة . أما بقية ممتلكاته فتعطى للغير . وقد يستمر المأتم لمدة عام
 أو أكثر ، وتقوم النساء المقربات اليه بقطع شعورهن وجرح رؤسهن وأرجلهن
 وإذا ما قتل الشخص فى معركة قد يصل الجرح إلى حشد قطع الأصبع . أما
 الرجال فلا يقوموا بحلق شعورهم ويتركوا تطول خلال فترة الحداد .

ويعتبر الشين أن جميع الاموات تذهب إلى العالم الآخر فيما عدا هؤلاء
 الذين ينتحروا فمالمهم هو السماء الذى يمكن الوصول اليه عن طريق معلق وفيها
 يعيش الميت مثلما كان يعيش على الارض ولكن فى صورة أشباح وظلال . ومما
 تجدر ملاحظته فى هذا الصدد أنه حينما وصلت المرايا إلى جماعة الشين عن طريق
 التجارة انزعجوا بشده لانهم تصوروا أن الانعكاس عليها من فعل الارواح وأنه

من سوء الطالع أن ينظر إليها . ونفس الشيء حدث في السنوات الأخيرة حين وصلت الصور الفوتوغرافية إليهم .

ويعتقد الشين في قوة الهين أكثر من غيرهما من الالهة والارواح ، ويقطن احدهما في السماء والآخر تحت الارض ، كما أن هناك أربعة أرواح قوية تعيش كل واحدة منها في إحدى الجهات الأصلية . وإلى جميع هذه الالهة يوجه الشين صلاتهم ودخان « البنيث المقدس » .

وإلى جانب بيب التدخين أو البيب المقدس هناك عدد كبير من الأغراض الأخرى تستخدم كيقونات وتعويذات لازالة وإبعاد الحظ السيء وتأثير الارواح الشريرة . فدرع المحارب وقيص الحرب وتلوين الجسد كلها علامات لها دلالتها المقدسة عنده . فكل شخص يرتدى أو يحمل سحر خاص مثل رؤوس الرماح أو خصله من الشعر أو حجر أو بلور أو بعض الحشائش والاشب . وهكذا تحرم عديد من الأفعال اليومية خوفا من انتظام الارواح . فالرجال الذين لديهم دروع معينة لا يمكنهم أكل الامعاء كما أن هناك أيضا من يحرم عليهم استخدام السكين في الطعام أو أي أدوات معدنية أخرى وآخرون لا يستطيعوا أكل قلوب الحيوانات ... وهلم جرا .

وهناك نوعان من المعتقدات السحرية Fetishes لها دلالة كبيرة بالنسبة لكل قبيلة الشين أولها الأربعة أسهم التي يخصص اثنان منها للجواموس واثنان للرجل - والتي ينظر إليها على أنها مقدسة كما أنها تحت توجيه قوة خاصة . وهذه الاسهم مثل حزمة الدواء Medicine bundle لها نفس الدلالة عند جميع أفراد القبيلة حيث يسمى كل واحد لحوزتها ومن ثم تقام بعض الاحتفالات الهامة عند الشين من أجل تجديد الاسهم المقدسة .

أما النوع الثانى من المعتقدات وهو قبعة الطب Medicine hat والتي كانت فى وقت ما معادلة لرمز القبيلة سوتاىو Sutaio وحيث أصبحت مقبولة بعد أن اندمجوا فى قبائل الشين الحقيقية .

وتصنع القبة من رأس الجاموس وقرونها ثم توضع فى رابطته تحت حراسة رجل خاص وحيناً تعرض للجمهور فى مناسبات خاصة فيعتقد أنها تجلب الحظ والصحة والرخاء على القبيلة . والمكان الذى توضع فيه القبة يشبه الكنيسة فهو مكان مقدس لا يجوز لأى شخص أن يرتكب فيه جريمة أو يتبجح عدو .

وتقيم القبيلة طقوسها الدينية الرئيسية فى فصل الصيف حين يجتمع كل أفرادها من الممسكر الكبير وأشهر هذه الطقوس ما يطلق عليه رقص الشمس San dance والذى يمارس فى جميع أنحاء السهول . ذلك بالإضافة إلى احتفال الماسايم Massaum والذى يعرف فى بعض الأحيان باسم الرقص المجنون Foolish dance والذى يتضمن استعراض للمعارضين .

ورقص الشمس عند الشين أو كما يعرف لديهم باسم مكان الطب فهو يشبه بصفة عامة الاحتفال عند بقية هنود السهول على الرغم أنه بين قبائل الشين يوجه بوضوح إلى الأرواح وذلك من أجل خير القبيلة . فيقام منزل للاحتفال كبير على شكل مستطيل يوضع فى مركزة عمود مقدس تحرى حوله حلبة الرقص وتقدم العروض وتقام الشعائر المختلفة . وفى ختام الأيام الأربعة للاحتفالات يربط الشباب الراغب فى التعذيب الجسدى فى العمود بعد وضع الأسياخ فى جلود صدورهم . وقد لفت هذا العمل الأخير أنظار الأوربيين والرجل الأبيض بعضه خاصة وكان عاملاً فى منع رقص الشمس فى مخصصات الهنود الحمر على الرغم من أن هذا العمل ليس من أبرز مظاهر الاحتفال .

أما رقصه الماسيم *Massaum* فهو أساساً محاكاة للسحر إذ تركز على تصور الشخص لصيد الحيوان وتمثيل الظروف التي يقتنص فيها الحيوان . وغرض هذا الاحتفال هو طلب وفرة في الصيد وشفاء المريض وتأكيده النجاح في الحرب ولذا فقد يارس المعارضون حركاتهم التي تثير ضحك المتفرجين .

وقد وصلت حياة هنود السهول إلى أوجها في الفترة التي تزايد فيها الاتصال السريع بالمتجمع الأمريكي . في ذلك الوقت أصبحت منطقة السهول العظمى ميدان للصراع بين المدن الشرقية ونيو مكسيكو وكاليفورنيا وأريجون ولكن لفترة لم يكن هناك استحوار على الأرض إذ أن الرجل الأبيض كان لا يوجد شيئاً سوى حماية عربات البضائع من السطو إذ أن استمرار العلاقة السلبية بينهم وبين هنود القبائل الهندية ساعد على حصولهم على الفراء في نظير إعطائهم الحبوب والمرايا والسكاكين والآنية النحاسية والحديد . ثم أخيراً البنادق والبارود والقصدير والويسكي الرخيص الذي أقبل على تناوله شباب الهنود ومن ثم أصبح عنصراً هاماً في التجارة .

وفي عام ١٨٣٢ افتتح طريق سانت في *Santa Fe* الشهير الذي عمل على زيادة التجارة بين المدن في مسيوري ونيو مكسيكو كما أن قبائل الهنود الجنوية تاجرت على القوافل وعملت معهم غير أن بعض الجماعات قد هاجمتهم من آن لآخر لأنه لم يكن هناك بوليس قبلي . وكل هذه الأمور كانت مثيرة غير أنها لم تمثل أى تهديد لقطعان الجاموس البحري في أرض الشين .

ولكن بعد أن بدأت أعداد العربات تزداد في طريق أوريجون في السهول الشمالية حتى صممت حكومة الولايات المتحدة على وضع الهنود في حدود خاص بهم ومن ثم فقد عقدت معاهدة في عام ١٨٥١ في قلعة لاراي بينهم وبين

هنود الشين والاراباهو *Arabaho* حددت بواسطتها مساحة واسعة لصيدهم بين شمال نهر بلانا ونهر اركانس وبين جبال الروكي وحتى التلال السوداء *Black Hills* وقد كانت هذه المساحة كافية غير أنه بعد مضي ثمانية أعوام على توقيع الاتفاقية بدأ الباحثون عن الذهب يتجهون إلى منطقة نهر بلاتا ومن ثم توقع الهنود أثر صوب الغرب . وأسوأ من ذلك الجاموس البحري الذي كان يعد المورد الرئيسى لمنطقة السهول أخذت أعداده تقل بسرعة . فقد لجأ الصيادون الاورييون لصيد الجاموس من أجل جلودها فقط كما أن المسافرين عمدوا لقتل أعدادا منهم على سبيل الرفاهية . ويبدو أن ظهور الذهب كان بشير لإفناء المورد القديم للمنطقة وهو الجاموس الذى بدأ تقل أعداده ببطء فى بادية الأمر ثم أخذ ينقص بدرجة مزهلة إلى أن كاد ينقرض بعد أعوام قليلة من الأحداث السابقة .

ويبدو أن تتابع الأحداث بسرعة قد ترك هنود السهول فى حالة من الإضطراب تقريباً . وذلك أولاً لان أعداد كبيرة من الأوريين وفدت فى أعقاب قيام طرق القوافل ولم يلاحظوا أو يعرفوا طيعة المعاهدات التى وقعت مع الهنود من قبل ومن ثم فعند ما كان الهنود يهاجمون الهنود كانت قوات الحكومة تنبهم وتقتك بهم . وهكذا تردد بين الأوريين أن أفضل الهنود هو الهندى المقتول ومن ثم فلم يفرق الرجل الأبيض من الهنود غير المسلمين أو الهنود المسلمين أو الهنود الذين يجب عقابهم لجرائم لا يعرفوا عنها شيئاً . فقد ذهب الجنرال كوستر *Custer* إلى قرية الشين المسالمة فى بلاك كتل *Black Kettle* وأبدوها عن آخرها . كذلك فقد تمخض عن الموقعة التى حدثت فى *Sand Hill* بالقرب من دينفر *Denver* أن حصر معسكر الشين ورفع عليه علم القوات الأمريكية بعد أن أيد من فيه وعرضت أشلائهم فى مسرح دينفر .

وقد وفد أعداد كبيرة من البيض بعد الحرب الأهلية إلى منطقة السهول وتبعاً لذلك أصبحت حياة الهنود في هذه المنطقة مستحيلة . وفي عام ١٨٦٧ قبل الهنود الذين يعيشون في النصف الجنوبي من السهول بما فيهم الفرع الجنوبي من الشمين نظام المخصصات ومن ثم فاستقروا في خلال أعوام قليلة في أوكلاهوما . أما في الشمال فتمدد أدى استمرار تدخل الرجل الأبيض في أراضي الهنود إلى نشوب الحروب الهندية التي بلغت ذروتها في أعوام ١٨٧٠ . فقد اتحدت قبائل الشين مع بعضها حيث نجحت في إلحاق الهزيمة بالجنرال كوستر في موقعة ليتل بيغ هورن Little Big Horn غير أن الدائرة أردت عليهم وهزموا وانتهى بهم الأمر للعيش في مخصصات .

وبما هو جدير بالذكر أن معظم أراضي المخصصات غير صالحة للزراعة ، كما أن الزراعة هي في هذه الحالة من اختعاص المرأة . وحتى رقصة الشمس قد حرمت ذلك إلى جانب جميع مظاهر الحياة القديمة لهم التي لم تجد مجسداً لها في المخصصات . وهذا التوجيه الخاطئ الذي تكرر باستمرار في أجزاء متعددة من العالم حيث توجد الجماعات البدائية قد خضع للحضارة وكان رد الفعل في أغلب الأحيان عنيفاً . ومثل ردود هذا الإحتكاك يعرف باسم Revivalism أو messianism والتي تنطوي على إيجاد نظم تحتوى الإحتفالات والتقاليد الخيالية التي كانت موجودة قديماً .

وقد وجدت بين هنود أمريكا حركة عرفت باسم رقصة الشبح الدينية Ghost Dance Religion والتي بدأت في نيفادا في عام ١٨٨٨ ثم انتشرت بعد ذلك إلى بقية القبائل الهندية الأمريكية المنتشرة في الغرب الأقصى إلى أن وصلت أخيراً إلى قبائل السهول . وقد ذكر أحد قادة هذه الحركة من الهنود

ويُدعى وفوكا Wovoka إن ماتعلبه من أصول الرقصة يساعده على إحضار أجداده
الراجلين وتجديد الأرض بصيد جيد. وفي هذا الوقت تمكن الشين وكذلك قبائل
السهول الأخرى من اعتناق الدين الجديد ومن ثم فقد دعوا سلباً مواصلة الحرب
المقدسة ضد البيض. وهذه الحركة كانت في مضمونها حركة الأحياء Revivalistic
حرمت فيها الملابس والعادات والأدوات الجديدة للرجل الأبيض وجمدت فيها
الطرق القديمة . وهكذا قامت حركة مسلحة لهنود تيتون Teton في داكوتا
غير أنهم هزموا في ونددني Wounded knee ولم تحدث معارك أخرى على
الرغم من أن الاضطرابات قد استمرت عدة أعوام .

وفي وقت لاحق صاحب حركة الأحياء أكل هنود أمربكا لزراير جافة
مصنوعة من نبات معين يحصل عليه عن طريق التجارة على الهنود الذين يعيشون
في المناطق الجنوبية الغربية وفي المكسيك . ونظراً لأن هذه السلعة تحتوي
على مادة مخدرة فقد انتشر استخدامها من الجنوب إلى هنود السول حيث
يستخدمها الآن معظم الهنود .

ومنذ أن فشلت جهود الحكومة في إجبار الهنود الذين يعيشون في المخصصات
الشمالية على الزراعة وحتى أخذت تربية الماشية تجد طريقها في الأهمية بالنسبة
 للمنطقة . وقد ساعد على ذلك أنه ينظر إلى تربية الماشية على أنها وسيلة أفضل
لعمل الرجل كما أن البيئة ملائمة لذلك . غير أن المساحة المخصصة صغيرة لا تكفي
هنود الشين الشماليه والذين يبلغ عددهم ١٦٤٧٠ فرداً لكي يربوا قطعان من
الماشية تكفيهم . فمعظم السكان يعيشوا في الوقت الحاضر في اكواخ متلاصقة
كثوع من الأحياء الريفية الفقيرة Rural Slum وهم على درجة كبيرة من الفقر
فبعض الرجال يعمل دوري وإن كان القليل منهم له حرف ثابتة بالقرب من

المخصصات أو بها ذلك إلى جانب بعض أرباب المعاشات وهؤلاء الذين يباعون بعض منتجاتهم المحلية . فقد وصل متوسط دخل الفرد لديهم في عام ١٩٤٥ حوالي ٢٤٠ دولار وهذا المبلغ يوزع بطريقة أو أخرى بين الأفراد عن طريق المشاركة .

ولازال بعض التقاليد الأصلية معمرة بين الشين فالتأكد على القرابة مازال ينعكس على فترة الزيارة الطويلة للاقارب ، كما أن قاييل من وسائل التطبيب القديمة مازالت معمرة ذلك بالإضافة إلى أن بعض الاحتفالات القبلية مازالت تمارس . ومن هذا يبدو أن عملية الاندماج في المجتمع الأمريكي الحديثة يسير ببطء شديد حيث توجد معوقات أكثر من تلك التي ظهرت في نظام المخصصات وعلى أي حال مالتزاج والاختلاط مع الرجل الأبيض مستمر فزيد من أطفال الهنود يلتحقون بالمدارس ، كما أن المزيد منهم يحصل على وظائف خارج المخصصات أكثر من قبل . وإذا ما استمر هذا الاتجاه فإن وضع الهنود الحالي سوف يتغير في غضون جيلين أو أكثر . وفي تلك الأثناء فإن الأمريكي الأصلي الصائد والمزارع والمكتفي ذاتياً أصبح مواطن من الدرجة الثانية بأمريكا وهو على مستوى اجتماعي واقتصادي منخفض بالنسبة لأي مهاجر وفد على تلك الأرض .

قبائل النوير

The Nuer of the Upper
Nile River

قبائل النوير

يقطن النوير مناطق طويلة من الحشائش المدارية التي تشغل المنطقة الممتدة من النخوم الجنوبية للنطاق الصحراوي وصوب الجنوب إلى شرق إفريقيا ، وهم جماعات طويلة القامة ذوى سيقان طويلة ورؤوس ضيقة لاذ يمشلون نتاج سلالى متنوع بين سلاله البحر المتوسط وزنوج غابات إفريقيا . ويتحدث جميعهم لغات متقاربة وضعت حديثا كلها تحت مجموعة اللغات السودانية الشرقية . وقبائل النوير قبائل ترعى الماشية تتمثل خير تمثيل فى الجزء الشمالى من شرق أفريقية غير أنهم يختلطوا أكثر بجماعات البانتو الزراعيين كما اتجهنا جنوبا إلى أوغندا .

ومن الجماعات الرعوية النقية المساوى فى جنوب كينيا وشمال تانجانيقا وهم جماعات معروفة جيدا على الرغم من أنهم ليس أفضل النماذج النوير إذ أن الجماعات التى توجد فى الشمال تعتبر أكثر تمثيلا للمجموعات القبائل السودانية الرعوية المنتشرة فى المنطقة على نطاق واسع .

وأرض النوير فى وسط وجنوب السودان عبارة عن منطقة واسعة من الحشائش يخترقها المجرى الأعلى من نهر النيل بروافده المتعددة ، ومى ذات مناخ مدارى حيث تنقسم السنة بالنساوى بين فصل شديد الجفاف وآخر غزير المطر فتبدأ من شهر ديسمبر وحتى شهر يونيو تنخفض المياة فى نهر النيل وفروعه ويبدو المظهر الطبيعى فى المنطقة وكأن الجفاف يسيطر على كل شىء ولكن ابتداء من شهر يونيو وحتى شهر ديسمبر تسقط الأمطار الغزيرة وتفيض الأنهار على ضفافها وتنمو الحياة العشبية الغنية بحشائشها الطويلة .

وقد تبدو المنطقة للناظر حينذاك وكأنها منطقة مستقيمة . لاهلاقة لها بالمظهر الصحراوى الذى كان يسودها فى الجزء الآخر من السنة .

ومن وجهة نظر الزراعة الحديثة أو رعى الحيوان يبدو أن هذه المنطقة تشهد فترات تزيد فيها المياه عن الحاجة وأخرى تقل فيها لدرجة واضحة ، ولذا توجد أنواع متعددة من الحشرات في المنطقة . ففي فصل الأمطار يوجد الباعوض بكثافة غير عادية لدرجة تحول دون عمل الانسان والحيوان اللهم إلا إذا احرق ناراً يضر منها دخاناً كثيفاً . أما في فصل الجفاف فيهاجم الذباب بأنواعه المزعجة الحياة الحيوانية .

ويعتقد النوير أن بلادهم أفضل الأوطان على سطح الأرض ، والقليل منهم من تعدى في ترحالهم مدينه الخرطوم . وتنصف جماعات النوير مثل بيشهم بالشح وعدم الجود من ثم والقبائل المجاورة لهم تخشاهم ، كما أن القوى الاستعمارية لم تهتم كثيراً بالاستيلاء على أراضيهم أو تجنيدهم إلاهالي في العمل . ونتيجة لذلك يعتبر النوير في الوقت الحاضر من أكثر الجماعات البدائية الأصيلة نقاوة في عاداتها الاجتماعية وتنظيماتها على الرغم من المنظمة شهدت استعماراً بريطانيا .

ويبلغ عدد البوير حوالى ٣٠٠ ألف شخص غير أنه لايربطهم جميعاً أى وحدة سياسية فلا يشار إلى النوير كشعب أو مملكة بل عبارة عن مجموعة من القبائل المتشابهة حضارياً ولغوياً والبنى تجمعها تشعر بدرجات متفاوتة أنهم يكونون مجموعة مختلفة عن جيرانهم . وجماعات الدنكا التى ظلت لفترة طويلة من أشد أعداء النوير أكثر شعبها لهم من الجماعات الأخرى المحيطة بهم ومن المحتمل أن ينتمى النوير والدنكا إلى أصل حضارى ولغوى واحد (شكل ١٢) .

ومن جيرانهم الآخرين القبائل المتعددة المتحدثة بلغة الشلوك مثل الجالا فى أثيوبيا والأنواك Anouak والبوير Boir . أما إلى الشمال فيوجد العرب الرعاة الذى اتصل بهم النوير في بعض الأحيان . وبصفة عامة نجد أن طبيعة وصفات

— ١٧٩ —



شكل (١٢) النوير

اختلاط النوير بجيرانهم كانت واضحة .

وجامعات النوير جماعات رعوية أساسا على الرغم من أنهم مثل أى مجموعة رعوية أخرى في العالم ، يقومون بزراعة بعض المحاصيل القليلة حينما يدفعهم الفقر إلى ذلك بغض النظر عن فقر التربة وعدم ملاءمة المناخ لذلك . وينظر النوير كما ينظر كل رعاة شرق افريقية إلى الزراعة على أنها مهنة أقل من مهنة رعى الماشية حيث يعتبروا اعتزازا كبيرا بالمهنة الأخيرة . وتمثل الماشية المصدر الرئيسى للطعام فتأخذ منه الألبان واللحوم والدواء كما تستخدم الجلود في صناعة الإسرة والحقائب والحبال والطبول والدروع في حين تصنع العظام والقرون أنواعا ممتدة من الأدوات المنزلية والآلات . وتعتبر الماشية من أهم ممتلكات النوير الذين لا يعادلون أهميته امتلاكها بأى شيء آخر فقد ذكر أحد الباحثين وهو البروفسير ايفانس بويتشارد evars - Pritchard في كتابه عن النوير الذى صدر في اكسفورد عام ١٩٤٠ أن «النوير لا يتحدثون عن شيء سوى حيواناتهم . وأنه وصل لدرجة اليأس أحيانا لأنه فشل أن يجد في حديثه مع الرجال سوى الحيوانات والنساء بل أن الحديث عن النساء كان يقوده دائما إلى الحديث عن الموضوع الأول » .

ويعتبر اللبن غذاء النوير الاساسى على مدار السنة ، فقد يشرب طازجا أو يختلط بالذرة لعمل العصيدة كما يملح لعمل طبق خاصة من الطعام ذلك إلى جانب صناعة الذبد وتحلب الماشية مرتين في اليوم ، وتقوم النساء والاطفال بهذا العمل ويمنع على الرجل حلب الابقار ولا يسمح بها إلا في حالة عدم وجود أمراء . وفي فصل الجفاف حين يكون الطعام نادرا يحف لبن الابقار ومن ثم فقد يلجأ النوير إلى قطع أحد شرايين الرقبه في البقرة للحصول على الدماء منها . ويغلى الدم إلى أن يصبح سميكاً ، وقد يترك ليتجمد وبعد ذلك يشوح ويأكل .

ولاترعى الماشية من أجل لحومها ولكن حينما تصبح ضعيفة أو مجروحة أو
أو كبيرة في السن فإنها تذبح وتأكل في ظل احتفالات وطقوس. ويتولى الرجال
رعاية القطعان فبعد أن تنتهى النسوة من حلبهن يقوموا بقيادتهم صوب المرعى
والماء والإشراف عليهم طوال اليوم ليعودوا بهم إلى حظائرهم بالمساء، وفي تلك
الأيام ينشدون أغاني تصف محاسن حيواناتهم. ومما هو جدير بالذكر أن النوير
يفسحوا أيدهم ووجوههم في بعض الأحيان يقولون الأبقار كما أنهم ينظفون أجسادهم
وأستأنهم بدماء مصنوع من روث الماشية.

وأهم الغلات التي يزرعها النوير السوريجام وبعض الذرة. ويعتبر السوريجام
أهم الأطعمة لدى النوير بعد اللبن فيصنع منه العصيدة والبيرة التي تمتد أسبوعيا
ويؤكل قليلا من الذرة حيث لا ينمو جيدا مثل السوريجام في ظل الظروف المناخية
الرطبة. أما الماعز والأغنام فتنتشر بين قطع الماشية غير أنها لا تعتبر مصدرا هاما
للاقتصاد لديهم. ويمثل صيد السمك مصدرا آخر هام للطعام النوير. مع نهاية
الفصل الجاف ومع بدء موسم فيضان الأنهار وتكوين المستنقعات يسهل عليهم الصيد
الذي يتواجد في البرك المنتشرة في أراضيهم. وموطن النوير غنى بحيوان الصيد
غير أن النوير لا يقبل على الصيد بكثرة، فتوجد هناك عديد من أنواع الجاموس
والفيلة إلى جانب وفرة من التماسيح غير أن النوير يشمر أن الفقير الذي ليس
لديه قطع من الماشية هو الذي يتجه للصيد من أجل الطعام. وقد يضطر النوير
لصيد الفهود والنمور في فصل الجفاف حين تهدد تلك الحيوانات مصدر قطعانهم
أي أن الصيد في هذه الحالة من أجل حماية أنفسهم ويعتمدوا في ذلك على الكلاب
والرمح. ولا يربي النوير الطيور كما يعتبروا أن كثرة أكل الطيور البرية وببعضها
امرا غير مقبولا.

وفي خلال فصل الأمطار يعيش النوير في قرى اقيمت فوق الأراضي

المرتفعة البعيدة عن غائلة الفيضان حيث يمارسون زراعة حديقهم الصغيرة. وهذه البقع التي تقام عليها المحلات العمرانية قليلة جدا ومن ثم فإغلبية الاراضي الفيضية المسمحة أما كن غير مؤهلة وكذا تباعد القرى عن بعضها لمسافة قد تصل إلى حوالي ٢٥ ميلا . ويتحدد حجم القرية بعدد سكانها ومساحة الاراضي الزراعية الملحقة بها ، وهكذا يتراوح قاطني القرية الواحدة ما بين خمسين شخصا وعدة مئات ومن الأشخاص . ومع نهاية الفصل الممطر وبعد أن تجف الأرض يشعل النوير النيران في الحشائش من أجل تهيئةها لقيام مرعى جديد ثم يحلون لاقامة معسكراتهم بالقرب من المجارى النهرية وروافدها وذلك لفترة ستة شهور وكثرة الحركة والانتقال ضرورية في هذه الفترة نظرا لان المرعى يصبح أكثر تناثر مع تقدم فصل الجفاف .

ولان يوجد حقوق ملكية دائمة للأرض عند النوير . فاختيار موضع القرية يحكمها فكرة أن الأرض مشاعة للجميع وأن الملكية الوحيدة المتمسك بها هي ملكيه قطعان الماشية وهذه الملكية ملكية أسرية أكثر منها فردية ولذا فبعض العائلات أغنى في قطعانها من البعض الآخر . ويعود هذا الاختلاف أساسا إلى مركز صاحبها غير أن هذا الاختلاف لا ينتج عنه اختلاف ذات قيمة في مستوى المعيشة . فدرجة المساهمة في المجتمع وأيضا في المجتمعات المجاورة يتوقف على دور المجموعة ككل في مدى اشتراكها في مصدر طعام واحد . ولان يوجد تجارة بين النوير إذ أن النمو الاقتصادي بطيء جدا في بعض الاوقات في أثناء العام ولا سيما في أواخر فصل الجفاف يوجد نقص واضح في الطعام ومن ثم فيفرض على مجتمع النوير أن يتعاون جميعا في كيان اقتصادي مشترك .

وتتمثل الوحدة الاقتصادية الصغرى عند النوير في المنزل أو النزله

hame stead حيث يتكون من كوخ او مجموعة صغيرة من الاكواخ وحظيرة للماشية بنيت جميعها من البوص وطين اللبن وقد تضم المنزل اسرة بيولوجية واحدة أو ربما تشتمل على اسرة ممتدة تركز على الآباء وعدد من الأبناء مع عائلاتهم . اما في فصل الجفاف فالمسكنات المؤقتة تشيد من حصر بسيطة لتكون مجموعة من الاكنواخ على هيئة نخلة من النخل يعيش بها مجموعة من العائلات المتقاربة التي تعتمد كورال Corral ، او حظيرة كبيرة مسورة تضع بها الماشية ، أو قد يعيش بها عائلات واحدة تجوب مساحة واسعة وتعتمد في حياتها على ظروف الأرض وقربها من الميرعى وأماكن الصيد الوفير وفي العادة يرتبط النشاط الاقتصادي بالمنزلة وذلك في غضون الإقامة في قري بينما في فصل الجفاف يصاحب النوير قطعان ماشيتهم في مرعاهم ولذا تكون الأنشطة الاقتصادية أكثر شيوعاً .

ويربط جميع افراد القرية أو المعسكر صلة القرابة وهي نفس الرابطة التي تربط كل الافراد والجماعات التي تصاحب النوير . فكل الحقوق والواجبات والامتيازات والعادات ينظمها إطار القرابة ، فلا يوجد أى شكل آخر للصداقة فإما الشخص قريب أو نندو ، وهكذا يستطيع النوير ان يصنع أى شخص له احتكاك بهم في وضعه الصحيح . ومصطلحات القرابة لدى النوير متعددة ومنها ما يطلق على افراد المقاشرين للامرة ذلك إلى جانب الأقارب من نفس العمر أو هؤلاء الذين تربطهم صلات معينة بالافراد المباشرين للامرة .

ومعنى ذلك أنه من المشكلات الاجتماعية تحديد نوعية الأقارب من مصطلح يطلق على أحد الافراد المباشرين في الامرة . ولذا فجميع الأقارب المذكور الذين ينتمو لجيل الآباء والامهات يطلق مصطلحي أب وأم ، كما أن الأقارب من

جميل واحد يطلق عليهم مصطلح أخ أو أخت ، كما أن أطفال الأخ والاخت يطلق أبناء وبنات . ويعتبر الحال كما هو في بعض المجتمعات ذا وضع خاص في القربى بالمقارنة بالذكور الآخرين في نفس جيلة . وإذا فُيشار إليه دائماً بمصطلح يميز وبطبيعة الحال هناك طرق مختلفة لتحديد درجات القرابة بشكل أوضح . فقد يستخدم مثلاً مصطلح شقيق الأب في مخاطبة العم بدلاً من إطلاق مصطلح أب عليه ولكن ينظر النور على استخدام مصطلحات محددة في القرابة شكل شيء يتسم بالبرود والبعد .

وتعتبر قرابة السن مسألة هامة في العلاقات الشخصية بين النور ويبدو أن هذه المسألة تفوق في أهميتها أى اعتبار آخر . فيوضع كل فرد من أفراد النور في قسم تبعاً لمصطلحات نظام العمر . فجميع الذكور يقسموا إلى درجات تبعاً لأعمارهم فهناك الكبار والمتساوين والصغار . فيستطيع المرء أن يميز الكبار على أنهم أرفع قدراً من الصغار وأنه غير متكافئين مع متوسطى الأعمار . أما النساء فيتبعن النظام الذى يحتوى الأمهات والزوجات والشقيقات والبنات اللاتى تنتمين إلى أشخاص ذكور معينين . وهكذا بحكم استخدام مصطلحات القرابة العمر النسبى أكثر من القرابة الفعلية ولهذا فيخاطب أى شخص من مجموعة كبار السن بمصطلح أب أو أم بينما يخاطب الصغار بمصطلح ابن أو ابنة . أما الشيوخ فيطلق عليهم لقب جد وجده . أما الرجال من نفس العمر إذا ما كانوا أصدقاء ينادى كل منهم الآخر باسم نوره إذ أن اسم الثور يطلق على صاحبه .

وعلى الرغم من الاستخدام الواسع لمصطلحات القرابة المحدودة التى تطلق على عدد كبير من الناس إلا أنه توجد اختلافات هامة في السلوك بين الأقارب من مختلف الدرجات . فلكل شخص صلات قرابة من جهة أبية وأخرى من جهة

والده ، غير ان القرابة المتصلة بالطرف الاول أمتبر أهم قرابة الطرف الثاني .
 فافراد تسلسل الاب وهم أقرب الاقارب والسقهم لا يشترط تقاربهم في الحدود
 ولكن القرب هنا في الشعور أوضح . وهذا هو السبب في أن الحال يخاطب في
 بعض الأحيان بمصطلح خاص بينما يشار إلى العم بمصطلح أب إذ ان الأخير
 احد الافراد المتحدئين لتسلسل الاب وذلك على النقيض من الحال الذي يمثل
 نوعا أخرى . ويعنى التسلسل القرابي Lineage nember ship التمثيل في
 المجموعة التي تشارك في حقوق الأرض والتي تحكمها التزامات سياسية وقانونية
 عامة كما ان لها حقوق احتفالات معينة . ويعيش في كل قرية أكثر من تسلسل
 قرابي بل ان التسلسل الواحد قد يكون له فروع متناثرة في قرى مختلفة . وهكذا
 يلعب التسلسل القرابي الدور السياسي بمعنى أن كل افراد القرية لهم شعور طبيعي
 قوى نحو قريتهم . وهذا الشعور يكون بطريقة ما وحدة متكاملة يشارك أفرادها
 اعداد من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية . ولا يسمح نظام التسلسل القرابي
 بزواج الفرد من مجموعته التسلسلية انما يحدث الزواج في القرية بين التسلسلات
 المختلفة .

ومن ثم فالتسلسلات القرية تربط أفراد القرية بعضها ببعض حيث تشكل
 اتحادات وتخلق مجموعات أكبر بحيث قد تبدو القرى مكتفية ذاتيا .

وتكون الانساب المتقاربة بمجموعات أكبر وهي العشيرة . وإذا كان درجة
 قرابة أى شخص تعرف بين ذوية فإن العشائر ينظر إليها على أنها تتكون من
 انساب وليس من أفراد فصلات قرابة كل نسب بالآخر معروفة في العشيرة
 ولكن الافراد يعرفوا فقط. كتتابع لأفراد لعشيرة التي انحدرت من جد عام .

وقد تتحد القرى في مقر سكنى عام إذ قد تشغل عمدة من القرى منطقة من

أرض يشعر قاطنيها بأنها وطنهم بعادتهم وحرفتهم وفي مثل هذه الحالة تعرف هذه القرى باسم عام هو اسم الناحية وفي نفس الوقت اسم مجموعة السكان . وقد يشعر أيضا بعض هذه النواحي بصلة القرابة بين بعضهم في مساحة أكبر من الأرض وبالتالي تشعر المجموعة الأخيرة بنفس الصلة بمجموعة أكبر منها إلى أن يظهر اتحاد أعم واشمل يربط بين المجموعة المتقاربة تحت اسم القبيلة .

وجامعات النوير كلها تنقسم إلى ثمان أو تسع قبائل كبرى يتراوح عدد أفراد كل منها بخمسة آلاف شخص وإن كانت هناك جامعات أصغر من ذلك كثيراً ولكن القبيلة هي أكبر وحدة من السكان الذين يقطنون منطقة معينة ولهم اسم خاص والذين يشعرون سوية بالانتماء belongingness . ولا توجد حكومة بين قبائل النوير ومن ثم يعرفوا كشعب وكأمة في إطار اشتراكهم في لغة وحضارة وحدود واحدة أي أن التعريف السياسي غير وارد في هذا الصدد .

وتتكون كل قبيلة من قبائل النوير من عدد من العشائر ولكن يوجد دائماً بينهم عشيرة تشعر أنها أعرقهم وأكثرهم تميزاً وهي في بعض الأحيان وليست دائماً أكبر العشائر . وعلى الرغم من أن لكل عشيرة عدد من أفرادها في كل قرية إلا أن هناك عشيرة بعينها تشعر أنها هي الأهم في كل قرية ، وأخرى في كل ناحية ولهم جراً ومن ثم فهناك من الأشخاص من يستطيع التحدث باسم العشيرة السائدة في كل ناحية كما هناك من يمكنه التحدث باسم القبيلة ككل . وفي ضوء هذا الواقع نجد بعض الاختلافات الاجتماعية بين الأسر في كل المناطق حيث تربط هذه الاختلافات بالمركز أكثر من السيادة أو الامتياز . فلا يوجد هناك طبقات اقتصادية تعتمد على ثراء اقتصادي مورث أو اختلاف في مستوى المعيشة .

ولأ يوجد بين قبائل النوير حكومة بمعنى الكلمة أو سلطة منظمة أو أي قانون . إنما يوجد فقط بعض الرجال المؤثرين الذين لديهم نوعا من السلطة التي تعتمد على مقدار تهم على القيادة أكثر من اعتمادها على المركز أو الوظيفة الموروثة وفي العادة يأتي القائد من العشيرة البارزة ولكن لا بد له من أن يكون قوى الشخصية ذا حكمة حتى يمكنه اجتذاب الآخرين . والنوير جماعات تؤمن بالمساواة بقوة ولذا فلا يمكنها قبول أي سلطة فيما عدا تلك التي تنأى عن طريق الأسر والتي تنطوي تحت تقسيمات السن والنوع في نظام القرابة .

والمركز الذي يشبه كثيرا الوظيفة السياسية هو رئيس جلد النمر — Leopard Skin chief وسمى بهذا الاسم لأنه يسمح له بأرتداء روب من جلد النمر . ووظيفته الأساسية بالإضافة إلى بعض الطقوس المعينة — الوسط بين الخصوم . واعنف الاضطراب الاجتماعية في حياة النوير ترتبط بقتل رجل لآخر . فكما هو الحال في المجتمعات البدائية الأخرى التي تفتقر إلى وجود مؤسسات حكومية فإن هذا العمل يسبب الفقرة بين الأقارب ويكون بداية للخصومة والعداء الحقيقي . ولا تسمح مجتمعات النوير لهذا الحدث أن يمر بدون ربط إذ أن المجتمع لا تنعدم فيه السلطة كلية رغم عدم وجود قضاء أو أي سلطة حكومية في المحلة العمرانية .

فحينما ترتكب جريمة قتل يذهب القاتل إلى رئيس جلد النمر المحلي وإذا ما كان يخشى الانتقام في الحال فإنه يظل مع الرئيس الذي يعتبر منزله مقدس . ودور الرئيس بعد ذلك هو إن يذهب إلى اسرة القاتل ويتفق معها على دفع عدد من رؤوس الماشية إلى اسرة القتيل ثم يحاول بعد ذلك إلى اقناع اسرة القتيل بقبول التمهيد و على أي حال فهو الوحيد الوسيط . وإن كان ليس لديه أي سلطة للحكم أو للأجبار على الدفع أو القبول .

ويمثل جلد النمر دور الوسيط. في بعض المنازعات الأخرى كما هو الحال عند الاختلاف على ملكية الماشية . وقد يستطيع الرئيس ومثله في ذلك مثل كبار السن في المجتمع أن يعبر عن رأيه في الحالة ويحاول أن يناقش طرفي النزاع . ولكن كما سبق أن ذكرنا ليس لديه أى سلطة بالنسبة للداعى أو المدعى عليه .

وفي بعض الأحيان يوجد بعض الرجال الذين يفضل الأهل تسميتهم بالانبياء لهم بعض النفوذ السياسى . وهؤلاء الرجال يكونوا في معظم الأحيان من الشامانيين أو المطبيين والذين يعتقد انهم يملكون روحا مباركة قوية . وفي بعض الاوقات يتمكن هؤلاء الرجال من توحيد عدد من المجموعات إبان الحملات الحربية أكبر من ذلك العدد الذى يمكن تجميعه في غيابهم . ومن أفضل مآثر هؤلاء النبىء ما قاموا به من مقاومة التغلغل العربى والاوربى لارضيتهم في القرن الماضى غير أن الاحتلال البريطانى لارضيتهم قد وضع نهاية لنشاط هؤلاء الانبياء .

ويؤمن النمر بأن العلاقات السلبية لا بد أن تسود بين الأقارب الذى يجب مساندتهم وإن درجة القرابة ترتبط أيضا بدرجة المسألة . وبصفة عامة نجد التوزيع يتزوج من قبيلته ومن ثم فرابطة القرابة لا تتعدى حدود القبيلة . وإن كانت القرابة قد تمتد من ناحية أخرى إلى ماورا القرى المحلية لأن قبول جماعات التوزيع فكرة تحريم الزواج من الأقارب وسعت نطاق مجموعات الزواج لديهم فلا يستطيع التوزيع أن يتزوج من ذرية أو عشيرة وبما أن العشيرة قد تكون كبيرة جدا لذا فقطاع عريض من السكان حرم عليه الزواج من بينهم . كذلك تحول قواعد الزواج الارتباط بأمة الام وله بأى ذرية من عشيرتها . ولا يوجد تحريم للزواج المحلى غير أن القرابة لكونها تضم مجموعات متقاربة لذا لا يد للزوج للبحث

عن الزوجة خارج نطاق قرينته . بمعنى أن الزواج المثالي هو الذى يحدث بين افراد تنزاور عائلتهم فى قرى تبعد عن بعضها .

وهدف الحياة النوير ذكور كانوا أم أناثا منذ نعومة اظافرهم هو الزواج والبيت والابناء . فبعد البلوغ تطلق الحريه كاملة للفتى والفتاة لممارسة الحب حيث يمد كل طرف رفيقه دون تدخل من الاسرتين غير أن الزواج غرض بعيد عن العلاقة العاطفية ، إذ أن اسرة الفتاة من الضرورى وأن توافق على اسرة العريس إذ لا بد وان يكون لديهم عدد كاف من قطعتين الماشية .

وقد يتم الزواج الحقيقى بعد دفع اسرة العريس عدد من رؤوس الماشية لاسرة العروس وفى العادة يتم الدفع على ثلاث فترات تصاحب كل منها طقوس معينة ترتبط بالخطوبة Petrothal والزفاف Wedding واكتمال الزواج Consummation . وفى وقت حفل الخطوبة بمنزل العروس تأخذ اسرة العريس يرافقتها اصداقاء العريس عدد من رؤوس الماشية كهدية حيث يمكن «افضل الرجال best man» (وهو المنحدر باسم اسرة العريس) الوصول مع اسرة العروس على اتفاق بشأن عدد رؤوس الماشية وتواريخ احتفالات الزواج وفى هذا الصدد يقام احتفال غنائى راقص ويذبح ثورا كولية . وبعد مضي عدة أسابيع وبعد مناقشات مستفيضة يحدد خلالها عدد رؤوس الاغنام التى تعطى لاقارب الفتاة الخاضعين يعقد حفل الزواج مرة أخرى من منزل الفتاة ويحضره عدد كبير من افراد الاسرتين .

أما الزواج الحقيقى فيحدث عندما يعقد الاحتفال الثالث فى منزل العريس . وهذا الاحتفال هاما لأنه يتوج الرابط، النهائية بين اتحاد الاسرتين كما أن الزوج ليس له حقوق على زوجته حتى هذا الحفل بمعنى انه لا يستطيع معاقبتها فى حالة

خروجها عن أوامره كذهابها مثلاً إلى حفل راقص يدعى إليه أناس غير متزوجين وهناك لحظات هامة في الاحتفال الثالث. أهمها أثناء الليل حين يتحدث الانصال الجنسي لأول مرة بين العروسين ، وحين تذببح الثور في الصباح كنحر مقدس يأكل منه جميع أفراد العائلة فيما عدا العروس التي يحرم عليها الأكل في منزل حماتها . وفي هذه الحالة تدهن العروس بالزبد ويحلق شعرها كأعلان لتغير وضعها .

ولا يعيش الزوجان سوياً بمعنى الكلمة إلا بعد انجاب طفل . فتعطى الفتاة كوخاً خاصاً في مقر أسرتها بينما يبقى الزوج بين أفراد أسرته ويقوم كل ليلة بزيارة زوجته كلما استطاع ذلك . ولكن بعد انجاب الطفل يقبل الزوج كعضو في أسرة الفتاة حيث يقيم مع أسرتها إلى يقطم الطفل ثم يرحل بعد ذلك هو وزوجته ليعيش في قريته .

وقد يظل الزوج والزوج والافارب في قلى نسيد إلى حين ولادة الطفل وسبب ذلك لا يعود إلى حبهم إلى الأطفال لحسب بل لأن الزواج لا يصبح مستقراً إلا بعد ميلاد الطفل . فمن الممكن أن ينقرط عقد الزواج بسبب إقامته في هذه الحالة ترد رؤوس الماشية التي أخذتها أسرة العروس إلى أسرة العريس وممتلي ذلك أنه لا يجوز التصرف في رؤوس الماشية طوال هذه الفترة .

وبعد فطام الطفل الأول يبنى الزوج كوخاً لزوجته وطفله في مقر والده وأول واجبات الزوج في مستقرها الجديد هو تشييد « دروة Wind Screnc » من الطين لتكون مكاناً لأرواح ذويها . لأن ذلك يعني كثيراً من التغير بالنسبة للزوجة إذ عليها من الآن وصاعد أن تذرع ذرعاً وتحلب ماشيتها حيث يعطيها والد زوجها عدد من رؤوس الماشية لكي تبدأ حياتها المنزلية المستقلة .

ومع مرور الزمن وتتابع الحوادث نجد أن أحداً لا يفقد مافع له من ثروة

إبان الزواج إذ تنقسم المجموعة الماشيه التي تأخذها في أي وقت بين الأمازيغ ومن ثم فعملهم جميعا المساهمة في تجميع الماشيه المطبوعة لأي عربي. ودفع الماشيه بهذه الصورة لايعني مطلقا شراء العروس لها إذ أن الماشيه كما تأتي إلى المحلة العمرانية تخرج منها. إذ أن أبرز ناحية لتحرك الماشيه من ناحية والمرأه من ناحية أخرى هو الاستقرار الوظيفي الذي وجد في المجتمع إذ من أكثر الأمور صعوبة وتحقيقا هو انتهاء الزواج وذلك لأن الماشيه الموزعه على نطاق واسع لابد من عودتها لذا تستخدم أسرة الزوجه كل نفوذها لكي تظل مع زوجها ولهذا السبب ولكي تتجنب كثير من الصعاب يأخذ الزواج وقتا طويلا ومراحل متعددة لأن النوير يرغبوا من التأكد من استقرار الزواج قبل أن يتورطوا كاملا فيه .

ولابد للرجل الشاب من أن يمر عن أقرانه بحكم القانون وإن كان بعد ميلاد طفله الأول وفطامه يتغير وضعه حيث يقبل على انه أحد الأقارب أكثر من كونه مجرد مخاطب Suitor فالدى الفتاة يخاطبونه الان باسم مولودة كما ان العلاقات الإجتماعية أصبحت مبنية على استخدام مصطلحات القرابة . وحيث لايتجنب الرجل أو الصبي حماه لفترة طويلة بعد ذلك فيمكنه محادثتها بحرية كما يمكنه زيارتها من أن لآخر ولايحرم على الزوج إلا شيئين أولها تناول الطعام في منزل والدى عروسة وثانيها الظهور عادى أمامهم .

ويمارس بين النوير نظام « الليفيرات » Levirate التي تجبر الأخ على زواج زوجة أخيه في حالة وفاته . ففي العادة يضطلع الأخ الأصغر بمسئولية هذا الزواج ورعاية زوجة أخيه وأبنائه . وفي هذه الحالة لاتقام أى احتفالات للزواج وتظل الأرملة محتفظة باسمها الأصلي كزوجه للأخ المتوفى .

وأحيانا يكون للرجل أكثر من زوجة وفي هذه الحالة لا يكون للزوجة

الأولى أى وضع خاص إذ يعتقد النوير أن الزوجات لابد وان تعاملن جميعا بالنسوة ، وقد يؤدي هذا الوضع إلى احتمال الاحتكاك بين الزوجات ويعرف النوير ذلك جيدا إلا ان أسباب تعدد الزوجات إلى جانب نظام الليفيرات ترجع إلى حين يموت الرجل دون ان ينجب ذكراً إذ لابد ان يستمر اسم الرجل في ذريته الذكور وان الأرواح والاشباح سوف تكون غاضبه كما يعتقد النوير إذا حدث ذلك . ولهذا يعتمد اخيه الأصغر أو أحد المقربين اليه لزواج زوجة الرجل المتوفى وهنا يعتقد أن شبح الرجل المتوفى هو الزوج الشرعى يأخذ الاطفال اسمه ويسمى هذا الزواج باسم زواج الاشباح « *ghost marriage* » .

كذلك يوجد هناك نوعا من الزواج بين امرأتين اللتان يكون احد أزواجهن عاقر . حيث يحضر الاطفال إلى الزوجين بمساعدة رجل قريب أو صديق ويمارس الاب في هذه الحالة مسؤولية نمو الاسرة كرها وكوالد الاطفال . وليس هناك أى دليل على ان هذا الوضع نتيجة لعلاقة جنسية شاذة بين امرأتين إذ حقيقة الامر ان شخص ثالث هو المسئول عن الطفل .

ويعيش الاطفال مع امهاتهم في الكواخ صغيرة تحيط بحظيرة الماشية ، وحين يبلغ الصبى سبعة أو ثمانية أعوام يأخذ الطفل من أمه ليذهب لقيام وياً كل ويقتضى وقت فراغه في الحظيرة التى اقيمت لحماية الماشية في الوقت المطير وتكون بنفس الدور الذى تقوم به دروة الرياح في فصل الجفاف أى لتكون متندى ومكان لتجمع الرجال وهكذا ترتبط الاكواخ بالحدائق بينما تتصل الحظائر بالماشية ومن ثم فالقسيم الإقتصادى لعمل المرأة في الزراعة والرجل مع الماشية كل في قطاعه المنفصل ، وهذا لايعنى أن مركز المرأة في مجتمع النوير أقل من الرجل إذ تقوم بجزء من النشاط في الحياة اليومية للمجتمع فتختلط بحرية بين الرجال وتساوهم رأيها بحرية بين الآراء .

ولانقتصر خبرات النوير على عائلته فحسب، فكل السكان الذين يتجاورون مسكنه يساهموا في تنشأة الطفل كما أن أى امرأة مرضع فى أى مكان فى القرية يمكن ارضاعه . ويقع على الام وأقاربها الاناث ولا سيما كبار السن منهم مسؤولية توجية الاطفال . أما أباء النوير فيدللون أطفالهم ويقضون اوقات طويلة معهم فى اللعب ولكن لايعاقبهم ابدا .

والطفل الاول ولاسيا إذا كان صبيا يعامل معاملة خاصة ، فكما سبق ان ذكرنا يولد الطفل فى منزل أسرة والدته وانه يأخذ إلى مستقر ابيه بعد فطامة وإذا ما كانت جدته لامة على قيد الحياة فربما يترك تحت رعايتها ولا يذهب إلى قرية ابيه طوال فترة تربية أن إذ لم يكن له جده فإنه يبقى مع ابوية حتى السادسة أو السابعة من عمرة ثم يذهب بعد ذلك إلى منزل عائلة أمه ليعيش مع اخواله حتى السن الذى يقوم به باعمال الرجال .ليعود ثانية إلى منزل أبيه .

وأهم حدث فى حياة الصبى النويرى وذلك قبل زواجه هو وضعه فى نظام الاعمار . هذا الحدث كما هو الحال فى معظم الجماعات البدائية يتضمن مجموعة من الشعائر المعقدة والنعذيب المضمن الذى يتلوه من مرحلة الطفولة إلى المرحلة التى يتطلع فيها بمسؤوليات الرجال . فىوضع الاولاد الذين تتراوح اعمارهم ما بين ١٤ و ١٦ سنة سويا والموجودين فى القرية فى هذه الشعائر حيث يوجهوا توجها جماعيا .

وابرز مظاهر النعذيب التى تصحب وصول مرحلة الرجولة هو احداث ستة قطوع فى الوجه تمتد من الاذن إلى الاذن الاخرى ، وبعد هذه العملية يوضع الصبية فى معزل خاص تمارس فيه مختلف المحرمات . ولايحضر هذه الطقوس والشعائر والاحتفالات سوى الاباء ورفاقهم من نفس العمر واقتراح واختام

فترة التنصيب تداع على جميع القبيلة ونبدأ باعلان خاص من متخصص يطلق عليه رجل القطيع Man the of Cattle

ويحاول الصبية الذين التحقوا بفترة التنصيب أن يشتركوا في أى غارة وذلك من أجل إبراز رجولتهم وشجاعتهم غير أن نظام الاعمار ليس فى الواقع نظام حربي كما هو الحال بين بعض المجتمعات الرعوية الأفريقية الأخرى أو نظام متصل بأنشطة معينة . حتى شعائر التنصيب ذاتها لا تتضمن أى تدريبات أو تعليمات خلقية إذ لا معنى لها سوى تقسيم المجتمع إلى مجموعات تنظم بينها العلاقات السلوكية بين الرجال بعضهم وبعض وذلك فى إطار مصطلحات التقارب العمرى . ولا يمثل عمر التنصيب للشباب أهمية بالنسبة للأعمال المنزلية المحلية إذ يمتطى الأب أو الخال الولد فى هذه الفترة أول رمح يحوله إلى وضع محارب كما أول ثور . وفى هذا الوقت يأخذ اسم ثوره أى ينادى بالإسم الذى ينادى به الثور الخاص به . ومنذ تلك اللحظة وإلى أن يتزوج يصبح رجل بمعنى الكلمة إذ يحاول جهد استطاعته ليرهن على مقدراته على أن يكون رب أسرة وعلى مقدراته على الرقص وعلى الحب وذلك من أجل طلب الزوجة .

ويحرص النوير على إظهار الخضوع الحقيقى لكبار السن ولكن فيما عدا هذا النوع من الطبقة الاجتماعية فلا يوجد أى نظام للسيادة أو الخضوع فالمجتمع يتسم كما سبق أن ذكرنا بالتساوى . والنوير كرماء فيما بينهم ولكن يقابل أى طلب على صورة أمر بغضب شديد . ولا يثير وجود الغريب بينهم أى خوف أو حب استطلاع إذ يعتبر النوير انهم اسياد الأرض .

ولم يتمكن النوير من تطوير أى نوع خاص من الفنون فيما عدا الفناء الشعري وهم يشاركون فى ذلك لأسباب متعددة غير مهم من الشعوب الرعوية فى

العالم ، فحين يشمر الطفل النوير بالسعادة يقضى ، ويفعل نفس الشيء أيضاً حينما يرى الماشية أو يخطب فتاة وبعض الأغاني تقليدية غير أن بعضها ينظمها ويرتلها المغنى في الحال . وبعض الأغاني تكون جماعية وبعضها فردية إلا أن محورها جميعا يدور حول رعى الماشية .

ويوجد لدى النوير خوف شديد من أشباح الموتى . فبعد الموت بوقت قصير تدفن الجثة في قبور عمقها حوالى أربعة أقدام بعد أن تلف بجلود الأبقار ولا يوضع معها أى ممتلكات شخصية أخرى . ويسد الأتارب وأصدقاء العمر في ترك شعورهم تنمو ويخلعون الزينة والحلى من على أجسامهم . وأهم احتفال يحدث في نهاية فترة الحزن وذلك بعد مرور ستة شهور على وفاة الرجل أو ثلاثة شهور على وفاة المرأة ، حيث تذبح الثيران لأقامة وليمة ويرش اللبن في الشعائر . وبعد الوليمة يخلق المعزبون والأقارب رؤوسهم ويتدون حلبيهم المعتادة . والغرض الأساسى من الحفل هو مباركة الروح الصاعدة وذلك لكي لا تقوم بأى محاولة لأخذ زوجة المتوفى أو زوج المتوفية والأولاد والقطيع .

وإذا ما قضى المرء نحبته فجأة بدون مرض سابق فيعتقد النوير أن إله السماء Sky God قد أخذ الروح ورفعها إلى السماء . وفي هذه الحالة لا تحدد فترة الحزن إذ أن الروح لن تعود إلى الأرض في هذه الفترة ومن ثم تنهر الماشية في الحال بعد دفن الجثة . ولا يظهر النوير تأثر شديد أو حزن على الميت وذلك لأنه رغبة إله السماء إذ ما اختار شخص وأن إبداء أى عاطفة يعتبر اعتراض على فعل الإله .

ويوجد عديد من إله السماء أو الأرواح والتي أقوها ذلك المعروف باسم الدنج Dong والذي يرتبط بالمرض . وهباك أرواح أخرى ينظر إليها على أنها

لله الحرب والصييد والرعد والرق وملم جرا . كذلك توجد أرواح للأرض ينتمى عديد منها إلى أنواع مختلفة من الطيور والحيوانات والتي تؤدي وظيفة الطواطم الانساب وتعتبر الطيور طواطم مقدسة على وجه الخصوص لدى النوير وهذا يوضح السبب وراء عدم تناول النوير في طعامهم لحوم وبيض الطيور .

ويوجد في مجتمع النوير بعض الرجال الذين يدعون . قوة خاصة في التطبيب بسبب سيطرتهم على أحد الأرواح الطوطمية . ويعرف في هذا الصدد عدد من المطبيين المتخصصين فهناك المتخصص في الكهنوت والعرافة والآخر في شفاء صداع الرأس أو الإمساك . ويرتبط الكهنوت بقرائه الأغاني بينما تتضمن عملية الشفاء الطرق العالمية في التندليك واستخراج أو جذب الأشياء الغريبة من الجزء المصاب في المريض وقد اكتسب بعض الشامانية تأثير قوى على النوير فأطلقوا عليهم اسم الأنبياء وذلك لإعتقادهم أنهم يتلصكون أرواح أقوى تساعدهم أكثر من الكهنة العاديين . ويمارس بعض هؤلاء وظيفة صانع المطر والمسؤول عن الاحتفالات التي تقام ويضجوا فيها بالماشية من أجل روح الرعد . وصانع المطر وظيفة هامة بين جماعات الدنكا والشلوك المجاورة لجماعات النوير غير أن هذه الوظيفة أقل أهمية لدى النوير .

ويقوم النوير في بعض الأحيان بأهرامات مختلفة الأحجام وذلك تكريما لروح إله معين ، وقد يصل ارتفاع هذه الأهرامات إلى ٥٠ قدما ومحيطها إلى ٣٠ قدم . وتبنى الأهرام من طوب اللبن والرماد ويحاط بأنبياب الفيلة . وربما وصلت إليهم فكرة إقامة الأهرام عن طريق مصر الفرعونية ولكن أهرامات النوير على النقيض من الأهرامات المصرية لم تستخدم كمقابر ولم يحن في بنائها العمال . ويسود بين النوير فكرة « عين الجبود » eye . أو الشخص الذي لديه

قوة خارقة تسبب الحسائر لاي شخص ينظر إليه ويرتبط. بذلك أيضاً عمل السحر ولاسيما هؤلاء الذين يمارسون بعض شعائرهم على جثة الميت الحديث وذلك من أجل السيطرة على أرواح الاقارب الذين على قيد الحياة . وكما هو سائد في المجتمعات الإنسانية فإن الأشخاص غير المحبين أو الذين يقومون بأعمال تثير الخوف في النفوس وترتبط بالسحر يذكر النوير أنهم كانوا يقتلوا فيما مضى . ولدى النوير عدد من المعتقدات والاساطير الخاصة بنشأتهم كبشر وبداية عاداتهم . فهناك اتفاق عام بينهم على أنهم انحدروا من السماء ونزلوا إلى شجرة كبيرة جداً ومنها إلى الأرض ليصبحوا بشرا . والاجداد الأوائل كانوا أخوة غير أن « البطل الحضارى Culture hero » المعروف باسم « جا Gaa » قسمهم إلى قسمين وأمرهم أن يتزوجوا فيما بينهم وحرم عليهم الزواج من نفس المجموعة . ومع مرور الزمن وازدياد الأعداد تفرع النسين إلى عدة فروع لتكون المجموعات المتقاربة عشائر .

والتوقيت الزمنى لدى النوير محدود بمدى قصير جداً بمعنى أنهم مثل معظم القبائل البدائية لا يعرفون الوقت Timeless people . فينظر إلى السنة على كونها مجرد مصطلحات بسلسلة من الاحداث نشأت من فصلين متميزين . وقد تستخدم الاقارم والتي تحدد بالدورة القمرية شهريا في بعض الاحيان لمعرفة الوقت وعدد الايام وأى جزء من اليوم . ولكن يعرف الوقت أساسا لدى النوير بالإشارة إلى الانشطة فليس لدى النوير مصطلح معنى كلمة وقت كما هو معروف في العالم المتحضر حيث لا يوجد لديهم مفهوم مجرد لهذه الكلمة بمعنى الإضاعة أو المحرر أو الإختصار . فالانشطة لا توجه عبر الزمن إذ أن التحكم في أداة الانشطة يعود للانشطة ذاتها التي تمارس على كونها أنشطة للترفيه أو للحياة المعيشية .

أما فيما يخص بتسجيل الاحداث الماضية فيبدو أن النوير لم يبذلوا أى محاولة لحساب السنوات أو لتذكر أى فعل حدث قبل أو بعد وقت حدوث الحدث ذاته وربما كان نظام السن age-set هو العلامة الوحيدة للتذكرة فيقال أن الشيء قد حدث قبل بداية مرحلة عمرية معينة أو قد يقول الشخص أن هذا الحدث قد وقع قبل وصوله إلى مرحلة التنصيب بثلاثة أنظمة قبله . ولهذا فإن تاريخ النوير قد يمتد لاكثر من قرن من الزمان . فتذكر الاحداث مثل حدوث المجاعات أو الحروب في الازمنة القديمة كما تظهر في تقاليدهم تبدو جميعا في نظرهم وأنها حدث قريب . وربما خير دليل على ضحالة النظرة الزمنية لدى النوير اعتقادهم بأن الشجرة النى انحدوا منها ما زالت قائمة حتى الآن .

ولم يتمخض اتصال النوير بالعالم الخارجى عن تغير أساسى في حضارتهم وربما التغير الجذرى الذى طرأ على حياتهم كان من جراء القضاء على عشر قطعان الماشية في خلال القرن الحالى نتيجة لطاعون الماشية الذى انتشر بين الحيوانات بما فيها الاغنام والماعز فى الماضى كانت ثروة العرس تتراوح ما بين ٤٠ و ٦٠ رأسا من الماشية أما اليوم فيقدم للعروس نصف هذا العدد أو أقل . وقد دفع نقص الماشية النوير إلى زراعة الذرة بدرجة أوسع من زراعة من قبل وذلك لكى يعرضوا النقص والحفساره فى مورد معيشتهم . وربما أدى التوسع فى زراعة هذا المحصول إلى زياده ارتباط النوير بقرانهم أكثر والإقلاق من ترحالهم عن ذى قبل . وتضائل قطعان الماشية لدى النوير ربما يفسر على الأقل سلوكهم العدائى فقد تعرض رعاة الدنكا لغارات عديدة شنها جيرانهم النوير عليهم بينما قبائل أخرى مثل قبائل الشلوك لم تتعرض لغزوهم وحجة النوير فى ذلك هى أنهم لا يغيرون على قبائل لا تمتلك قطعانا وان الشلوك لو كان لديهم ماشية لشنوا الغارات عليهم للاستيلاء على ما يملكون .

ونما هو جدير بالذكر أن العرب تجار الرقيق والعاج الذين أخضعوا فيما مضى معظم القبائل السودانية كان تأثيرهم ضعيفا على النوير . فالحكومة المصرية وكذلك حكومة المهدي التي حاولت ان تحكم السودان في الفترة ما بين عام ١٨٢١ ونهاية القرن الماضي لم تتمكن من بسط سيطرتها على النوير وكذلك كان الحال بالنسبة لآي سلطة إلى أن تمكن الحكم المصري السوداني من تأسيس نظام ادارى في ارض النوير في عام ١٩٢٨ وكان هدف هذا النظام الادارى عدم التدخل في حياة النوير اليومية ومحاولة الاقلال من غزواتهم على جيرانهم .

ونظرا لان منطقة النوير فقيرة في مواردها فلم تسكن مطمعا للرجل الابيض ولذا لم يطرد النوير من اراضيهم كذلك لم يبدى النوير من ناحية أخرى أى ميلا للتطور التكنولوجى والحضارى الحديث إذ ظلوا معتمدين على قطعان ماشيتهم مكنتين بطريقة حياتهم البسيطة التي تسمح له بالاكتفاء الذاتى وعدم الاتصال بالاوربي .

والخلاصة أن جماعات النوير تكون مع الدنكا والشلوك المجموعة الشمالية من الجماعات النيلية التي تقطن المنطقة الممتدة من جنوب الخرطوم حول النيل الابيض وفي مديرية بحر الغزال والمديرية الاستوائية حتى بحيرة كيوجا . ويسكن النوير منطقة المستنقعات من الخوض الادنى لبحر الجبل والزراف حيث تمتد منطقتهم إلى بحيرة نو وينتشرون شرقا حتى نهر السوبات وتقدر مساحة اراضيهم بحوالى ٢٦ ألف ميل^٢ . وينقسم النوير إلى مجموعتين احدهما تعيش غربى بحر الجبل والاخرى في شرقه .

ويطلق على المجموعة الاخيرة اسم نوير الاحراش Bush Nuer ويعتمد

النوير في حياتهم على المطر في فصل سقوطه ولكنهم يضطرون لحفر الابار في فصل الجفاف وخاصة في الاودية النهرية الصغيرة الجافة ويزرعون القمح الرفيمة والشامية الى جانب رعى الماشية وصيد الاسماك والحيوانات وفرس التمر ويمتاز النوير بالرأس الطويلة والقامة الطويلة جدا إذ يصل طول القامة بينهم الى ١٨٥ سم وطول القامة مصحوب دائما بطول الساقين وضموهما بجسمه خاصة ويظفرون دائما في وقتهم التقليدية على رجل واحدة مرتكزين على حربة

تاهیتی بولینزیا

The Tahitians of Polynesia

تاهيتى بولينزيا

تشير السينما دائماً وقصص البحار الجنوبية South seas الرومانية إلى مجموعة جزر المحيط الهادى المعروفة باسم بولينزيا والتي تنتشر فوق مساحة هائلة من مياه المحيط فى منطقة على هيئة مثلث فى وسط جزيرة تاهيتى وفى قمته جزر هاواى وفى وسط الضلع الغربى جزيرتى ساموا وتونجا بينما فى ركنه الغربى جزيرة نيوزيلندا وفى الركن الشرقى جزيرة استر . ويبلغ طول كل ضلع من هذا المثلث حوالى ٤٠٠٠ ميل فالمسافة كبيرة بين الجزر والانتقال من واحدة إلى أخرى يتطلب ملاحاً ماهراً الأمر الذى كان سبباً فى أن تعمير هذه الجزر جاء فى فترة متأخرة نسبياً .

وقد ظلت جزر بولينزيا منذ الفترة التى وطئت فيها أقدام الملاحين المكشفين أرض تلك البلاد فى القرن السابع والثامن عشر الميلادى وحتى الوقت الحاضر جزر الجمال والمناخ الأمثل وموطن لشعوب مبتسمة . وجزيرة تاهيتى إحدى جزر سوسيتى التى تقع فى وسط مجموعة الجزر البولينية كانت من أجمل جزر المحيط الهادى كما كان سكانها على درجة كبيرة من الكرم علاوة على أن نساءها قد سحرن بجمالهن بحارة السفينة بونى Bounty الشهيرة والتى كان يقودها كابتن Bligh والذين أعلنوا الثورة على الباغرة رغبة فى البقاء وعدم الاستمرار فى الرحلة . كذلك تشتهر تاهيتى بأنها ملجأ الرسام الفرنسى الشهير بول جاوجين Poul Gauguin وعدد آخر من اللاجئين الذى وفدوا فى أعقابها .

وتنتشر جزر بولينزيا كما سبق الذكر فوق مساحة ضخمة من المحيط الهادى فالمسافة بين جزر هاواى التى تقع فى قمة المثلث إلى نيوزيلندا فى الجنوب تصل إلى حوالى ٥٠٠٠ ميل ، كما أن أكبر مسافة بين الشرق والغرب تصل إلى ٣٠٠٠ ميل

وتتمثل بمجموعات الجزر الكبرى في جزر هاواي ، واليسى Ellice وسالمون وتونجا وكوك Cook وسوسيتى Society وتواموتان Tuamotan وماركيز ونيوزيلندا .

وأهم الجزر المنعزلة جزيرتى إيستر Easter ونيي Niue ذلك بالإضافة إلى وجود عدد كبير من الجزر الصغيرة . وفيما عدا جزيرة نيوزيلندا التى تشغل مساحة أكبر من مساحة الجزر الأخرى والى تقع فى منطقة مناخية أكثر اعتدالا لا تختلف بمجموعات الجزر الكبرى الأخرى فى ظروفها الجغرافية كثيراً عن بعضها وإن كان يوجد اختلافات واضحة داخل بعض المجموعات .

والاختلاف الكبير بين الجزر هو ذلك الاختلاف بين الجزر الكبيرة المرتفعة « high Islands » ذات الأصل البركانى والجزر المنخفضة Low islands والتى تتكون من شعاب مرجانية صغيرة . وقد تشمل عديد من مجموعات الجزر الكبرى النوعين معا . على أى حال فى الجزر المرتفعة كان يقطن معظم السكان البولينيزيين أصحاب الحضارة البولينيزية الكلاسيكية التى انقرضت . أما الجزر المنخفضة فقد عمرت من جماعات قدمت من الجزر المرتفعة غير أنه لكون هذه الجزر صغيرة ومواردها أقل وأكثر تحديدا لذا فقد فقد سكانها عديدا من المظاهر المادية لحضارة الجزر المرتفعة .

وتتميز الجزر المرتفعة بانها وعرة تغطيتها بقايا المخاريط البركانية ولا يوجد بها إلا التندر اليسير من الأراضى المستوية فى داخلها غير أنه فى بعض الجزر مثل جزيرة تاهيتى يوجد سهول ساحلية منبسطة ونهر خليجى عريض . والأراضى الصالحة للزراعة غنية جدا . إذ أن التربة هى حصيلة العوامل الجوية فى التربة البركانية كما انها مغطاة بنبات مدارية كثيفة والأمطار غزيرة على الجزر المرتفعة كما أنها أكثر من تلك التى تسقط على الجزر

المرجانية وذلك لأن التعمم الداخلية مرتفعة في العادة وتستطيع أن تدفع الرياح المحملة بالأمطار إلى أعلى إلى العروض البارزة حيث تسبب سقوط أمطار على اليابس أكثر من على البحر . ويستطيع المسافرون أن يتبينوا الجزر المرتفعة من على بعد رؤيتهم السحب الكثيفة التي توجد فوقها . ومناخ معظم الجزر البولينية مدارى غير أن درجة الحرارة ليست مرتفعة على وجه الخصوص إذ يصل متوسطها في جزيرة تاهيتي إلى ٧٧°ف كما يتراوح المدى السنوى بين ٦٩° و ٨٤°ف .

ويوصف سكان بولينزيا دائماً على أنهم محصلة اختلاط ثلاث مجموعات جنسية وهى القوقازية والمغولية والزنجية ، ومهما كان الخليط فسكان بولينزيا متجانسين في صفاتهم الجنسية . وبصفة عامة فلونهم بنى فاتح ، طوال القامة بدون لحية ، وشعر بنى موج وعيون بنية وملامح الوجه توحى بارتباطهم بسلالة البحر المتوسط . ولغة البولينيزيين متجانسة أيضاً على امتداد الجزر المتناثرة في المثلث بحيث نجد اتفاق بين كل من التجانس الجنى واللغوى عبر المنطقة . وقد دفع هذا الارتباط اللغوى والجنسى الذى يسود في بولينزيا بعض الباحثين إلى الاعتقاد بان انتشارهم الجغرافى والواسع فوق عتدد كبير من الجزر يرجع إلى فترة حديثة نسبياً .

وتكون فترة ما قبل التاريخ للبولينيزيين مشكلة مشيرة إذ أن هناك كثيراً من الفروض التى تشير إلى أصولهم والنسب بينها أن البولينيزيين انحدوا من قاره غير موجوده حالياً . وقد اقترح ثور هيدوهال Thor heyerdahl أن البولينيزيين وفدوا من العالم الجديد حيث يعتمد في ذلك على رحلة طواف Raft voyage من بيرو إلى جزر كواموتو وهى اشارته إلى امكانية اتصال

الهنود الأمريكيين بتلك الجزر . غير أن هـ — هذا الفرض لم يجد استجابة لدى
الاثروبولوجيين الطبيعيين الذين درسوا البولينيزيين حيث لم يوجد في التركيب
الجنسى للسكان أى اصول تعود إلى العالم الجديد أو أى اتصال حضارى هام جاء
من هذا الاتجاه .

وهناك أدلة عديدة ومختلفة الأنواع تربط البولينيزيين وحضارتهم بالقارة
الاسيوية ولا سيما الجزء الجنوبي الشرقى منها . فالخليط الجيسى للبولينيزيين يمكن
ارجاعه إلى وجود مجموعات سلافية مختلفة في جنوب شرق آسيا . وأكثر من
ذلك فإن الارتباط اللغوى بين البولينيزيين والملايويون أمر واضح إذ ينتمى
المجموعتان إلى العائلة اللغوية الملاوية البولينيزية . وخلاصة كل هذه الأدلة توضح
أن الجزء الاعظم من حضارة البولينيزيين لها أصولها ومثيلها في أندونيسيا .
ويعتقد بعض الباحثين أنه حتى لو أمكن تتبع موجات هجرات البولينيزيين
وطرقها إلا أن ذلك لا بد أن يعتمد على علم الاجناس والاساطير الخاصة
بالبولينيزيين أنفسهم ولكن بالتأكيد يتفق معظم الاثروبولوجيين الان على
النتائج التالية :

أن استقرار البولينيزيين في جزر بولينزيا قد تم في فترة حديثة لا تزيد عن
٢٠٠ سنة مضت وربما أقل من ذلك ، وان البولينيزيين قد قدموا من بعض
أجزاء اندونيسيا ، ذلك بالإضافة إلى أن جزر سوسيتى كانت من أوائل المناطق
التي عمرت في وسط وشرق بولينزيا حيث برزت هناك صفات أنماط الحضارة
البولينيزية وتفاعلات من الاسس الحضارية الاندونيسية . كذلك انتشر من وسط
بولينزيا السكان إلى الخارج من جزيره الى أخرى إلى أن عمروا النقاط البعيدة
في هاواي وجزر ماركيز واستر ونيوزيلندا .

ومعظم الجزر التي توجد ضمن مجموعة جزر سوسيتي في وسط بولينزيا هي جزر مرتفعة على الرغم من أنه يوجد بعض الجزيرات المرجانية الصغيرة وتبلغ مساحة الأرض الكلية حوالى ٦٠٠ ميل^٢، وجزيرة تاهيتي التي تعتبر أكبر الجزر يبلغ طولها حوالى ٢٥ ميلا وعرضها في أكثر جهاتها اتساعا حوالى ١٧ ميلا. ويصل ارتفاع قمتيها البركانيتين الى حوالى ٧٠٠ قدم، والجزيرة مفتاة بمحاشش كثيفة وأشجار، ومعظم خط الساحل محيى بشعاب مرجانية داخلية تغطى لاجونا هادئا جميلا. ويتركز معظم السكان في المناطق الساحلية المستوية وكذلك على بعد مسافات قصيرة من مصبات الاودية النهرية. وقد بلغ عدد سكان جزر تاهيتي في وقت اكتشاف الاوربيين لها حوالى ١٠٠ ألف نسمة.

أما عن الحياة النباتية والحيوانية في كل الجزر البولينزية فيما عدا نيوزيلندا فهي ضئيلة في أنواعها واستغلاها حيث أن الحضارة الاصلية له تستطيع أن تطور بعيداً. فلا يوجد نباتات برية صالحة للأكل باستثناء حيوان البند Pandanus وبعض الطيور القليلة لا يوجد حيوانات للتصيد. ويعتبر البحر هو المصدر الطبيعي للغنى للطعام. على الرغم من أن الاطعمة الأساسية للبولينزين تجلب لهم من أفدونيسيا كجوز الهند والبطاطا واليام والتارو Taro والموز وقصب السكر ذلك إلى جانب حيوانات مستأنسين وهما الخنزير والدواجن.

وفي كل بقاع بولينزيا فيما عدا نيوزيلندا يعتبر طعام البحر هو أكثر الموارد الطبيعية استغلالا. فطرق صيد الاسماك متطورة وعلى درجة كبير من التنوع فهناك أشكال متعددة ومختلفة من الشباك والسناير والفخوخ الى جانب عموم الاسماك وانواع أخرى من الحطاف.

والبولينزيون رجالا كانوا أو نساء مهرة جدا في السباحة فتغطس النساء

لصيد الكابوريا والامماك الصدفية والامساك بالاخطبوط عن طريق لفه حول عصى خشبي تمكن من سحبه خارج الماء . أما الرجال والصبية فيقتضون وقتنا طويلا في الغوص الى أعماق بعيدة للحصول على قواقع اللؤلؤ واللحوم التي تستخدم كطعام والاصداغ التي تصنع منها أدوات عديدة وحلى .

ويعتبر نخيل جوز الهند من أهم النباتات المستأنسه ، فلحم جوز الهند الناضج غذاء مفيد ذلك بالإضافة الى زيتته الذي يستخدمه الاهالي في طبخ الطعام وفي حماية جلودهم من حرارة الشمس ومياه البحر . كما أن سائل أولين جوز الهند الصغيرة يعد مشروباً منعشاً ولذيذاً . وتستخدم أوراق النخيل كقش والنسيج للدوبار وصناعة الحصر والسلاك .

وينمو نخيل جوز الهند بصورة جيدة حتى في مناطق التربة الفقيرة ولا يحتاج لعناية كبيرة في خلال السنوات القليلة الأولى لنموه أى قبل بناء اسوار حوله لحمايته من الحنازير .

والى جانب جوز الهند تعتبر ثمرة الخبز Bread fruit أهم غذاء فردي في تاهيتي إذ تبدأ هذه الشجرة في حمل ثمارها الكبيرة الدائرية في عاها الخامس وقتنا تستمر تعطى محصولها لمدة تزيد على أربعين أو خمسين عاما دون حاجة لعناية كبيرة . وثمار هذه الشجرة وفيرة ومغذية ولكن ربما ترجع قيمتها الكبيرة الى كونها تخزن وذلك على النقيض من المواد الغذائية الأخرى لدى البولنيزيين . وفي الواقع يمكن لثمره الخبز تحت النظام الذي يتبعه البولنيزيين في التخزين أن تحافظ على طبيعتها حيث يعمد البولنيزيين الى حفظ الثمار الكبيرة ذات النكهة الجيدة . ففي قمة موسم نضج المحصول تشرح أكوام كبيرة من الثمار أو تخبز في أفران صخرية كبيرة وبعد ذلك توضع في حفر كبيرة مبطنه بأوراق الاشجار ثم تغطى

وشجرة ثمرة الخبز تمد الاهالى باخشاب تصالح لصناعة المراكب والمنازل .
والناهيثيون فلاحون مهرة يستغلون الاراضى الخصبية القليلة الصالحة للزراعة
أقصى استغلال عن طريق زراعتها كحداائق بعد تحويل جوانب النـلال إلى
مدرجات ، وحفر القنوات اللازمة للرى والزراعة وتخصيب التربة بالطرق المختلفة
المربطة بزيادة نسبة العناصر الغذائية بها . وترتبط النباتات المزروعة بزراعة
الحاصيل الجذرية كالتارو واليام والبطاطس ذلك بالإضافة إلى الموز وأذان الجدى
Plantain وقصب السكر والقـرع . وتعتبر العصي المعقوفة أهم الادوات
المستخدمة فى الزراعة .

وأهم مصدر بورتينى إلى جانب طمام البحر البورك والخنازير التى تربي
بعناية وقد تأكل الدواجن ولكن لا يستخدم بيضها كذلك تربي الكلاب
كحيوانات أليفه ولكن تستخدم أيضا كطعام .

وتزرع أنواعا عدة من أشجار الفلفل على طول المجرى المائية وذلك من
أجل جذورها التى تستخدم فى صناعة الكافا Kava وهى مشروب مسكر لها
مذاق المياه بالصابون . وتمضغ الفتيات الصغيرات الجذور ثم توضع بعد ذلك فى
أوعية كبيرة يضاف إليها المياه ثم يصفى الخليط بعد ذلك . يعطى العصير مادة
قلوية يستمد منها المشروب تأثيره .

ومن الأشجار النافعة الأخرى الموجودة فى تاهيتى شجرة أوراق النوت التى
تزرع من أجل لحائها الداخلى الذى يستخدم فى صناعة ملابس اللحاء الشظيرة
باسم تابا Tapa حيث توضع قطع مختلطة من اللحاء مع بعضها وتضرب سوياً
بمضرب لنشكل مادة تشبه الورق الخفيف ولكنها قوية جداً على الرغم من عدم
مقاومتها للماء . ويقوم كل الهوانزين بتزينها عن طريق طلائها أو صبغها ، ولا يوجد

في تاهيتى أى خيوط يصلح لعمل المنسوجات غير أن الحصير يصنع من وبر البنديه
الحشن ومن خيوط أو نسيج جوز الهند. كذلك تصنع بعض معاطف الاحتفالات
من الريش .

والتكنولوجيا في جذر تاهيتى معقدة على الرغم من ان الموارد محدودة ولا
يوجد بها أى معادن ومن ثم فجميع الأدوات تصنع من الاصداف والاحجار
أو الخشب حيث لا يوجد أيضا صلصال لصناعة الفخار .

وتوجد أنواع متخصصة عديدة من الأدوات الخشبية . فتوجد الفؤوس ذات
المقابض على أنواع وأحجام متعددة ، كما أن مخراز النفخ يعد من مآثر البولينيزيين
أذ يتكون من اسطوانه مديبة مستقيمة مع نقطة غرز من الحجر أو العظام ، ومع
تشغيل الاسطوانة خلال لوحة افقية من الخشب الثقيل أو الحجارة التى تمثل عجلة
متحركة وفي أعلى الاسطوانة تربط بالدبارة عن طريق اللف حولها وشبكها بأحد
أطراف عمود خشبي مقيد . وعند جذب العمود الخشبي إلى أسفل تدفع حبال
الدوبار العمود الاسطوانى للعمل ومن ثم العجلة المتحركة على دوران العمود

أما القوارب والكانو فأفضل ما يصنعه النجارون هناك حيث تحضر الكتله
الخشبيه ويصنع منها كانو مزود بشراع ومجداف ويستخدم في الرحلات المحلية
وقد تصنع مراكب أكبر عن طريق وضع سطح فوق كانوينين أو مركبين
صغيرين . ويتخصص في صناعة الكانو طبقة خاصة من العمال الذين يرتلون كثيرا
الصلوات والادعية أثناء عملهم . وتمتع هذه الطبقة بمركز مرموق حيث ينطون
تحت نقابة تلحق بالكنيسة .

ولا يوجد لدى البولينيزيين أدوات ملاحية ميكانيكية لانما اعتمادهم الوحيد
يتوقف على معرفتهم للفلك والجغرافيا . فهم يعرفون كل الإجرام ومواقع

النجوم ومن ثم توصلوا إلى نتيجة ان الارض كروية وذلك قبل وصول
الاوربيين اليهم .

وتشيد المنازل يشبه بناء القوارب يعتبر مهنة خاصة في جزر سوسيتى فمنازل
القادة والرؤساء يبنيا اعمال محترفين لذا قد تبدو كبيرة ومزينة. ويبلغ طول المنزل
في تاهيتى حوالى ٣٨٧ قدما . ومعظم سكان تاهيتى يبنون منازلهم التى تتسم بأنها
صغيرة ومربعة وغير مميزة نسبيا . ويبنى المنزل التقليدى فوق اعمدة ركنية
يربط بينها عوارض خشبية وتسقف . ويصنع جوانبها وحدائقها من القش المختلط
بوبر البندى واوراق جوز الهند أما الابواب فتعلق بواسطة بوص البامبو .
وقد تستخدم حصير جوز الهند او اقمشة التابا فى تبطين منزل الرئيس من الداخل
وقد يمد حول المنزل مساحة من الارض تبعد عن المنزل بحوالى عدة ياردات
وقد تغطى بالحصى او الشعاب المرجانية .

وأثاث المنزل ضئيل وهزيل وذلك لأن معظم الحياة المنزلية مثل الطهى
تأخذ مكانها خارج المنزل أو فى مكان الطهى . وفى العادة يجلس رب الأسرة على
كرسى غير أن السكان يجلسون بصفة عامة القرفصاء على الارض . أما الملابس
فتعلق على الاشجار فى حين يفرش الحصير فى المساء ليحل محل الأسرة كما أن
الوسائد عبارة عن كتلة خشبية مقعرة . وعلى الرغم من عدم الراحة كما يبدو فى
النظام إلا أن البوليزين يشتهروا بنومهم العميق فقد لاحظ بعض رجال
الارسلات أن هناك رجال ينامون مايقرب من ١٥ و ١٦ ساعة دون استيقاظ .

ويتم الطهى فى العادة فى فرن ترابى مبطن وهى عبارة عن حفرة مبطنه من
الحجارة تحرق فيها النيران قبل أن يوضع بها الطعام ويغطى بالاوراق وبالتراب
والطريقة الاخرى الهامة فى الطهى هى ما تعرف باسم على الحجر Stone poiling

حيث تلقى الاحجار المحمية في سلال غير قابلة لنفاذ المياه أو أوعية خشبية لغلى المياه . وهذه الطريقة شائعة في جميع أنحاء العالم حيث لا يوجد فخار أو أوعية أخرى تتحمل النار . وتأكل الاسماك والاصداف نيئة في العادة ولكن تطهى اللحوم والخضروات . وتعمل الخضروات في العادة كعجينة ثم تخلط بلبن جوز الهند أو الزيت . وطعام الرجال يعده الرجال بأنفسهم أما النساء فتطهى طعامهن وطعام الاطفال حيث يتناولوا الطعام بمفردهم .

وفي العادة يتناول البولينيون وجبتين يوميا ، الاولى وجبة خفيفة وتأكل في الصباح ويستطيع الفرد أن يتناولها في أى مكان وفي أى وقت أما الثانية وهى الوجبة الغذائية فيتناولها دائما فى المساء . والبولينيون أناس أكليون إذ أن الولائم التى يقيمها في احتفالاتهم قد أدهشت الأوروبيين . ويقدم الطعام على اطباق من الورق أو فى اوعية خشبية محفورة او على اصداف جهوز الهند حيث يتناولون طعامهم بأيديهم .

وليس لدى سكان جوز تاهيتى إلا قليل من الملابس فيرتدى الرجال ما يسمى باسم ملابس الأسد Loin cloth بينما ترتدى النساء «كلوت Kilt» او جنله كلاهما مصنوع من اقشة التابا . اما معاطف الريش فتلبس فقط فى المناسبات الخاصة . وفن تزيين الجسد فن راقى فى جزر تاهيتى . فالوشم Tattooing ظاهرة عامة فى بولينزيا وان كانت طريقتها تختلف من مكان لآخر هناك . (شكل ١٣) .

ففى جزر سوسيني يشتم الرجال انفسهم بغزارة احيانا فوق كل الجسم فيما عدا الوجه بينما لاتشتم النساء فى العادة إلا ايديهم واقدامهن . ويتم الوشم عن طريق غرس الكربون فى الجلد بواسطة اداه حادة من العظام وتختلف تسريحة الشعر اختلافا كبيرا فى بولينزيا ولكن فى كل مكان فهى مظهر هام لرتبة الشخص .

— ٢١٢ —



شكل (١٣) فتاة من بولنيزيا

ففي جزر سوسيتى تالف النساء شرورهن بطريقة بسيطة ولكن الرجال يصفعن شعورهم الطويلة على هيئة كعك Buurs او ذيل الخنزير ، او حلق جزءا من الشعر وعمل الباقي تسريحات مختلفة ومعقدة . وفى بعض المناسبات فى حالة الحرب مثلا - يرتدى الرجال باروكات طويلة مزينة بريش مصبوغ . ويلبس كل الرجال والنساء تقريبا وبصفة دائمة عقود من الزهور حول اعناقهم كما يضعوا زهور منفردة فى شعرهم وفوق احد آذانهم . ويرتدوا ايضا عقود مصنوعة من الاصداف والاسنان ذلك بالاضافة الى الريش . ويقضى كل من الرجال والنساء وقما طويلا فى الاستحمام والتعطير وتزين الشعور .

ويعطى التاهيتيون اهتماما كبيرا لتجميل مناطقهم السكنية فداخل المنزل والمناطق المحيطة به تنظف بصفة مستمرة عن طريق السكس كما تمهد الممرات المؤدية اليه وتبعد عنها المخالفات . اما منازل الرؤساء والضيافة فترين كما تزرع الزهور الجميلة فى المناطق الفضاء التى تفصل بين المنازل المتناثرة ،

ووحدة الحياة الاساسية فى المجتمع التاهيتى هى الاسرة الموسعة او الكبيره التى تتكون من شقيقتين أو ثلاثة وزجاتهم وأطفالهم . وإفراد هذه العائلات التى تنتشر فوق رقعة محدوده من الأرض ترتبط سويا من ناحية انحدارها من أب واحد ولنا فقد يكونوا نسبا محليا . وربما يتبع النسل من جد لكل من الأب والام لتبقى الذرية فى عده أجيال حيث توارث المركز الاجتماعى والامتيازات وحقوق الأرض فيما بينها . ويتوقف فى العادة مركز الشخص على ما ورثه من الذكر ولكن فى بعض الاحيان حينما يكون الانحدار من جد الأم بعيد قد يجد الفرد صعوبة فى اثبات حقوقه . وحيث أنه من المعترف به أن الزواج لا بد وأن يكون بين شخصين متكافئين أو متساوين فى المركز لذا ليس هناك حاجة لتتبع النسب وذلك لتقييم المركز .

ويشغل جميع أفراد جزر تاهيتي مكان صغير في مركزة ومن ثم فيستطيع الأب أن يعطى مسؤولياته ويميزاته لأى من أبنائه حيث لا يمكن أن يشغل هذه المسكاته سوى فرد واحد من أسرته وهذه الظاهرة تفسر تأكيد البولينيزيين على حق البكورة أو الأبناء البكر *Primogeniture* . إذ أن الابن الأول إذا ما وصل إلى مرحلة النضج يأخذ مسؤولية الكبار في رعاية أخوته والدفاع عن مصالحهم. أما الابن الثاني فمكتوع من الواجب يأخذ مكان الأكبر في حالة غيابه أو وفاته إلا أن يكبر الابن الأول للشقيق المتوفى . وأصغر الأبناء في الأسرة الكبيرة شخص منكوب لأن فرصته ضئيلة في التميز التتابعى إذ أن مركزة سيظل دائما أقل من أخوته الكبار ماداموا على قيد الحياة.

وفي الأسرة الكبيرة في كل مكان تقريبا تسود النظام التسلسل *hierarchy* بين الأخوة والأخوات بمعنى أن الأخوة الكبار لهم سلطة على الأخوة الصغار غير أن هذا النظام الاجتماعى بين الأخوة والأخوات معقد في جزر تاهيتي إذ يحدد وضع الفرد في كل حياته وفي علاقته بالأسرة القريبة له . فكل أسرة بل كل نسب في المجموعة يتوقف مرتبته على أصله ودرجة قرابته للجد الأصلى . فالنسل خلال الفرع الأول للمواليد يتتبع تماما في كل جبل للتعرف على المصاحب الحقيقي للمركز والسلطة الأصلية .

وفي مثل هذا المجتمع نجد القدرة على تتبع الاجداد والتعرف عليهم أمر على جانب كبير من الأهمية حيث يمكن تتبع أصول الأفراد الذين يحتلون مناصب رفيعة إلى ما يقرب من ٥٠ جيلا . فالفرع الرئيسى للتسلسل وكل فرع يعرف باسم حيث يأخذ الابن البكر أو الابن البكر أو الابن الأول اسم والده حين يخلفه في وضعه . ذلك إلى جانب اسم فرعى آخر يحدد وضعه في الجيل الذى يعيش فيه

وهذا النظام في الاسماء والالقباب يشبه إلى حد كبير نظام النبلاء الاوربي حيث ترتبط الالقباب بأوضاع وميزات وواجبات ومسؤوليات خاصة.

وتتدرج الرتب والمراكز الفرعية من القمة إلى القاع غير أنه من الافضل أن نذكر أن المجتمع يتكون أساساً من ثلاث درجات فعاثلات الرؤساء في النواحي الكبيره تعرف باسم Arii ورؤساء الانساب الاقل وعائلتهم ويوضعوا في مجموعة وسط تعرف باسم Ra atira . اما البقية من السكان فتشملهم الطبقة المعروفة باسم Manabano . ويجب ألا ينظر إلى المجتمعات التأهيتية على أنها عشيرة لذا أن الاختلافات الاجتماعية بينهم تشبه الاختلافات داخل النظام الاسرى . فالطبقات الاجتماعية الثلاث الموجودة لدى البولنزين تضم كل طبقة منها مجموعة من العائلات بأكملها . وتتضمن المراتب الاجتماعية في جزر تاهيتي سلطات اقتصادية وسياسية ودينية وباختصار تتضمن مبادئ أتوكراتية . فنوع من القوى الروحية التي تسمى باسم مانا Mana توجد في كل أفراد تاهيتي غير أن درجاتها مختلفة وتتطابق مع الرتب فالطبقة العليا وهي طبقة Arii تمتلك كمية كبيرة من هذه القوة المقدسة وذلك لأنها أقرب الطبقات إلى حد الإله الذي هو مصدرها بينما الطبقات الاقل فنصيبها من هذه القوة أصغر ويعتقد أن المانانا سلطة قوية يمكن أن تكون ضارة إذ ما ذهب إلى شخص أضعف أو أقل مرتبة من التي يجب أن تكون معه . وربما فكرة المحرمات في مجتمع تاهيتي نشأت أساساً من امتناع احتكاك الطبقة الانى لديها سلطة أقوى من المانانا من الطبقة التي لديها أدنى سلطة .

وقد نظرت بعض البعثات التبشيرية الاولى في جزر تاهيتي إلى رؤساء تلك الجزر علي أنهم حكام مستبدين وذلك بعد أن شاهدوا الازعان الشديد لما يقدم

اليهم وبعد أن لاحظوا أيضاً أن الاهالى يدفعون لرؤسائهم نوعاً من الجزية وبه حص
جميع اعتبارات الموقف في المجتمع الناهيتى يمكن التوصل إلى أن الاذعان شعور
دينى وأن استخدام مصطلح استبداد ليس في محله . كذلك ما يسمى بالجزية ربما
يكون مرتبط بما تقدمه الطبقات أكثر من كونه ضريبه ولا سيما وأن كميات
كبيرة من الهدايا يعاد توزيعها على الاهالى .

ولا يوجد سوق لتبادل المنتجات بين سكان تاهيتى . فالهدايا التى تقدم إلى
الرئيس أو الننى تقدم من رئيس أصغر إلى رئيس أعلى امر ينظر إليها
على أنها وسيلة معقدة لتبادل السلع حيث يجمع الرئيس الفائض من الانتاج الذى
يعطى له ثم يعيد توزيعه في الاعياد الكبرى . وقد لاحظ بعض الكتاب الاوائل
هذه الظاهرة الغريبة في حياة سكان تاهيتى حيث وصفوا المجتمع بأنه مجتمع
شيوعى وبعض الملاحظين الاخرين الذين لفت نظرهم استغلال الرؤساء نظروا
إلى الأمر على أنها تجميع الانتاج أكثر من إعادة توزيعه . وكما يبدو أنه من
الصعب التعميم بدقة أن مجتمع تاهيتى مجتمع استغلال أو مجتمع شيوعى والاصح
أنه نظام جديد تمام على الخبرة الغربية .

ومن الاشياء الاخرى الخاصة بعادات سكان جزر تاهيتى والنى لفتت انظار
الزوار الاوربيين الاوائل هو تركهم لاولادهم بصورة متكررة كبيرة الامر الذى
جعل الباحثين : يصفوها بأنها ظاهرة اجتماعية هامة وفي نفس الوقت إعادة توزيع
اقتصاد غير متكافى ففى ظل حقيقة أن جميع الارض والمناصب وراثية يصبح أنه
لاسيلى من إيجاد طريقة تحفظ توازن واستقرار النظام أن تحاول الاسر أن
تستمر في أحجام متساوية عبر الزمن ولكن الاتجاه العادى هو أن تنمو بعض
الانساب على حين تقل الاخرى في حجمها تبعاً لظروف غيبه حدود أو فقر

الأرض الذي قد ينتج عنه اختلافات في اقتصادية جديدة غير موجه الهم إلا إذا قسمت الأرض ذاتها ثم يعاد توزيعها من آن لآخر وكما يحدث في عديد من المجتمعات الزراعية البدائية فإن تحسيد حجم الإسره هو الوسيلة الوحيدة للمحافظة على الحالة الثابتة Status quo في الإسره خلال الأجيال المتلاحقة . ويمارس سكان تاهيتي قتل الأطفال InFanticide لدرجة ما وذلك للتحكم في حجم الإسره ولكن في اغلب الأحيان ينتقل الأطفال من العائلات الكبيرة العدد إلى العائلات ذات الإعداد الأقل . حيث يأخذ الطفل المتبنى لقبه ونصيبه في الأرض من الاب المتبنى ووضعه في هذا هو وضع الابن الحقيقي على الرغم من أنه قد يقضى وقتاً كبيراً في زياره اعضاء اسرته الأصلية .

وليس من المستغرب ان يعكس الدين الدور الإجتماعى والإقتصادى والسياسى الهام الموروث والذي يؤكد اهمية عباده السلف . ففي جرر تاهيتى لى شكل اسره مكانها المقدس الخاص بأسلافها كذلك كل مجموعة اكبر من العائلات لها البقعة المقدسة التى تسمى باسم Marae وهى عبارة عن مساحه مفتوحة من الأرض مسورة بحائط حجرى منخفض وبها جزء مرتفع فى نهايتها يشبه الهرم الصغير . والمرأى مكان للدفن وأيضاً لإقامة الإحتفالات لدينية .

ولعل المرأى تعكس النظام الإجتماعى الموجود فى تاهيتى بوضوح . حيث يوجد بها دائرة من المقاعد الحجرية ، كل مقعد منها يورث لمختلف الرؤساء الذين يجلسوا عليها فى الإحتفالات الدينية ، وقد نظمت هذه المقاعد تبعاً للاهمية الإجتماعية للرؤساء . وفى الفترة الأولى لنمو وتوسع المجتمع التاهيتى دأبت المجموعات المتقاربة التى تهجر إلى مكان آخر أن تأخذ معها مقعد رئيسها من المرأى ليضحه فى مارأى جديد فى المكان الذى تستقر فيه ، وقد يظل موضع المقعد

الحجرى القديم فى الماراي الأصلية شاغرا ومن ثم تظل المجموعة المهاجرة مرتبطة بنسبها فى البقعة الأصلية .

وفى الأيام الأولى من التوسع كانت من الأمور العادية الواضحة ميل اشقاء الرؤساء الصغار للرحيل إلى أماكن جديدة وتأسيس مجتمعات جديدة وبذلك تكون محلاتهم السكنية أكثر حداثة وأقل تميزا فى مناصبها الاجتماعية من المجتمع الأكبر وبالمثل تكون ما رأيهم أقل قداسة من الماراي القديمة . وفى إطار هذه الحقيقة نجد أن الماراي الكبيرة الموجودة فى جزيرة راياتى Raiatea الغربية تعتبر أكثر قدسية من تلك الموجودة فى جزر تاهيتى الإمبر الذى يوحى بان التعمير الأول لجزر بولينيزيا قد أخذ مكانا فى تلك المنطقة قبل غيرها ،

ويرتبط أنماط السلوك الاجتماعى العام والأداب بالدين ونظام الرتب . إذ يعتبر مركز أو مرتبة الفرد مبدأ هام فصطلحات القرابة العامة التى تستخدم فى مخاطبة الأفراد فى المجتمعات البدائية كجزء من الإداب لإستخدام فى بولينيزيا إذ يحل محلها استخدام الألقاب الشريفة فى مخاطبة الأشخاص . وأقسام القرابة لدى المجتمع البولينيزى بسيطة نسبيًا . فكل أبناء الإعدام سواء كانوا من الدرجة الأولى أو الثانية Cross or parallel يوضعوا تحت تعريف نسيب Siblings أما أقارب الجيل سواء كبروا أو صغروا فيشار إليهم أيضا بمصطلح فردى عام . وتميز الجيل بالنوع والسن هى الظاهر الوحيد للتقسيم القرابى غير أن أهمية السلف ووراثته المراتب تنعكس فى استخدام الألقاب بدلا من مصطلحات القرابة فى النحاطب المباشر .

وربما أوضح ظاهرة معروفة فى السلوك الاجتماعى للبولينيزين بتلك المرتبة بفكرة المحرمات Taboo . فكل فرد من أفراد المجتمع يحرم عليه بعض

المأكولات التي ترتبط بمركزه الاجتماعي ففي وقت الغذاء مثلا لا يستطيع ذوى المراتب الدنيا أن يتناولوا الطعام على أصحاب المراتب العليا ونظرا لأن الرجال أكثر قدسية من النساء والاطفال لذلك لابد وأن يتناولوا طعامهم بعيدا عنهم وبعض الاطعمة العادية محرمة على النساء والاطفال كما تحرم اطعمه خاصة على مرا كز بعينها . فطبقة Ari'i العليا طبقة مقدسة جدا لذا فأى شيء تستخدمه يصبح محرما ، وأى طعام يتناوله يصبح ساءا إذا ما استخدمه فرد من طبقة أدنى منها . وقد حلت هذه العقده في بعض جزر بولينزيا عن طريق العزل التام للرئيس الاكبر حيث يحمل في محفه Litter وينسل وبطعم بواسطة مرافق وفي غرب بولينزيا لا يسمح له بمجرد مخاطبة الجمهور إذ يتحدث أخيه الأصغر الذى يعرف باسم المتحدث الرئيس Orator chief - بدلا منه . ومن العادات ايضا أن الكلمات التى يستخدمها الرؤساء الكبار في حديثهم تعتبر محرمات على العامة . ويمكن أن تعرف هذه اللغة بالكلمات الدينية كما أنه في العادة لغة الكهنة .

والتابع الاجتماعى داخل المجموعة المحلية المتقاربة والذى استقر تبعا لنظام الندية يتداخل ويتفق مع نظام أوسع داخل المجتمع أو داخل الجزيرة وهو نظام أكثر رقة وأقل غلظة إلا أنه موضوع أساسا على تدنيمات متشابهة . وعلى أى حال فإن هذا النظام لم يكن مستقرا في جزر سوسيتى قبل مجيء الاوربيين ومن ثم لم يكن هناك مفر لتغير هذا النظام الوراثى عن طريق الحروب فمن طريق حرب أهلية واسعة تم إعادته توزيع الأرض كما أن القوات البحرية تدخلت في معظم الجزر لكي تضع حدا لعلاقات القرابة التى ارتبطت باوضاع اقتصاديه واضطرابات سياسية . ففي جزر هاواى كان من نتيجة حملة مماثلة أن غير نظام المجتمع بحيث أن أصبحت الطبقة المنتصرة أرق في نسبها وأرفع من الطبقة

المقلوبة على أمرها . ولا يوجد دليل واضح يبين ان ما حدث في هاواي حدث في تاهيتي وان كان من الممكن أن تكون نتيجة محتملة للحروب .

أما أسلحة الحرب في جزر تاهيتي فنمثل في الحربة والرمح والسيوف الخشبية القصيرة وبعض السكاكين المسننة . أما القوس والسهم فيستخدمان على نطاق واسع في الصيد إذ أن استخدامهما محدود في الحروب ولا يستخدم التاهيتيون دروع الدفاع التي قد تصنع من الاصداف وان كانوا يلجئون في بعض الأحيان لف محاربيهم بشبكة من الحبال .

والقرى المصممة لا توجد عادة في بولينيزيا فيما عدا في نيوزيلندا حيث يحيط جماعات الماوري Maori قراهم بالخنادق . وبينى التاهيتيون في العادة ملاجئ يمكن الاحتماء بها في حالة رغبتهم في مقاومة الحصار . وقد يأخذ التاهيتيون أسرى الحرب كعبيد . ويمارس إعدام الأعداء وتنتشر هذه العادة في كل جزر بولينيزيا غير أن سكان تاهيتي يفرعون لهذه الفكرة رغم أنهم يقدموا بعض أسراهم كضحايا في احتفالاتهم الدينية .

ويسود في المباريات نوعا من الاخلاقيات الحرب لجميع المباريات تمارس بعنف كما أن بعضها خطير جدا . ومباريات كرة القدم شائعة ومحبوبة لدى سكان تاهيتي لدرجة أن سكان المناطق المختلفة ينظمون مباريات مع بعضهم . وتوجد في جزر تاهيتي رياضات فردية متعددة فهناك المصارعة والملاكمة والمشي إلى جانب السباحة التي تلقى اهتماما زائدا من الجميع .

والصيد في تاهيتي يعتبر رياضة وفي نفس الوقت عمل مقدس . فبعد أن يقتل الصيد في مكان ما تمارس عدة شعائر تتضمن احتفالات في المعبد واحتفالات خاصة وطقوس للتطهير . ومن المباريات الأخرى مباريات الدبوك التي تكون

مصحوبة بمباريات بين الاطفال ذلك الى جانب الموسيقى والرقص . فجميع البوليزيون محبين للموسيقى لدرجة أنهم طوروا هذا الفن لدرجة تفوق أى جماعات بدائية أخرى . ويستخدمون الطبول الكبيرة والصغيرة والناى وعلاوة على اصواتهم الموسيقية التى تصاحب دائما الرقص فى تاهيتى . وقد تمكن سكان جزر هاواى وتاهيتى من تطور اصواتهم الموسيقية بصورة غير عادية حتى انهم تمكنوا من تكوين الكورس الذى يؤدى مقاطع من الاغانى .

والموسيقى الحديثة فى هاواى يغلب عليها الطابع الاوروبى كما أن الجيتار الهاواى قدم من البرتغال .

والرقص فى تاهيتى أو كما يعرف باسم Hura أو hula يقوم به بنات الرئيس اللاتى تدرهن خصيصا لهذا الفن . وتقضى العبادات هناك على أن ترتدى الراقصات جنلات طويلة مكسرة ، كما يثبت الريش فى أصابع الراقصين . وانتعاش الرقص هو جزء من استعراض كامل يشمل ممارسة أعمال سحرية وبهلوانيه . وكما هو الحال فى معظم المشرق الآسيوى يضلع الرجال بدور المغنين والمغازفين كما هم أيضا الممثلين .

وتنظيم الاستعراضات العامة فى تاهيتى من اختصاص مجموعة متخصصة للترفيه عن الزوار وتعرف هذه المجموعة باسم Ariori وهى مجموعة دينيه راعيها أورو Oro إله الحرب والذى بأسمه يتم اللعب والرقص والغناء والانشاد . وهذه المجموعة تبعد كلية عن المفهوم الدينى العربى حيث يسمح بها هتك المحرمات والاتصال الجنسى وغير ذلك من الاشياء . فما أن تصل مجموعة الارورى الى مقرها المحلى حتى يبدأوا فى مزاوله أنشطتهم ضاربين عرض الحائط بكل القواعد

والأصول الاجتماعية وأفراد هذه المجموعة غير مسؤولين عن شيء مما كان عمرهم
لذا أنهم لا يملكون شيئا كما أنهم ليس أطفال .

وعلى الرغم أنه غير معروف من هو الشخص الذى تقبل عضويته فى هذه
المجموعة أو كيف يصبح عضوا بها إلا أنه من الواضح انها تضم باستمرار الابناء
الصغار المطرودين من العائلات الكبيرة Large Families وقد ذكرت بعض
الرساليات الأولى التى ذهبت إلى جزر سوسيتى أن جماعة الاريورى قد
تكونت أساسا لتكوين مجموعة بغاء من أجل تحيد النسل . كما أنه نظرا لانهم
يتركون أولادهم لذا فقد اعتقد المبشرين ان عاطفة الأبوة ليس موجودة هناك
والحقيقة كما هو ملاحظ بين المجتمعات البدائية الأخرى ان الاطفال يعتبرون
فى العادة بركة كبيرة وانهم من الأشياء المحببة اليهم جدا .

ويصحب ميلاد الطفل عديد من الشعائر التى يمارسها أفراد الأسرة ، وإذا
كان الطفل ذات مرتبة عالية فتتم الشعائر فى احتفال عام . وفى العادة يحضر عملية
الوضع الطبيب القس الذى يحيط به حشد من الأقارب . وبعد أن يدفن الخلاص
فى الماراي ويوضع الحبل السرى فى صندوق ويدفن فى أحد حجرات الماراي
يقام احتفال التسمية The naming ceremony الذى يعتبر من أهم مراسيم
الاحتفال إذا ما كان الطفل ولدا ذا مرتبة عالية .

ويعضى الطفل معظم وقته مع اقاربه الاطفال ، ويترك فى السنوات الأولى
لينشئ حرا نسييا . ومع نمو الطفل العمرى يبدأ أهالى الطفل فى تعليمه وتوجيهه
سلوكه الاجتماعى . وقد يعطى الابناء البكر الصبيبه ذوى المراكز العالية تدريبا
خاصا وذلك ليكونهم سوف يرثوا مركز العائلة الاجتماعى . وجزء من هذا
التدريب يتجه لكونه الابن الأكبر حيث يكون مسؤولا مسئولية كاملة نحو

الإطفال الآخرين ذلك إلى بجانب تعليمه سلوك النبلاء من كرم وسخاء وشجاعة ... الخ .

وعندما يبلغ الصبي مرحلة البلوغ يقام له احتفال يحذر فيه عليه الأطعمة المحرمة Taboo ومنذ هذه اللحظة لا يستطيع الصبي أن يتناول أى طعام تطهيه المرأة أو يأكل فى صحبة النسوة . فالتحريم هى علامة النضج لكل من الذكر والاناث . وبظاهر الأولاد فى مرحلة الطفولة ولا سيما إذا كان من طبقة راقية ولكن بأجل الزواج فى العادة حتى مرحلة بلوغ متأخرة وبأجل أكثر بالنسبة للرجال والفترة بين البلوغ والزواج فترة تنسم بالحريه وممارسه تجارب الحب وفى الطبقات الدنيا للفرد حرية اختيار الزوجه حيث لا يتضمن الزواج ارشادات قيمه غير أنه لا يشجع الزواج بين الأقارب . أما الطبقات العليا فالتكافى الاجتماعى أمر ضرورى ومن ثم فزواج أبناء العمومة سائد

وتشهد مراسم الزواج احتفالا كبيرا يكون مصحوب بتبادل الهدايا والأغاني والرقص . وبعد الزواج تكون المهمة التمهيد لانجاب الولد الأول والتأكيد على انه سوف يحمل صفات المركز الجديد ويأتى ذلك عن طريق إعفاء الزوج ذوى المقام الرفيع وزوجته من كل واجبات واعطائهم اطعمه دسمه واغتسالهم وتمطيرهم فى نفس الوقت تودى الشعائر فى المعبد لكى تساعد على حدوث حمل لهذا الطفل .

ومن السهل فسخ الزواج ولاسيما بين العامة . وبعد الطلاق يظل الاطفال مع الأم أو تبناهم أسر أخرى يكون اعداده قليلة لأن الاسر التى يزيد عدد أطفالها قد تلجأ إلى الاجهاض أو قتل الاطفال .

وعند الوفاة يدفن الاطفال والكبار من العامة بدون مراسم جنازته وذلك

على النقيض من جثمان الرؤساء التي تحفظ لا كبر مدة ممكنة في مكان بني لهذا الغرض . حيث تجرى محاولة لحنيطه وذلك عن طريق نزع المخ والاجشاء ودهان الجلد بالزيت وتعريضه للشمس وبعد تحلل الجسم تأخذ البجعة وتوضع في الماراي وقد تستمر مراسم الحزن لفترة طويلة ويلجأ الأقارب من آن لآخر لاحداث جروح في اجسامهم بواسطة سكاكين كما تظل زوجة الرئيس المتوفى إلى جانب جثة زوجها لفترة طويلة من الزمن ربما كرمز باق لعادة قديمة تقتضى بقتل الزوجة الارمل ويدعو القسيس روح الميت لكي تكون راضيه في عالمها الآخر ولا تعود ثانية إلى زوجته . وإذا كان المتوفى رئيسا هاما تتوقف كل الأنشطة في ضاحيته أو اقليميه لمدة ايام تكون كافية لرحلة روحه .

ويعتقد سكان تاهيتي أن مركز الروح الامعاء وأن الروح تخرج بعد الموت من الفم والانف لتذهب بعيدا . وتبعاً لبعض الروايات تذهب هذه الروح إلى الجنة أو إلى أرض الاجداد التي توجد في مكان ما في الجهة الغربية .

وتختلف مضامين الاساطير والمعتقدات اختلافا كبيرا في جزر بولينزيا غير أن هناك سمات يشترك بينها فاساطير الخلق جميعها من النوع الذي يمكن تسميته بالنوع التطوري ، فالالهة المختلفة تحمل نفس الاسماء على الرغم من ان اعمالا خاصا تنسب اليها وتختلف من مجموعة جزيرة إلى أخرى . حتى بين سكان جزر تاهيتي يوجد بينهم عديد من اساطير الخلق . وكقاعدة تشمل الاساطير فكرة العدم في البداية وأن الظاهرات الطبيعية والإنسان والحضارة خلقها الالهة وبعد ذلك حدثت احداث خاصة ارتبطت بتاريخ الانسان المعروف .

والعدد الاجمالى للالهة هائل ويختلف من مكان لآخر غير أن قليل منهم له السيادة على معظم جزر بولينزيا . فالالهة المعروف باسم Ta'aros هو اله الخلق

في جزر تاهيتي وهو عادة آله كبير في الجزر الأخرى . إلى جانب الآله Oro وتانى Tane ورو Ro'o وتو Tu . وقد يعتبر بعض الآلهة وفي العادة واحد من بين الآلهة السابقين هو السلف الذي انحدرت منه مجموعة محلية أو حضارة معينة وبعض الآلهة الأخرى لهم قوة السيطرة على بعض الظواهر الطبيعية مثل البحر والرعد والرياح ، والبعض الآخر هم الراعين لحرف معينة أو وسائل الترفيه في جزر سوسيتي يعتبر الآلهة الخاص بوسائل الترفيه وهو الإله oro هو أهم الآلهة إذ أنه آله جماعة أريوري Ariori كما أنه آله الحرب . وإلى جانب مجموعة هذه الآلهة توجد مجموعة أخرى تشمل آلهة اصغر ترتبط بأشباح الاجداد والأرواح .

ولكل جزيرة من جزر مجموعة سوسيتي أوركلها Oracle الخاص الذي يستشار قبل البدئ في نشاطهم أو عمل خطير. كذلك يمارس التساوسة أعمال الشعوذة والتنبأ عن طريق التأمل داخل جوزه هند مقطوعا حديثا وشرح ما تنبأ عنه الخيوط المحفورة في لب الجوزه من سائلها أى قراءة جوزه الهند كما يقرأ الفنجان في بعض المجتمعات المعاصرة . وفي بعض الأحيان تتقمص الروح قساوسة بعينهم يتجملهم في حالة شعوذة حيث يصدرن كلمات وأصوات غير واضحة ويعتقد أن هذه الأصوات هي صوت الروح التي تتحدث من خلال وسيط والتي يقوم بشرحها قساوسة آخرين . وهناك بعض الرجال الذين يعتبروا سحرة إذ بإمكانهم جلب الموت عن طريق ممارسة بعض الشعائر السحرية على اظافر أو شعر أو جزء من ملابس الضحية ويستعرض هؤلاء الرجال قوتهم بالمشي فوق الصخور الساخنة .

ولأن وجود مضامين خلقية معينة في دياناته البوليزين إذ أن دينهم يتضمن أساسا النظام الإجتماعي القائم على حكاهم المقيدين والهادف إلى تدعيم سلطانهم كذلك تمارس الآلهة وظيفته مؤسس القيم بالنسبة للأفراد . فالهومات التي تؤدي

من أجل الإلهة تمارس دائماً عند الاستيقاظ. وقبل تناول الوجبات. وقبل القيام بأى عمل هام ذلك بالإضافة إلى أن القرابين أو الاطعمة المقدمة للإلهة توضع كل يوم كنوع من الاحتفال . والتضحية البشرية بأسرى الحرب والمجرمين قد تمارس في معظم الاحتفالات وان كانت تقدم الخنازير والكلاب في معظم الأحيان كقرابين . ويرجع سبب اقبال الناهيتين على الصلوات دائماً إلى التأثير الذى تركه البعثات البشرية المسيحية الأولى التى ارسلت اليهم ولم تنجح كثيراً في تعديل معتقداتهم الخاصة بالاسلاف .

ويرجع تاريخ وفود الأوربيين إلى جزر بولينزيا إلى رحلة الأسبان بقيادة كيروس Quiros الذى وصل إلى جزر سوسيتى في عام ١٦٠٦ . كما وصل فيما بعد في عام ١٧٦٧ كابتن واليس wallis الانجليزى الذى احتل جزر تاهيتى والتى أطلق عليها جزيرة الملك جورج غير ان إقامته كان قصيرة هناك وبعد ذلك وصل إلى تاهيتى بيحانفيل Rougounvillo الذى أعلن تبعيتها لفرنسا غير أن معرفة العالم الإنجليزى لجزر تاهيتى تعود إلى رحلة جيمس كوك الشهيرة والتى وصل فيها إلى الجزيرة في عام ١٧٦٩ على الباخرة endeavour والتى ضمت بعثة الجمعية الملكية البريطانية للملاحظة الكوكب فينوس في المحيط الهادى وتكريماً للكابتن كوك فقد أطلق اسمه على مجموعة جزر سوسيتى وقد تمكن علماء البواخر لاندفور من اكتشاف أكبر الجزر والتى ارتبطوا مع أهلها بصداقة قوية . وقد نشر كابتن كوك وأعضاء رحلته فيما بعد وصفاً لهذه الجزر وسكانها حيث اعتبر هذا الوصف مستنداً علمياً قيماً . وقد قام كابتن كوك بثلاث رحلات إلى بولينزيا آخرها في عام ١٧٧٨ حيث لاقى حنفاً في جزيرة هاواى في خلال عملية احتكاك بالاهالى . ولعل من أبرز الاحداث التى سجلت في تاريخ احتكاك الأوربيين بسكان

جزر تاهيتى ذلك فى عام ١٧٨٨ حينما وصل الملازم Bligh إلى تاهيتى تحت قيادة
الباحرة بونتى Bounty . وقد بقى طاقم الباسخرة بدون عمل فى الجزيرة خمسة
أشهر نعموا خلالها بكرم الأهالى لدرجة أن بعضهم استقر فى الجزيرة وتزوجوا
من عائلات الرؤساء . والحدث المؤسف واكب رحلة السفينة ثم الثورة عليها
وعودتها مرة ثانية إلى الجزيرة بدون قبطانها. فالمحلة العمرانية التى أقيمت فى جزيرة
Pitcairn تكون من خليط من الأسر النهائية وثوار الباسخرة الإنجليزية تطورت
فيما بعد إلى نظام اجتماعى مثالى ضم الخلف المولد الاختلاط .

وقد زار عدد قليل من المكشفين جزر تاهيتى قبل نهاية القرن الثامن عشر
غير أن الإتصال كان متناثرا ومحدودا . فإلا توجد محلات عمرانية حقيقية
للأوروبيين كما لا توجد سيطرة أوربية طويلة على جزر تاهيتى يمكن تسجيلها
ومن ثم لا يوجد احتكاك حضارى كان من نتيجته تغير حضارة السكان بطريقة
ذات معنى . التأثير الواضح على حضارة سكان جزر تاهيتى حدث بعد ذلك
بواسطة بعثات التبشير الإنجليزية التى ذهبت إلى هناك . فى عام ١٧٩٧ ذهب
إلى هناك بعثة دوف Duf الإنجليزية والتى ضمت مبشرين بروستانيين نجحوا
فى اجتذاب الأهالى نحوهم بسبب احترامهم لعادات الناهيتين وبسبب الأحداث
السياسية المحلية . وقد تأثر الأهالى بالتكنولوجيا الآلية الغربية وبروحهم القومية
واحترامهم لمجموعاتهم المحلية . ومن ثم فقد كان البولينيزيين على استعداد تام
للقبل التعاليم المسيحية .

وقد تمكنت البعثات التبشيرية من تغير عدد من العادات المحلية والتى
تبدو لهم أنها غير خافية حيث حرموا ارتداء النساء للملابس الفضفاضة
Mother Hubbard dresses ، كما حطموا المعابد ومنعوا الموسيقى والرقص

وتغيرت عادات الزواج وقد حاولت بعثة كاثوليكية رومانية فرنسية الإستقرار في تاهيتى عام ١٨٣٦ . ولكن طردها الأهالي وقد تمكنت بعد ذلك في عام ١٨٤٣ قوة بحرية فرنسية من السيطرة على الجزيرة لتصبح مستعمرة فرنسية . وقد كان الاستعمار الفرنسي أكثر مرونة من نفوذ الارساليات فسمح لتجار بالانتقال كما سمح بوفود المغامرين لاليها .

وكما هو الحال في أجزاء جزر بولينزيا الأخرى انتشرت الأمراض الأوربية بين الأهالي في نفس الوقت الذى استوردت فيه الأيدي العاملة الصينية لتعمل في المزارع . وما لبث أن تمكن الصينيون من أن يكون لهم فاعلية في المؤسسات الاقتصادية حيث يكونوا الآن ما يقرب من ربع السكان ويسيطرون على الأسواق الداخلية الفرنسية في المحيط الهادى فمدينة بايتى Papeete المدينة الرئيسية في تاهيتى هى العاصمة الادارية والاقتصادية للبلاد وحيث تضم الفرنسيين والأهالي والصينيين غير أنه لم يظهر على الإطلاق أى حاجز طبقي بين الناهيتين والمولدين فجزر تاهيتى الحديثة عبارة عن متروبوليتان بل أكثر من ذلك يبدو أن البولينيزيين الاصليين أخذوا في الاختفاء نتيجة لعملية مماثلة تأخذ مكانا لها في جزر هاواي غير أنه في بعض الجزر البعيدة التي تقل في أهميتها عن جزر سوسيتى مارال السكان الاصليين يحتفظوا بطرق معيشتهم الاصلية ، كما أن اعدادهم أخذت في الزيادة في هذه الجزر لدرجة انهم يمكنهم الاستمرار في حياتهم . فقد عرفوا أسواق تجارة الكوبرا أو جوز الهند المنخفض كما عرفوا تجارة اللؤلؤ التي بواسطتها يمكنهم الحصول على السلع الأوربية الضرورية لهم .

أتم مراجع الباب الثاني

- 1 — Karsten, R., Headhunters of western Amazonas, The life and culture of the Jivaro indians of Eastern Ecuador and Peru, Societas Scientiarum Fennica, Vol. 8, No. 1, Helsinki, 1935.
- 2 — Rivet, p., Les indiens Jiberos, L'anthropologie, Vol. 18, 1907—1908.
- 3 — Steward, J. N, and Metraur, A., "The Jivaro" in J. H. Steward (ed.), Handbook of South American indians, Vol. 3, Bureau of american Ethnology, Bull. 143, Washington, 1948
- 4 — Up de Graff, F W. Head Hunters of the Amazon Seven Years of exploration and adievture, Garden city, N.Y., 1923.
- 5 — Bogeras, W.G., New data on types and distibation of Reindeer breeding in Northern Eurasia, proceeding of the 23rd international Congress of americanists, lancaster, 1930.
- 6 — Buxton, L.H D., The people of Asia, New York, 1928
- 7 — Cressey, G.B., asia's lands and people, New York, 1934
- 8 — Jochelson, W., peoples of asiatic Russia, New York 1928.
- 9 — Laufer, B, The Reindeer and its domestication. Memoirs of the american anthropological association, Vol. 4. No-2 1917
10. Anderson, R., The Buffalo Men, Acheyne Ceremony of petition deriving from the Sutaio, Southwestern Journal of anthropology, Vol. 12, 1956.
- 11 — Dorsey G A , The Cheyenne, Field Museum anthropological series. Vol. 9. chicago. 1905.

— ۲۳۱ —

- 12 — Ewers, J.C., The horse in Blackfoot Indian culture :
with comparative material from other western tribes,
Bureau of american Ethnology, Bull. 159, Washington, 1955.
- 13 — Lowie, R.N., Indians of the plains, New York, 1924.
- 14 — Wissler, C., The influence of the horse in the
development of plains culture, american anthropologist,
Vol. 16, 1914.
- 15 — Wissler, C. North american Indians of the plains, N.Y.,
1934.
- 16 — Erans - Pritchard, E.E, The Nuer, Oxford. 1940.
- 17 — ————, Kingship and Marriage among the Nuer,
Oxford, 1951.
- 18 — Herskovits, M.J., The Cattle Complex of East africa,
american anthropologist, Vol. 28, 1926
- 19 — Seligman, C.G. and B.Z , Pagan tribes of the Nilotic
Sudan, London, 1932
- 20 — Ariti, T.E., Tahiti, New York, 1947
- 21 — Cook Capt. J. The Journal and voyages of Captain Cook,
London, 1773, 1777, 1784
- 22 — Freeman, O.W Geography of the Pacific. New York. 1951.
- 23 — Keesing, F.M, The South seas in the Modern world. New
York. 1941.
- 24 — ————, Native peoples of the Pacific world, New
York, 1945
- 25 — Sharp, A., Ancient Voyagers in the Pacific, Wellington,
1950.

الباب الثالث

الممالك البدائية

- الكالينجا في جزر الفلبين

الكالينجا

The Kalinga of the Philippine
Islands

الكالينجا في جزر الفلبين

تكون جزر الفلبين جزءاً من منطقة حضارية كبيرة تعرف باسم أندونيسيا وعلى الرغم من فترة الاستعمار الطويلة التي استمرت ما يزيد على ثلاثة قرون تحت الحكم الأسباني ثم أخيراً تحت سيطرة الولايات المتحدة إلا أن الأساس الحضاري لجزر الفلبين يشبه بصفة عامة ذلك الذي يسود في الجزر الكبرى التي تقع إلى الجنوب الغربي منها . وهذه الحضارة القديمة ليست حضارة بسيطة أو غير مميزة . فكما هو الحال في جزر أندونيسيا الكبرى يوجد بها عديد من الأصول السلاية إلى جانب عناصر جنسية مختلطة ذلك بالإضافة إلى أن الحضارات الأصلية قد استقبلت تأثيرات أخرى من الهند والصين كما دخلها الإسلام . قبل اكتشاف الأسبان للجزيرة في عام ١٥٢١ حيث خضعت لنفوذه وسميت باسم الفلبين تكريماً للملك فليب الثاني .

ومن بين الجماعات التي تعيش في الفلبين في الوقت الحاضر أقزام النجرو **pygmy Negroes** أو النجريتو الذين من المحتمل أن يكونوا أول العناصر التي وصلت إلى الجزيرة . وهؤلاء السكان صيادون وجامعون للطعام وقد تقهقروا إلى أعماق الغابات الكثيفة تحت ضغط الجماعات الأقوى منهم وهم يوجدون الآن أساساً في لوزون Luzon الجزيرة الشمالية .

أما الأندونيسيون فقد جاءوا إلى الجزر بعد ذلك وربما أحضروا معهم حضارة زراعية حيث استقروا في المناطق الجبلية في الجزر الكبرى . وأخيراً وفد الملايويون الحاليون أو الملايو الأوائل **Deutero - malayo** كما يسموا وذلك تميزاً لهم عن طلائع الملايو **Proto - Mala s** والذين يوجدوا بصفة عامة على طول السواحل وفي الأراضي المنخفضة والذين يحملوا حضارات متصرفة

مؤثرات هندية ، والتي تمكنت من السيطرة لفترة طويلة على الجزر في غرب أندونيسيا . وقد أضافت التجارة الصينية بعد ذلك تعقيداً حتمياً جديداً في جزر الفلبين . وقبل وصول الأسبان وفد إلى الفلبين من الملايو تأثير إسلامي جديد حيث كان التجار العرب على اتصال دائم بحوز أندونيسيا وحينما حكم الأسبان السكان المسلمين في الفلبين سموهم باسم المور Moros وهى نفس التسمية التي يطلقوها على المسلمين في أسبانيا وشمال إفريقيا .

وينقسم سكان الفلبين في الوقت الحاضر في العادة إلى أربعة أنماط تعكس أساساً اختلافات حضارية غير أن توزيعهم ومناطق تواجدهم تؤيد التسابع التاريخي للوقود العناصر الجنسية السابقة . فجاءت التهجيرات التي تعيش في المناطق المنعزلة للغاية هي أقل الجماعات الموجودة في الفلبين اذدماجا في الحضارة القومية بها . وعلى النقيض من ذلك الفلبينو Filipino . أو الجماعات التي تعيش في الجزر الوسطي والتي تعرف جماعياً باسم فيسانان Visayans والجماعات التي تعيش في سهول وأودية لوزون والذين اعتنقوا المسيحية في بداية فترة الاستعمار الإسباني . ويشغل المور مواضع مشابهة في الأرض المنخفضة والساحلية في جنوب الفلبين وذلك على الرغم من أن تأثيرهم الحضاري على الحضارة لقومية في الفلبين أقل من تأثير الفلبينو .

أما الجماعات الأخرى التي تعرف باسم الباجان Pagans أو القبائل المتوحشة wild tribes فيشغلون مساحات كبيرة في جزيرة مينداناو Mindanao الجنوبية ومعظم شمال لوزون ذلك بالإضافة إلى مواضع منعزلة أخرى في إيل من الجزر ومن بين الجماعات الأخير الكالينجا الذين يكونون جزءاً كبيراً من الاندونيشين وتعتبر جزيرة لوزون أكبر الجزر في الارخبيل الفلبيني . والجزء الشمال من

الجزيرة فيما عد المناطق الساحلية المستوية وأودية الأنهار المنخفضة عبارة عن مناطق جبلية وغرة سكنتها قبائل الباجان وأساس الحياة الاقتصادية هنا الزراعة الكثيفة جدا المعتمدة على وسائل الري وعمل المدرجات، ومن ثم فيتسم شمال لوزون بارتفاع نسبة الكثافة بينهم ارتفاعا ملحوظا وتشابه جميع القبائل في المنطقة فيما بينها تشابها تاما ولذا فتمد اشتهروا تاريخيا ببعضهم للصيد .

ويتحدث الكالينجا لغة قريبة من لغات العائلة اللغوية الملايوية البولينيزية . وقد بلغ عددهم في عام ١٩٢٩ حوالي ٢٤ ألف نسمة ويعيشون تقريبا في الوسط الجغرافي لمنطقة قبائل الباجان في شمال لوزون . والسلاسل الجبلية هنا أقل وعورة من السلاسل التي يشغلها جيرانهم النينجويان Tinguiان والايفوجوا Ifogao فالتربة عند الكالينجانيون أكثر خصوبة ، كما توجد مصادر أكبر لمياه الري . ويمتاز الكالينجا عن كل جيرانهم في كونهم يستطيعوا زراعة محصولين من الارز على مدار السنة وينتجون نوعا من الارز الكبير جدا وهو أفضل أنواع الارز في العالم وبامكانهم دائما تصدير جزءا منه إلى سكان المناطق المنخفضة .

ويشبه الكالينجا غيرهم من الاندونيسين في أن صفاتهم الجنسية أقل مغولية من صفات الفلبينيو العادى على الرغم من أنهم أيضاً يتصفوا بالشعر الأسود الخشن المستقيم وأنه لا يوجد شعر على بشرتهم البنية كما أن هناك انحراف في الجفون . والكالينجا طوال القامة وقد وصفهم بارتون Barton بأنهم عراض الاكتاف ضيق الارداف أنيقين أقوياء ، والكالينجا وغيرهم من القبائل الجبلية قد تأثروا كثيرا بالطبيعة في صفاتهم وذلك عن طريق وشم أجسامهم وحشوو تسويد Plackening أسنانهم وتزين الشعر ووضع الزهور في ثوب الاذن . ويترك شعر كل من الجنسين لينمو طويلا إلى الخلف كما يقطع على هيئة قصة من الامام:

والملابس بسيطة فهي على هيئة حزام أو رباط يأخذ حرف G أو ينطلقون قصير بالنسبة للرجال أما النساء فهو عبارة عن السارونج Sarong (١) . وفي بعض الأحيان يرتدى النساء والرجال صديري قصير جداً حيث يترك جزءاً كبيراً من الصدر عارياً .

أهم محصول زراعى لدى الكالينجا الأرز ، ويليه في الأهمية محصول الموز وقصب السكر والبطاطا والبسلة . أما أشجار الأريكة Areca palms فتزرع من أجل الجوز الذى يوضع فى كل مكان فى نطاق تواجد الحضارة الإندونيسية . وتزرع كذلك أشجار جوز الهند والبامبو . ويرى جاموس الماء أو الكاراباو Carapan والخنازير والطيور وقليل من الماشية كحيوانات مستأنسة ، وتأكل لحوم جميع هذه الحيوانات بما فيها الكلب غير أن الاستخدام الرئيسى للجاموس الماء هو حرث وتسوية الحقول . ويأكل البعض كما يشرب لبن الجاموس والابقار غير أن افناج كل منها ضعيف حيث يستخدم فقط كدواء للأطفال الضعاف .

وعلى الرغم من الزراعة كثيفة ومتتجة إلا أن وسائلها بسيطة فتسوية الأرض وحفر القنوات المائية كلها انشاءات وأنشطة تنفذها أيدي عاملة تستخدم جاووف خشبي بسيط . ولإعداد الحقل يعد تسوية وعمل أحواضه يتم عن طريق عددان من الجاموس الذى يدفع للدوران مراراً فى الحقل إلى أن تتحول التربة إلى كتلة سميكة وعميقة من الطين حيث يزرع بعد ذلك محصول الأرز ثم يشتل باليد كما يحصد ويزرع باليد أيضاً . وبعد الحصاد وقبل أن تغمر الأرض بالمياه من جديد استعداداً للزراعة تجمع التربة العليا وتكوم من أتلال صغيره والى يزرع

(١) اللباس الرئيسى لكلا الجنسين فى أرخبيل الملايو ويتألف من قطعة من القماش تكتف الجزء الأدنى من الجسم على شكل تنورة

عليها بعض نباتات الحدائق .

ويبنى الكالينجانيون منازل جيدة وواسعة وهم مرة أخرى مثل مواردهم يفوقون في هذا المصدر كل القبائل المجاورة لهم . فنزل الكالينجلى العمدى على شكل مربع طول ضلعه يتراوح ما بين ١٥ و ٢٠ قدما ويشيد على أكوام ترتفع بضعة أقدام فوق الأرض وإذا ما كان صاحب المنزل ثريا فيأخذ المنزل شكل المثلث Octagonal وتصنع الأرضية والجدران من أسلاك البامبو على حين يبطن السقف من السعف . وقد يوجد عدد من التعديلات الإضافية في تركيب المنزل فقد يصنع مدخنة في سقف المنزل أو قد ترفع أرضية المنزل عند جوانب الحائط لتكون مكان للنوم . أما وضع الموقد فيحدد في مؤخرته بينما يبنى في مقدمة المنزل ما يشبه البلكوكة الضيقة ، وأرضية البامبو من أسهل ازالتها ولذا فيمكن للزوجة أن تحملها إلى النبع عدة مرات أسبوعيا لغسلها وتنظيفها .

ويعتمد التنظيم الاجتماعى عند الكالينجا أساساً على نظام القرابة على الرغم من أنه يوجد تنظيم حكومى وسياسى هام والذي يتجاوز عنه في بعض النقاط . فالأسرة البسيطة المكونة من الزوج والزوجة والأطفال وأحياناً بعض الأقارب المتصلين هي المجموعة التي يصمم منزل . وقد يتجمع سواها بمجموعة من المنازل وساكنها ليكونوا عشيرة والتي تعتمد الرابطة بينها على الشائبة أكثر من الوحدوية أى يعتمد على أساس أبوى أو أموى . فالفرد يعرف كقريب إذا كان متصلاً بأحد جدى الإب أو الام بحيث يمكن ارجاع قرابة الفرد في الجيل الواحد حتى العم الثالث .

ومصطلحات القرابة التي تستخدم في المخاطبة تتبع النظام البوليزى الذى يفصل بين الأجيال المختلفة غير أنه يعمم بينهم . ومن ثم فمصطلح Apo يشير إلى

الجد أو ابن الجد أو أى قريب آخر ينتمى إلى جيل الجد يستخدم هذا المصطلح للدلالة على الاحترام الشديد ولهذا فيميز القريب عن طريق مخاطبته بهذا المصطلح حتى ولو كان من سنه . أما مصطلحي Ama و ina فيستخدمهما الإشارة تبعاً إلى الأب والأم ولكن قد يمتد استخدامهما في بعض الأحيان إلى أقارب هذا الجيل .

وتوجد مصطلحات أخرى تستخدم في الإشارة أكثر من استخدامتها في المخاطبة وذلك لنميزاً أوضح لأقارب بعينهم كتميز أبناء الأعمام عن أبناء النسائب أو أبناء العم الثانى عن أبناء العم الأول أو غير ذلك ولكن لا يوجد أى مصطلحات للتفرقة بين أبناء العمومة اللزم وأبناء العمومة المختلطين وذلك ربما بسبب نقص الزواج من الأبعاد . ومصطلحات المخاطبة بسيطة جداً وعمومية وربما سبب ذلك أن وظيفتها كعناوين للاحترام أكثر منها ألقاب حيث تستخدم الأسماء الشخصية في المخاطبة والإشارة ولا يشذ عن ذلك إلا في حالة الحنى والحماه فكما هو الحال في كل المجتمعات البدائية لابد أن يلقيا احتراما زائدا بمعنى أن مصطلحات القرابة تفضل هنا استخدامهما في المخاطبة عن اسمائهم الشخصية .

وقد ترتبط أفراد العشيرة أو مجموعة الاسر مع بعضها بالزواج الذى قد يجمع بين عائلات متباعدة أو غير متقاربة . والريف مزدحم بالسكان وذلك بالمقارنة بمناطق معظم الجماعات البدائية وأنه طالما وجدت رابطة القرابة كأساس للتنظيم الاجتماعى فإنه من المرغوب فيه أن تنوسع الروابط القبلية أو العائلية لأكبر مدى ممكن ولذا يحرم السكاليينجا الزواج من الأقارب الذين تصل درجة القرابة أقل من ابن العم الثانى . ولتأخذ هذه القاعدة الأخيرة صفة الدوام .

اما الليفيرات Levirate أو السورورات Sorcrate أى زواج الاخ لارملة أخيه أو زواج الاخت لأرامل الاخت الأخرى والذى يعتبر شكلا عاما للزواج

في المجتمعات والحضارات البدائية فلا وجود له في مجتمع السكالينجا . وإذا كانت الروابط قد تقوى بين العشائر المختلفة نتيجة إنكثار الزواج بينهم غير أن السكالينجا حريصين دائما على الرغبة في توسيع روابطهم لا عرض جبهة إذ يرددون أنه لا داعي لضياع الزواج فاعائلة أخرى يمكن أن تنضم إلينا بزواج واحد .

والإقليم كوحدة سياسية وجغرافية للمجتمع يتكون من الاسر أو العشائر التي بينها نوعا من النسب ورابطة القرابة . وقد خلق هذا الموقف نتيجة الزواج القرابي ، فالزواج خارج الحدود الإقليمية مرفوض . ومن ثم فالإقليم هنا يشبه في كل نواحيه العملية القبيلة . وعلاقة أى إقليم من هذه الأقاليم بالإقليم الآخر لا بد أن تكون مضطربة أو في حالة السلام لا بد أن يكون هناك بينها اتفاق عن طريق الوسائل السياسية أكثر من الطرق المعتادة بين الجماعات البدائية والتي تربط بينها القرابة الحقيقية . ويعتبر السكالينجا في هذا الصدد مثالا واضحا للمجتمع الموجهة بالقرابة والذي خلق بدايات القانون العام ونظم العلاقات الداخلية في الإقليم عن طريق التنظيم داخل القبيلة ذاتها . وبعبارة أخرى فيعتبر السكالينجا مثالا لبداية لتنظيم الأرض كدولة فرضت على تنظيم أدبي على أساس كامل من القرابة ويعتبر اقتصاد مجتمع السكالينجا بدائيا من نواحي عديدة فهو يركز على توزيع البضائع على الإنساب ولكن كمظام اجتماعي سياسي فله بعض صفات المجتمع المدني . ويتضمن المميزات القبلية أشياء عديدة مثل سهولة الحركة من أجل الصيد والقنص داخل الحدود وإراضى الرعى ، وتقسيم الصائد لفرسته على الأقارب ، والتركيز على الكرم واعطاء الهدايا ، وعلى الصالح العام لكل العشيرة في أى عمل يقوم به أى فرد من المجموعة . فقد دخل إلى الحياة الاقتصادية بطريقة أو أخرى شيوعية بدائية حيث لا يوجد شخص مكفيا ذاتيا .

وقد تطور اتجاه الملكية الخاصة على أى حال كثيراً في بعض النواحي الاقتصادية ومن ثم فهناك في ثروة الأفراد داخل العائلات .

فحق استغلال الفرد لأرضه معروف وذلك إذا ما توسع الشخص في العمل بها من أجل إنتاجها . فعلى سبيل المثال مجموعات البامبو البرى في متناول الجميع ولكن إذا ما قام شخص بتنظيفها وترتيبها في هذه الحالة له حق وضع يده عليها . ونظراً لأن الأراضي الجبلية في مجتمع الكالينجا غير صالحة للرى لذا فزراعتها تتطلب مجهوداً ضخماً حيث لا بد من تنظيفها وتسويتها ثم عمل أحواض وحرثها وشق قنوات مياه إليها . وحيث أن مثل هذا العمل يتطلب وقتاً طويلاً وعدد من أفراد الأسرة لذا فينظر إليها على أنها من ممتلكات الأسرة . ونظراً لأن الرى يحدد التربة فلا تنزع حقول الارز بمعنى أن حقوق المستأجر قد تعطى داخل فرعه في العائلة .

أما الأراضي النلاية غـير المروية حيث يزرع البطاطا والبسلة فقد تقدم خصوبتها بعد عامين أو ثلاثة ومن ثم فهي أراضى مهبورة ، فتدبىق المزارع الاصلى حق استأجرها وإذا ما فعل ذلك يكون له الحق في العودة لزراعتها مرة ثانية ، وإذا ما بقيت فترة طويلة دون زراعة ورغب فرد آخر أن يزرعها فلا بد للشاغل الأول أن يعطى إذن للثانى . بمعنى أنه لا بد أن يزرعها بنفسه أو يعطى هو حق زراعتها لآخر .

وإذا ما امتلك شخصاً حقمل أرز فلا حقوقاً كاملة له عليه ، فلا يستطيع التصرف فيها كما يشاء إذ أن الأرض تملكها الأسرة وأن المالك الحالى يمكنه أن يبيعها فقط في حالة اللازمة الخطيرة حيث يتدخل كبار العشيرة في هذا الصدد كما أنه لا يستطيع توريث الأرض بسهولة إلى هؤلاء الذين ليس لهم حق الميراث

على وجه الخصوص في صالح السلف والاباء . فأكبر الابناء يرث أفضل حقول آبيه في الوقت الذي يقيم فيه منزله ، كما أن الابنة الكبرى ترث أفضل أراضى أمها . أما الابن الأصغر فيحصل على أراضى أقل جودة بينما الطفل الأصغر سواء كان الأخ أو الاخت ففي العادة يمكنهما مع والديه بعد الزواج ويحصل في نفس الوقت على ما ابقىاه والديه من ممتلكات لكي يقيموا أودهم أو أى ممتلكات أخرى حصلوا عليها بعد توزيع ممتلكاتهم السابقة على بينهم .

وقد كان من نتيجة التأكيذ على نظام الساف ان تمتع الابناء الكبار سواء كانوا ذكورا أم اناثا بمراكز جيدة في المجتمع غير أنهم ليس لهم السيادة دائما كما هو الحال في بوليزيا حيث يورث الممتلكات والوضع الاجتماعى للأب إلى أكبر الابناء بدون تقسيم ويصبح الأخ الأصغر تابع كامل له .

ووضع المرأة في مجتمع كالينجا وضع مطمئن تماما وذلك لأنهم يورثوا كما يورث الرجال تماما . ووجود فرعين متوازنين من الممتلكات أى من الأب والأم يجعل الزواج هشا وذلك لغياب الملكية الزوجية . وتستطيع المرأة أن تطلق زوجها بحرية بدون قلق على المصاعب الاقتصادية وذلك لأنها تملك السيطرة على ممتلكاتها . وحينما يموت رجل متزوج فلا ترث أرملته أى ممتلكات له لأنها من صالح الابناء .

وحقوق ملكية المياه تخضع لنفس الاسس التى تطبق على الأرض فالشخص الأول الذى يستغل النظام المائى له الحق الأول فى استخدامه وعلى الزراع المنتفعين أن يدفعوا له لى يأذن لهم بتحويل المياه إلى حقولهم ، وإذا كانت المساحة كبيرة للحقول التى تستخدم المياه من مجرى واحد تصبح حقوق التدفق معقدة ولكن دائما يتبع نظام الاسبقية للمستغلين الاصليين حيث يحق لكل واحد

منهم أن يوزع المياه الواردة اليه من أعلى المجسرى . وفى حالات نادرة حيث يروى مصدر مياه واحد أكثر من اقليم تحدث المنازعات الدائمة . وقد يبدو ذلك أمراً لا مفر منه إذ أن المياه دعامة أساسية للاقتصاد ولأن الاقطاع والصراع الطويل أو الحروب بين الاقاليم التى تشارك فى المياه قد تؤدى إلى كآته ولذا تكون العلاقات السياسية بين الجماعات هى نتيجة لهذا التداخل .

عامل آخر يتصل ببعض مميزات الدولة السياسية لمجتمع الكالينجا كمية التجارة داخل الاقليم الكالينجاوى وبينهم وبين الاقاليم الاخرى . ففكرة انتقال الملكية لإعتبارات متعددة رسخت بقوة . فى معظم المجتمعات البدائية تنم التجارة عن طريق تبادل الهدايا ، ولكن حتى ولو كانت التجارة مجرد مةايضة شىء بأخر فإنها تجارة مباشرة ولا يشترط وجود نقود فى العملية . فى مجتمع كالينجا لا يوجد نظام نقدى إذ خصصت سلعة معينة كوسيلة لتبادل ومقياس للقيمة ومن ثم فهم قريبين من هذا النظام .

فكل القيم الكبيرة تحسب بالنظر إلى قيمة الجاموس كما أن الدفع يكون غالباً بالجاموس . الوحدة الثانية الاصغر هى الخنازير إلى أن يصل إلى نوع من وحدة التبادل اطلق عليها بارتون Barton اسم Heirlooms وهو أى شىء ذات قيمة خاصة يورثه جيل إلى جيل ومناع الكالينجا يستخدم كعملة للتبادل لأنها لا تستهلك ولائها يجمعوها ونظراً لأنها تضم أنواعاً عديدة من الامتعة وعلى درجة كبيرة من الاختلاف فى القيمة . وبعض تقيمهم يشبه أحياناً التبادل الحديث فى كونه مجرد رمز له قبول عام يرى أكثر منه قيمة حقيقية .

وكما هو الحال فى أندونيسيا فكل شىء تقريباً كالسرير أو الطبق أو البلاص أو الخلق أو العقد أو أى شىء تحتفظ به الاسرة لفترة طويلة يكنسب نوع من

القيمة التذكارية . فخلق ذهبى أو سلسلة من الخرز بها يكون لها تاريخ يعرفه كل فرد ومن ثم تكون قيمته مرتفعة وبالعكس الاشياء الجديدة أو التي تاريخها حديث تصبح قيمتها أقل .

وحينما يباع جزء هام من ممتلكات فرد فلا بد وأن يعطى جزءا من الثمن المشتري به كهدية لمجموعة الاقارب مع اختلاف فى نسبة العطاء تبعا لدرجة القرابة . وكلما زادت أهمية الشيء المباع كلما اتسعت دائرة القرابة المستفيدة من مبلغ الهدية . وتظهر هنا نوعا من الشيوعية البدائية حيث يأخذ شأغل أو مالك حقل الارز النصيب الأكبر . وتتركز الملكية الفردية فقط فى الملابس الشخصية والادوات والزينة . والخلاصة أنه بالنظر إلى الملكية ونمو النظام النقدي والقانون والسياسة والحكومة نجد أن مجتمع كولينجا يتف على الطريق بين المجتمع القبلى المقارب والمجتمع المنمدين .

ويؤثر فى البيع وكيلين عن البائع أحدهما يمثل أقارب الزوجة والاخر الرجل حيث يناقش صورة البيع ولذا ما تم الاتفاق بين الاقارب يسمح بالبيع بعد تحديد السعر ومن ثم يبحث الوكلاء عن المشتري . وفى منزل المشتري وبعد المداولة يأخذ الوكيل وعاء من رف المشتري ويضعه على الارض حيث يتأمله كل فرد لبضعة دقائق فى سكون تام . فإذا ما عطس أحد فى تلك الانثناء أو صدر عن أحد فعل غريب تلغى الصفقة .

وإذا لم يحدث شيئا يلتقط المشتري الإناء ويعطيه للبائع ، وتكون هذه العملية بداية سلسلة طويلة من الاحتفالات تنتهى بالدفع . ويأتى أقارب البائع بعد ذلك فرادا ليساوموا على انصبتهم . حيث يكون هناك تقاهما مع المشتري على الجزء الذى سيدفع لهم ، كما أن المشتري ذاته بالطبع سيدفع جزءا لأقاربه كما أنه لن يكون

المالك لها الوحيد بعد شرائها .

وإذا ما أخرج البيع أو قسط فيتضمن الدفع في هذه الحالة فكرة الدين ، حيث لا يسقط الدين بموت المدين إذ تورث كل الإلتزامات . وقد يجمع الدين أحيانا عن طريق وضع اليد على أملاك قبيلة المشتري ولكن في معظم الاحوال تبذل محاولة لنوبيخ الدائن وإذا لم يستجيب في بادئ الامر ولا سيما إذا كان من منطقة أخرى فإنه يضع يديه على ممتلكاته بمعنى أن المدين قد يذهب إلى بيت الدائن ويقيم فيه ولا يجره أحد على طرده لأنه يكون في منزلة الضيف المقدس وهنا ما يدفع الدائن لبذل مجهود كبير لجمع المال من أقاربه .

والنجارة بين الأقاليم المجاورة قد تكون عاملا قويا وراء نشوب الحرب بينهم إلا أنه يجتمع كالينجافد إتخذ من التجارة وسيلة لإقامة علاقات سلمية داخل الأقاليم . فالتنشر مؤسسات المشاركة التجارية قد ساعدت على صياغة هذه العلاقة السلمية التي تسود في الأقاليم التي يقطنوها ، فمسئولية التجار تقوية العلاقات السلمية بين أقاليمهم . وهذه قد تكون وظيفة سياسية في مضمونها إذ ان التجار هو المتحدر عن إقليمه والممثل له في أى علاقة من الأقاليم الأخرى . ويظهر عنصر قوى للمجتمع البدائي في هذا التنظيم إذ ان الناجر أو المسئولين عن هذا النشاط يكون اخوة إحتفالات وتنطبق عليهم كل الإلتزامات الاخوة الحقيقية .

وقد يظهر مفهوم الدولة في الأقاليم من الأشخاص المعروفين باسم بانجات Pangato ، وهؤلاء الرجال الذين يمثلوا أرستقراطية الأقاليم لهم نفوذ على بقية أفراد المجتمع ومهمتهم الأساسية هي حفظ السلام في الأقاليم . بمعنى ان البانجات ينظر لمصالح كل الناس وليس مصالح ذوية فحسب . ويمكن للشخص أن يصل إلى منصب بانجات عن طريق شخصيته القوية كما انه لا بد أن يكون أرستقراطيا من

أسرة غنية وفي نفس الوقت تكون له الصفات الشخصية التي تجعل الآخرين يحترمونه .

وفي سبيل إستقرار المجتمع كالينجا يكون دور البانجات الرئيسى هو دور الوسيط في المنازعات ، فإذا ما وقع ضرر على أى مجموعة من فرد من مجموعة أخرى فقد يؤدي ذلك إلى قيام الحرب بينهما ولذا يحاول البانجات ان يسوى النزاع عن طريق دفع تعويض مرضى للمجموعة المضارة . ويعد مثل هذا العمل من سمات المجتمعات المتمدينة ، كما انه عند الكالينجا مظهرا من مظاهر السيطرة على أسلوب الحياة وذلك نظرا لعدم وجود قوة قانونية منظمة يحكمها أن تصدر أحكام يقبلها عرف النزاع .

وإذا ما فرض تعويض على الشخص المذنب إلا انه ليس من الضروري في مجتمع كالينجا أن يأخذ على الفرد ضمان يحول دون تكرار ما افترض بل يترك الفرد ليصلح من نفسه حتى لا يفقد مركزه . ويبدو بصفة عامة ان نظام كالينجا السياسى يمارس وظيفة وساطة متقدمة أكثر من كونها وظيفة تشريعية حقيقية . فاقرب إلى الأنوة الملزمة وأبسط . مفهوم للدولة يتمثل في تهديد البانجات الذى يدفع لإحترام الأهالى له وخشيتهم اياها الى اجبارهم على قبول أحكامه .

والحدود الإقليمية لمجتمع كالينجا هى حدودا تذكارية لدولة حقيقية في نظر الأجانب أكثر منها فعلية . فقد تحدد الحدود الإقليمية ويعاد تحديدها لا عن طريق أفراد العشيرة فحسب بل بواسطة كل أفراد الأقليم ، كما أن فكرة العضوية في الأقليم تشبه فكرة المواطنة والى يمكن تعريفها بمقومات أكثر من مصطلحات القرابة مثل الميلاد والاقامة داخل حدود الأقليم . فقد تبرم المعاهدات كما تحترم العلاقات النجارية الخارجية وتحوى .

وقد تكون الحدود الإقليمية النمطية لكالينجا صورة أخرى لمجتمع عشائري راقى *Supra kingship society* على الرغم من المجتمع القبلي الأصلي لا يشمل أى طبقات عائلية من المفهوم الحديث إلا أن عشائر كالينجا القوية المتأصلة تنقسم بواسطة أسر نووية مستقرة وإلى تشغل مستويات متميزة في الاقتصاد العام وترتبط في ذلك بوضعها الاجتماعي فعلى قبه التنظيم الطباقى توجد جماعة البانجات القليلة العدد العظيمة التأثير . وتحتهم توجد طبقة الكادانجيان *Kadangyan* التى تضم جماعة الارسقراطية من مجموعات العشائر . ومن ثم الطبقة العادية أو المتوسطة المعروفة باسم باكنانج *Beknang* وطبقة الفقراء أو الكابوس *Kapus* . والفرق بين الطبقة العليا والطبقة السفلى كبير لدرجة ان العديد من طبقة الكابوس لا يمتلكون شيئا ولذا لابد وأن يعملوا لإجراء ولاسيما وان بعض الأغنياء يمتلكون أراضى تكفى لتشغيل عدد من الاجداء لزراعة الأرض عن طريق المشاركة . وتشبه العلاقة بين المالك والمستأجر علاقة التبعية فلا بد للمستأجر فى مساعدة سيده إذا ما وقع عليه سوء أو أصيب بضرر بينما على السيد أن يساعد المستأجر فى أوقات مرضيه وأزماته . فهى علاقة سيد مالك بشريف مفلس ، غير أن العلاقة تشبه القرابة بل أكثر من اثنين متقاربين فى بعض الأحوال .

وتنظم الحياة اليومية فى كالينجا علاقات القرابة فى مجتمع قبلى نمطى . ولا يشذ عن ذلك إلا بعض الحالات القليلة النادرة التى تطغى فيها الإعتبارات السياسية القومية على مصالح العشيرة . وفى معظم الأحوال لم يفقد الكالينجانيون السمات الكاملة للمجتمع البدائى إلا أنهم قد أضافوا قليلا من المظاهر السياسية لىكى يتمكنوا من معالجة أمورهم الخاصة . فنظام العشيرة فى أخذ الثأر مثلا لم يتوقف

بمعامدة السلام أو بتأثير البانجات ، فدفع التديوينات والمحادثات التي تأخذ مجالا هنا بين الجانبين المشتركين في الواقعة تهدف إلى عدم الرغبة في الصراع بينها لسبب أو لآخر وفي الواقع قد ترتبط اعتبار شخصية بقيادة مجموعة صيد الرؤوس Head - hunting وهي إحدى الوسائل البدائية للحصول على المركز المرموق بعيدا عن الوسائل المورثة لواحد فقط. هو الذي يمكنه قيادة مجموعة صيد الرؤوس حيث يضع وشما مميزا ويحترم رأيه في المداقشات الهامة .

وينظر دائما إلى جملة صيد الرؤوس على أنها عمل انتقامي ولكنها تعتبر للدرجة كبيرة عمل غير شخصي . فالضغينة ضد شخص من عشيرة أخرى أو ضد جماعة تعيش في إقليم بعيد قد تورث لمدة أجيال ولذا فالانتقام قد يوجه إلى أحفاد مؤسس الضغينة . وهكذا قد تحدث الاعتداءات بسهولة وتهاجم مجموعة أخرى لم يسمع أفرادها عن أسباب الانتقام أو عن الرغبة فيه .

وتتكون الجملة في العادة من خمسة أو ستة رجال الذين يتسللون إلى حدود الخصم وينتظروا في الادغال إلى أن يتصيدوا أحد . وبعد أن تقتل الفريسة تنزع الرأس من الجسد وتحمل معهم إلى أقليمهم حيث يعقدوا احتفالا كبيرا توضع فيه للرأس على عصي ويرقص الجميع حولها ثم تتناول المجموعة الحاربة بعد ذلك المنع مزوجا بعصير قصب السكر . وتمارس هذه الشعائر من أجل اعتقادهم أن احضار رؤوس اعدائهم تزيد من خصوبة حقولهم وحيواناتهم المستأنسة ونسائهم كما انها تحسن الثروة العامة . ويرص الابناء الصغار على وجه الخصوص للاضطلاع بدور في مجموعة الحرب وذلك لأن مركزهم أقل من مركز المولود الأول وأن المكافأة التي سيمنعها الأب لهم عقب إداء المهمة قد تندمب لاعطائهم بعض الحقوق التي اعطاها من قبل لاختيه أو يعطيهم مجالا لاختيار حقول أخرى .

ويعتبر ميلاد الطفل الأول للزوجين حادث هام حيث أن ميلاد يثبت الأسرة على الرغم من الذرية بعد ذلك أقل قيمة ، وتعتبر زواج الكالينجا نوعا من الزواج الاختياري Trial marringa إلا أن يأتي الطفل الأول . وسلسلة الاحتفالات والأعياد التي يقوم به أقارب الزوجين ليست مجرد لإعلان مولد طفل والترحيب به كعضو جديد إنما لإشهار أن المجموعتين أي مجموعة الأب ومجموعة الأم قد اتخذتا سويا بقدوم هذا الطفل .

ودخول الطفل في مجتمع كالينجا أمر طبيعية وذلك عن طريقة تقليد الطفل للأشخاص الكبار . والشئ الوحيد الذي يلحق للطفل هو تاريخ المجموعة العشائرية ولا سيما فيما يتعلق بالمشاكل والأعداء والديون وما يتضمن هذه المسائل بين علاقات جماعات أخرى . بعض الأمور الأخرى مثل جغرافية المنطقة ، والأمثلة الشعبية والاساطير والرقص والدين فجميعها يتعلمها الفرد من المجتمع عموما فكما أن المفروض ألا يتعلم الأطفال المثنى أو الكلام كذلك ليس هناك محاذير نحو أى سلوك معين حتى ولو كان خطر على الطفل .

وما أن يتقدم الأطفال في مرحلة الطفولة حتى يبدأوا تدريجيا في ممارسة أنشطة البالغين . فيشجع الصبية على وجه الخصوص للشجاعة وعدم رهبة للمقتلى فحينما يحضر مجموعة صيد الرؤوس أو مجموعة الحرب جثة عدو إلى مكان العتيرية يسمح على للأطفال بطعنها وقطع لحوم من عظامها . وقد يتخذ البالغون خطوات أخرى من ذلك فيدرب أبنائه على أشياء حية فعلى سبيل المثال قد يشجع على الانقضاض على قروى فجاءة وطعن معقدة بالرمح وقد يحث الصبي مركزا هاما بين أقرانه نتيجة لهذا العمل .

وما أن يصل الأطفال إلى سن عشر سنوات حتى يتركوا منازل ذويهم ويندبوا

إلى نوع من المنامة العامة مع مجموعة اقربائهم من نفس النوع ومسرعان ما يترك الصبيان والفتيات للاختلاط بحركة وتقضية أوقات ممتعة . فعدم مسؤولية الكبار - التي تسبب مشكلة للإباء في المجتمع الحديث - تعتبر هنا مسألة طبيعية بل أن حرية الأولاد تأكد بابتعادهم عن مقر الإبرين ، غير أن الزواج - الذي يحدث طالما اعتبر الغلام ناضجا يصبحه كثيرا من النخير .

وينشغل أطفال الكاينجا دائما بالزواج منذ صغرهم - فقد يخطب الإباء لابنهم فتاة قبل ولادتها . فقد يتقدم والدى الطفل بالعرض بطريق غير مباشر أو لاحتى لا يشعروا بخجل إذا رفض مباشر من عائلة البنت . وإذا ما قبل العرض يتناولون الهدايا وتقام وليمة . وقد يتبادل المجموعتان بين ذلك الهدايا باستمرار طالما هذا الاتفاق قائم . وقد يقام حفل كبير يحضره أقارب المجموعتين وذلك كإشهار لحفل زواج الصبي والفتاة . وبعد ذلك يعيش الزوجان في منزل أسرة لمدة ثلاثة أو أربعة شهور ينقلوا بعدها إلى مقرهم الخاص والذي يكون في العادة بالقرب من منزل الفتاة . وبعد ميلاد الطفل الأول تقام حفلة يعطى فيها أهل الولد الهدايا إلى جميع أقارب أهل الفتاة حيث يعتبر الزواج منذ هذه اللحظة قائم على أساس متين .

والطلاق مسألة شائعة بين زواج الاطفال وليكن قد يحدث أيضا بعد ميلاد الاطفال . والسبب في معظم الأحيان يعود إلى فشل أحد الزوجين في القيام بمسؤولية المنزلية ، أى الطلاق بسبب عدم ثقة أو الغيرة الجنسية فتأخذ جندا . فالزوج عليه أن يقوم بالأعمال الصعبة في الحقل مثل الحرث ونسوية الأرض وتنظيفها كما عليه أن يتحمل جميع أمور الأسرة من بيع وشراء وسياسيه أو المشاركة في الانتقام لضرب اصاب العشيرة . أما المرأة فيقتصر عملها أساسا في المنزل وفي المساعدة في الزراعة وحصد المحصول .

وقد يلجأ بعض الرجال في طبقة أغنياء كالينجا إلى إبقاء خليله لهم في قري غير تلك التي يقيمون بها . وهذا أمر معترف به في نظام كالينجا حيث تشعر المرأة في هذه الحالة أن زوجها غير قانع . وقد يعترف بالأطفال غير الشرعيين غير أنهم لا يصلون أبداً إلى مراكز مرتفعة وذلك لأنهم لا يستطيعوا أن يرثوا أكثر من نصيب بسيط من ثروة أبيهم . وفي حالة عدم لإنجاب الزوجة يلجأ الرجل للحصول على خليله حيث تساعد في الاختيار زوجته .

ويعتقد الكالينجانيون أن المرضى والموت المصاحب للضعف من فعل أرواح شريرة وغيور بها لأسلاف قضى نحبتهم . ولذا فقد تتضمن شعائر الحزن نصر بعض الحيوانات كقربان لهذه الأرواح وإقامة الصلوات من أجلها . وقد يستغرق الشامان في صلواته وشعائره فترة طويلة من الزمن تستمر يوم ونصف وذلك من أجل طرد الروح الشريرة من المريض . وفي مجتمعات كالينجا نجد أن مهنة الشامان تتركز كلية في أيدي النساء الكبيرات حيث يقلن أن أرواح قد تزوجت من أرواح فيما وراء الطبيعة وأن الشعائر تقام لهم عن طريق الأرواح . ولا يوجد إلا قليل من الرجال الذين يمتحنوا وظيفة شامان غير أنهم يعملوا أساساً في إقامة شعائر جماعات الغزو ولا يهتمون بالأجور الفردية .

وحينما يموت شخص مريض فإنهم يسرون لمسافة طويلة من أجل إبعاد أرواح معينة وهي التي سوف تأكل الميت . وقد يوضع الميت جالساً على كرسي عريض حيث يجلس إلى جواره أرملة أو أرملة طوال الوقت الذي تستمر فيه الحداد . يقف كذلك والدته ووالد المتوفي مع أقاربه أمام المنزل ليصرخوا بأصوات عالية . وإذا كان الماتم لرجل مسن فتسم المسيرة بالفرح والنساء وتقام وليمة وقد تبقى الجثة بدون دفن لفترة ما بين ٣ و ١٠ أيام وتدفن بعدما في حقول

الأرز . وفي اليوم العاشر يرتل الشامان أدعية لطرد الروح لعالم السماء عالم أرواح الأسلاف . وبعد ذلك يوضع الأرز المطبوخ وعصير القصب المخمر وفي بعض الأحيان قبة إلى جانب القبر لعدة أسابيع .

وتشمل آلهة كالينجا عددا من طبقات المخلوقات والني أهمها إله كابونجان Kapungan الذي من أجله يضحي بالخنازير ولدواجن والذي يعتمد أنه يزيد من خصوبة الحقول . ذلك إلى جانب الآلهة للتقاييدية الممثلة في آلهة الرعد والبرق والرياح وبعض الأمراض المميتة ، والآلهة العديدة للظواهر والأفاعيم الجغرافية . ومن المميجب أنه في مجتمع زراعي لا توجد آلهة للشمس أو القمر . ومن مجموعة الآلهة أو الأرواح الآلهة المخيف بولايابو bujaiyao الذي يقبض ويأكل أرواح الموتى ، والآلهة أنيتو Anita الذي يظهر على هيئة أشباح وأرواح الموتى والذي يلام دائما على المرض وسوء الحظ . وقليل من أرواح الأسلاف لها قدرة على معاقبة خلقهم على الأفعال الخاطئة ولا سيما تلك الأفعال التي تعتبر ضد مصلحة الأسرة . وقد تقرب هذه من دين مجتمع السكاليينجا الذي يتضمن قوما خلقية وروحية .

ويتم الرقص والوسيقى عند السكاليينجا بأنه شعائري للدرجة كبيرة غير أنه قريب من دينهم . فأعداد البامبو المختلفة الأطوال تعطى كما هو الحال عند غيرهم من الأندونيسيين أصوات مختلفة وهي أداة الإيتاع الرئيسية لديهم . أما عن الرقص فيذكر بارتون Barton ، أن شيء جدير أن ترى الرجال يتقدمون ويتراجعون بينما تنبث ضربات الموسيقى من الأفواه وتحيط بهم النساء اللاتي ترعين الوقيت ليتقدم للرقص في مواجهة الرجال وليكاليينجا يرون موامون بالالوان البراقة لذا فقد يضمون على رؤوسهم أو في آذانهم باقات الزهور ،

ير أن هذه الصورة لا توجد حالياً في حياة مجتمع الكالينجا إذا أن الازداف الضيقة والأجسام النحيفة للرجال قد غطت بملابس قدره مهله كما ترتدى النساء ملابس فضفاضة لاشكل لها . وقد تمكنت مدارس البعثات البشرية والتي ضمت مدرستين أحدهما كاثولوكيه والأخرى بروتستانتية من ترك تأثير واضح ذلك بالإضافة إلى اكتشاف المناجم في إقليم كالينجا وبناء الطرق قد وضع نهاية لعزلة المجتمع السكالينجاوى .

وقد حاول الأمريكيون القضاء على نظام المجموعة صيد الرؤوس Head hunting منذ أن بسطوا نفوذهم على المناطق الجبلية الشالية في لوزون بعد عام ١٩٠١ مبر أن المعدات الخاصة بالعدل والتي من بينها نظام صيد الرؤوس كان من الأمور الهامة في مجتمع كالينجا حتى عام ١٩٤٠ لاذ أن المنازعات المحلية كانت ما تزال تدفع السلطات للقيام بعمل ضدّها في عام ١٩٤٧ ظهر عنوان رئيس تحت باسم « حرب قبائل كالينجا تنتهى تقريباً » في جريدة فليبينيه وتضمنت المقال ما يلي .

الحرب الاهلية في كالينجا بين قرية مابونجتوت Mabongtut ولوبواجان Lubuagan ومانجالى mangali وتانوران Tanudan قد انتهت حديثاً بتدخل الملازم ماريو بانس Bansen وانطونيرو كانو حاكم لوبواجان وتبعاً للمعلومات المستفاد من تلك القريتين فقد كانت الحرب مستمرة بينهما في الماضي غير انه عقد بينهما حديثاً معاهدة صلح أو على أى حال فحتى شهر أغسطس كان رئيس قرية مابونجتوت الذى عقد الصلح قد مات وفي هذه الحالة كان على توقيع معاهدة جديده وإلا تتجدد الحروب القديمة مرة أخرى .

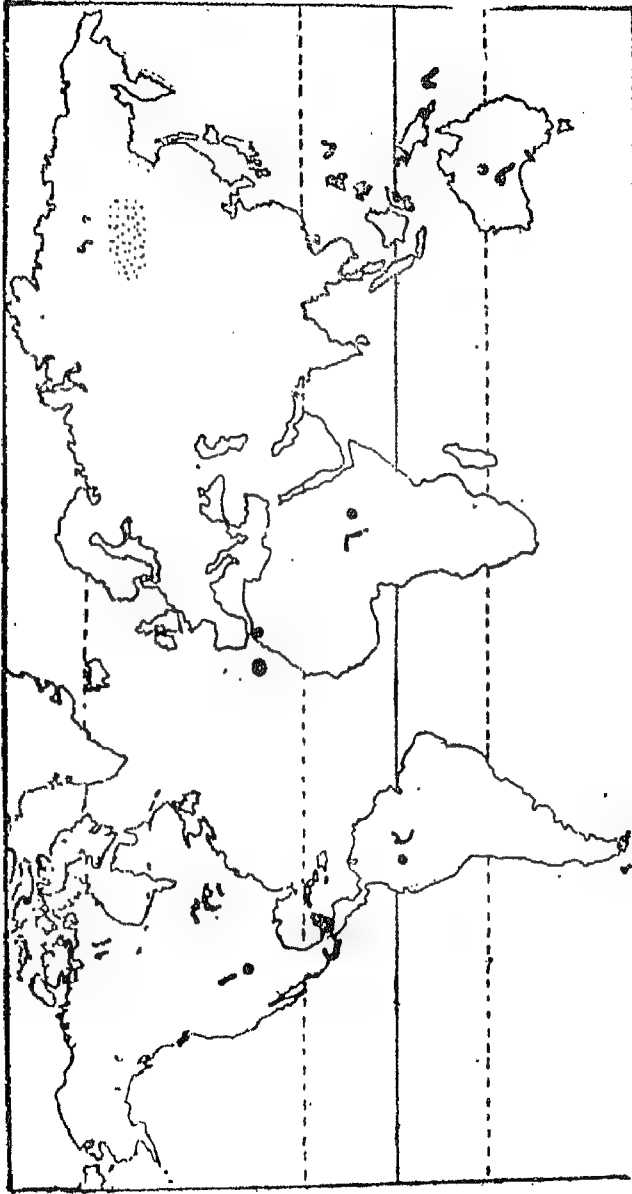
وفي هذه الظروف الغريبة لم تبذل أى محاولة لتجديد المعاهدة بين القريتين ومن ثم بدأت الاضطرابات حينما تمت محاولة للقضاء على رئيس تانوران . ومنذ

تلك اللحظة بدأت الاوضاع تسمى واستعدت التريتان للحرب طبقا لتقاليد اسلافهم مع الفارق في نوعية الاسلحة التي سوف يستخدموها الآن ولحسن الحظ فان تدخل الملازم بانس ورئيس كانو قد حال دون سفك الدماء فمقدت معاهدة جديده وتبادل رؤساء القسرى الرماح كرمز للسلام واقاموا احتفالات استمرت اسبوعا . (شكل ١٣، ١٤، ١٥)

أما المؤسسات الأخرى المعترف بها في النظام الكالينجاي فقد برهنت على قدرتها على الاستمرار فنظام دفع التعويضات ظل دائما مقبولا كهدية أو بديل ويأخذ الآن شكلا واسعا : فلفترة طويلة حتى الآن مازلت المؤسسات والتنظيمات الكالينجاية تمارس كامل صلاحيتها على الرغم من أن حكومة الجزر تفرض قانونها فيها ومن ثم يعاقب المذنب في كالينجامرتين أحدهما من الحكومة والأخرى من عشيرته .

أما ديانه كالينجا فتموت ببطء غير أن الديانه المسيحية لم تتمكن بسهولة من أن تحل محلها . فقد قبل عدد من الكالينجاوين عضوية الكنيسه المسيحية غير انهم وجدوا من الصعب اتباع تقاليدها .

وبصفة عامه نجد أن تأثير الحضارة الأوربية على الجماعات البدائية في الفيلين لم يكن أفضل حالا من تأثيرها على الجماعات البدائية الأولى التي تعيش في الاماكن الأخرى من العالم . فقد ظهرت الاوبئة بينهم في فترات متعددة غير أن بارتون قد ذكر في عام ١٩٤١ أن سكان كالينجا قد زاد عددهم . ويعمل تقريبا كل الرجال الشبان في المناجم ، كما أن الثروه الإضافية الناتجة عن هذا العمل حسنت مستوى معيشتهم وبالإضافة إلى ذلك فقد نجحت الحضارة الأوربية في القضاء على أفسه الماشية وزيادة الرعاية الطبية فقللت من نسبة الموتى بين الأطفال . وقد كانت اسهل وأسرع طريقة لتغير أسلوب حياة السكان في هذا المجتمع البدائي هو إلحاقهم بالمدارس نظير أجر يومي ومن ثم فيمكن التنبؤ أن أفراد مجتمع كالينجا سوف يتحولون قريبا إلى مواطنين فلبسيين كاملين وذلك من وجهة النظر الحضارية والقانونية



شكل (١٣) توزيع بعض الجماعات البدائية

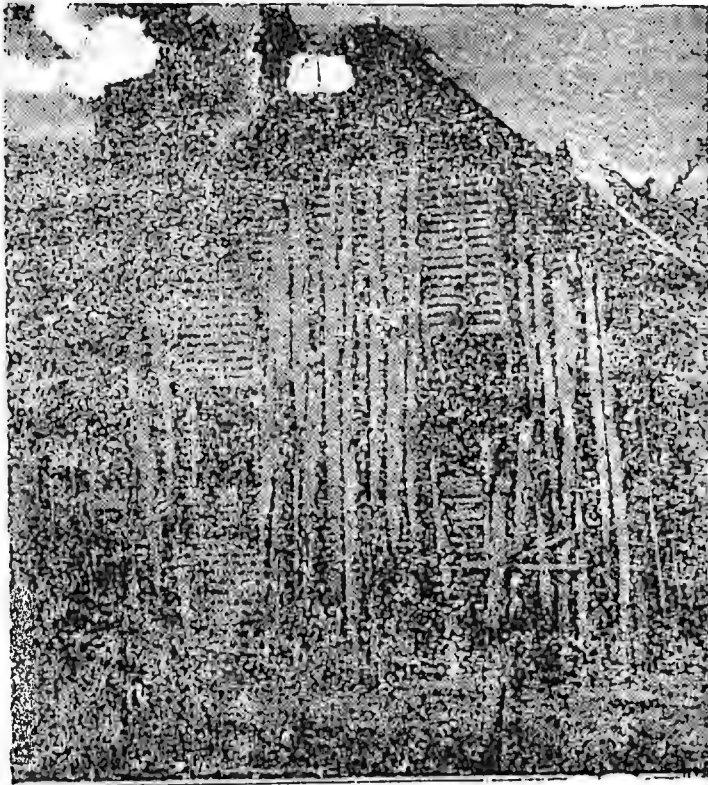
- | | | |
|-----------------|---------------|---------------|
| ١ - الأستراليين | ٥ - الهنود | ٩ - العرب |
| ٢ - الملاي | ٦ - النوبيين | ١٠ - التاجيك |
| ٣ - الهنود | ٧ - الكالموكس | ١١ - الاسكيمو |
| ٤ - الأفارقة | ٨ - التتار | |

- ٢٥٩ -



شكل (١٤) شاب من كاليڤيجا

— ٢٦٠ —



شكل (١٥) كوخ السكالينجا

المسايا

The Maya of Mexico

المايا

يرتبط التطور الحضارى للهنود الأمريكيين بمصدرين تاريخيين هامين الأول
هى حضارة الانديز التى استمرت مزدهرة لبان اسرات الانكا وحتى نهايتها .
والمصدر الثانى هى حضارة أمريكا الوسطى ذلك الإقليم الذى يتفق مع الهضبة
الوسطى جنوب المكسيك لتشمل يوكاتان وجواتيمالا وجزءاً من هندوراس فى
أمريكا الوسطى. هذان المصدران كمركزين للحضارتين بكل ما تعنيه كلمة الحضارة حيث
نظم المجتمع على أساس مدنى وكان الأساس دولة مدن city-state أكثر
منه نظام عشائرى . وقد ميز هذا النظام كل القبائل الأخرى الهندية الأمريكية.
وقد كان لإقليم أمريكا الوسطى وحدة حضارية وإن كان قد حال دون تجانسه
الكامل الاختلافات الجغرافية والسيادة السياسية لبعض الأمبراطوريات
الصغيرة التى بسطت نفوذها على مساحة من الأرض . غير أن هذه الدول
المنفصلة والتى وجدت فى الإقليم قد شاركت جميعها فى الملامح الأساسية لحضارة
أمريكا الوسطى .

ومن أشهر هذه الدول أو الممالك مملكة الأزتك Aztec والتولتيك Toltec
واللتان تركزا حول مدينة المكسيك . وقد وجدت ممالك أقل شهرة ولم تكن
اشتملت على بعض التطورات الحضارية المؤثرة . فمملكة ميشواكان Michoacan
بالمكسيك إلى الشمال والغرب من الأزتك كانت جزءاً من أمبراطورية حربية
قوية استطاعت أن تحتفظ بمحدودها بين جيرانها . ذلك بالإضافة إلى أنه قد
عثر على عدد من المواقع الأثرية إلى الشرق والجنوب من مدينة المكسيك مثل
موقع شولولا Cholula الذى يضم تطورات حضارية مشابهة وزابوتيك
Zapotec وميكستيك Mixtec إلى الجنوب منها فى Oaxaca ومواقع أوليك

Olmece وتوتوناك totnac و Huastec على طول ساحل خليج تاباسكو Tabasco ومواقع فيراكروز التي لم تبحث بحثاً أثرياً مستفيضاً وأخيراً في منطقة إخراج يوكاتان وإقليم بتن Peten في شمال جواتيمالا والمناطق المحيطة بهندوراس توجد بقايا أهرامات حجرية وسلسلة من معابد المايا .

ومما هو جدير بالذكر أن المواقع الخارجية في الأراضي المنخفضة للمايا والتي تحمل سمات حضارة أمريكا الوسطى قد نالت من اهتمام دراسة أساتذة علم الآثار ما لم ينله أى منطقة أخرى في العالم الجديد حتى في خلال القرن ١٦ م . كما لفتت آثار مراكز المايا نظر الأسبان فتركوا عديداً من المؤلفات عن حياة المايا حيث ظلت هذه المؤلفات للأسف عدة قرون لم يعرف قيمتها ومن بينها كتاب عن تاريخ ووصف يوكاتان ألفه القس دييجو دى لاندو Diego de Landa في عام ١٥٦٠ والذي وضع بناءً على ملاحظاته بعد غزو الأسبان لهذه المناطق بفترة قصيرة . وهناك مصادر أخرى تتناول تلخيصاً لتاريخ المايا القديم وللمستندات التاريخية التي خلفها هنود المايا بشأن الحروف الأبجدية الأسبانية والمكتوبة بلغة المايا .

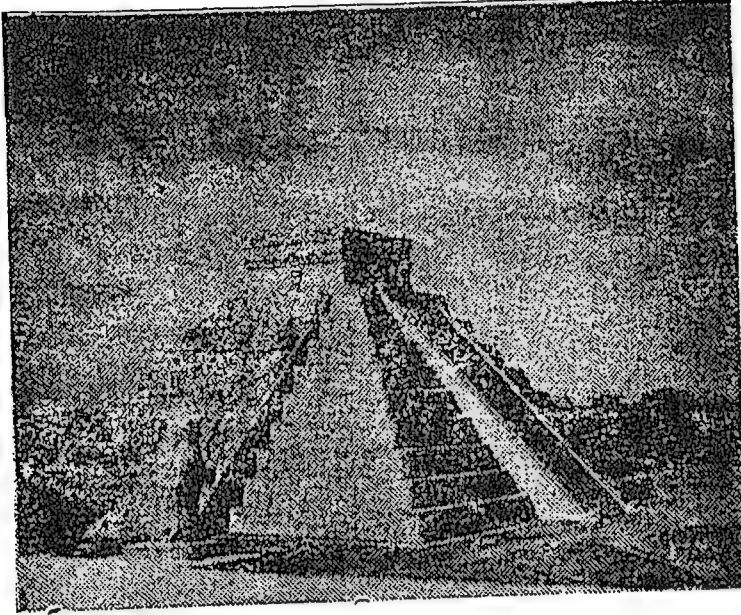
وبعد الغزو الأسباني لهذه المناطق انتشرت الأمراض الأوربية بين السكان وحتى اليوم نجد أن انتشار الملاريا والخسرات في جزء كبير من أراضي الأحراش المنخفضة قد جعلها تكاد تكون خالية من السكان . وكنيجة لذلك نجد أن عدداً كبيراً من بقايا ومخلفات حضارة المايا قد بقيت كمدن مفقودة Lost cities حتى القرن ١٩ حينما لفت عديد من الرحلات الإستكشافية نظر العالم الخارجي إلى هذه البقعة الحضارية . وربما كان من أبرز هذه الرحلات وأدائها تلك التي قام بها جون لويد ستيفنسون John Lloyd Stephens في عامي

١٨٣٩ و ١٨٤١ . وقد ذهب جون لويد الأمريكى فى رحلته لهذه المناطق بصحبة فنان انجليزى حيث أصدر مؤلفين مزودا بعدد من الصور والرسوم التى قام زميله فى الرحلة فردريك بإعدادها وقد كانت هذه المؤلفات هى المسئولة عن إزكاء الروح العلمية للبحث عن حضارة المايا فى كل من أوروبا وأمريكا .

وقد تم أول عمل أكاديمى عن المايا بواسطة الأركولوجى الإنجليزى السير ماودسلاى Sir Alfred Maudslay فى الفترة ما بين عامى ١٨٨١ و ١٨٩٤ ، كما أن أول بعثة علمية منظمة لدراسة المايا كانت بعثة المنحف الأركولوجى الإثنوجرافى لجامعة هارفارد التى أرسلت فى عام ١٨٩٢ . أما فى الوقت الحاضر فأبتداء من عام ١٩١٥ استمرت مؤسسة كارنى فى واشنطن Carnegie Institution of Washington فى برنامج للدراسات والإستكشافات لم يسبق له مثيل فى أى إقليم أئرى . وقد ساهمت مراكز أخرى للأبحاث فى إزاحة النقاب عن حضارة المايا مثل الجمعية الإثنوبولوجية التاريخية بالمكسيك Instituto de Antropologia et Historia de Mexico ، ومتحف جامعة بنسلفانيا ، ومركز أبحاث جامعة مولدن بأمريكا الوسطى The Mildden American Reserch Institue of Tulane university ، والمتحف البريطانى ومتحف التاريخ الطبيعى بشيكاغو .

وقد كانت حضارة المايا مثيرة جدا لعدد من الدارسين الذين تفرغوا لدراستها وتحليل عناصرها . فبقايا الأهرامات الكبيرة (شكل ١٦) والمابد وفيرة وجميلة فى نفس الوقت الأمر الذى يدفع للتساؤل كيف تمكن الهنود الأمريكىين من بنائها فى تلك المناطق الصعبة . وربما أكثر إثارة السمات الذكية لحضارة المايا فنظام التاريخ على الرغم من تعقده إلا أنه كان يرتبط بالدورة الفلكية كما هو الحال فى

— ٤٦٩ —



شكل (١٦) احداهرامات المايا في يوكاتان

أى مكان آخر فى العالم ، والكتابة الهيروغرافية التى ارتبطت بالحضارة الكلاسيكية فى شرق البحر المتوسط ، وفى الرياضة واستخدام الصفر وتغير موضعه العددي قد استخدم قبل أن يعرفه الهنود الأمريكيين حيث انتقل إلى الحضارة الغربية قبلهم .

ولسوء الحظ لا يعرف شيئاً عن أصول هذه الظواهر الحضارية غير أنها ليس بالضرورة أن تكون ما يومية . فالنتيجة ونظام العدد والإهرامات والكتابة الهيروغرافية وغيرها من الأشياء كانت معروفة لكل مناطق أمريكا الوسطى . وعلى الرغم من أن بقايا قليل من الحضارات الكبرى القديمة فى العالم مثل تلك الموجودة فى كامبوديا وجاوة قد وجدت فى الغابات المدارية غير أن هذه الحضارات قد قدمت من الخارج إلى هذه المناطق حيث ازدهرت هناك . وربما افترض أن الظروف الملائمة لتطور الحضارة لا بد أن تكون أكثر تخصصاً من تلك الظروف التى تتطلبها المرحلة الأخيرة من انتشارها وذيوعها . ومن ثم يبدو أن العناصر الأساسية التى كونت الحضارة قد نمت فى المناطق المرتفعة فى أمريكا الوسطى حيث أن ضبط المياه والتحكم فيها عن طريق الري والصرف أدى إلى زراعة بدائية ومن ثم وجدت الحضارة المدنية بمقوماتها المناطق المرتفعة أكثر ملاءمة لها من المناطق الغاية الواطئة .

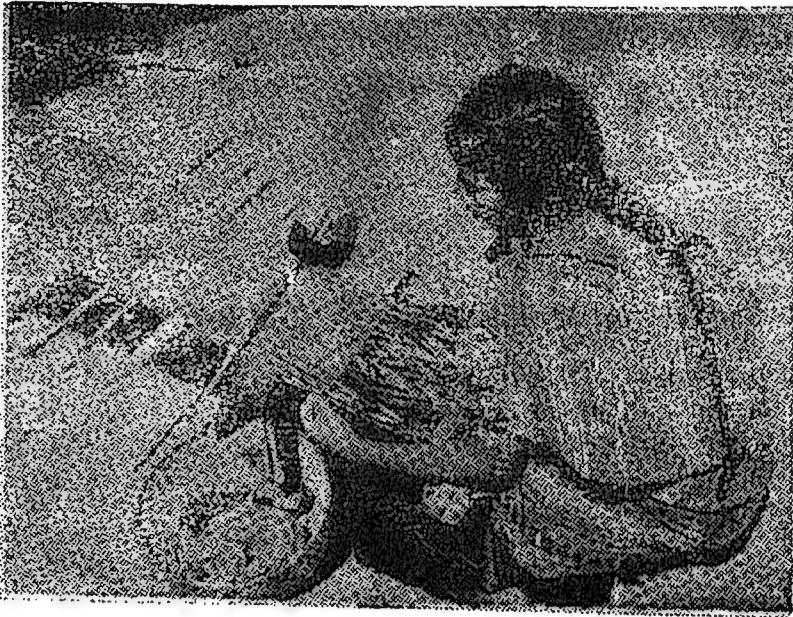
غير أن المختصين بدراسة المايا يعتقدوا أن أصحاب هذه الحضارة قد طوروا حضارتهم إلى مرحلة النضج فى المناطق المدارية . ولكن ليس هناك دليل على أن المايا قد طوروا العناصر الأساسية للحضارة بأنفسهم أو أنهم كانوا سابقين لنيرهم فى أمريكا الوسطى لذا فيقترح بعض الباحثين أنه من الأفضل أن ننظر إلى المايا على أنهم يمثلون مظهراً عاماً لحضارة أمريكا الوسطى أكثر من كونهم

يمثلون مستوى أرفع ويؤكد ذلك أريك تومبسون في كتابه عن ازدهار وسقوط حضارة المايا الذى ظهر فى عام ١٩٥٤ حيث يقول « أنه يعتقد حضارة المايا كانت خلاصة شخصية المايا إلى جانب عناصر أساسية أخرى - أقلية خلافة ذات تصور واسع ونشاط عقلى وأنها بدأت حضارة المايا فى الأراضى المنخفضة وحافظت عليها عبر الزمن لعدة مئات من السنين » .

وقد شغلت حضارة المايا القديمة ثلاث مناطق ايكولوجية متميزة . المنطقة الجنوبية وهى منطقة جبلية تتكون من الأراضى المرتفعة فى جواتيمالا والمنطقة المجاورة لها كذلك الإقليم المشابهة فى سلفادور . هنا يعيش السكان الأصليون المتحدثين بلغة المايا فى أعداد كبيرة تفوق أعدادهم فى المناطق المنخفضة . وهذه المنطقة لم تكن منطقة سيادة الأهرامات الكبيرة أو بناء المعابد ولذا لم تكن هى بؤرة أبحاث الأركولوجيين . أما المنطقة الثانية وهى المنطقة الوسطى وتشمل إقليم الأراضى المنخفضة والذى يتوسطه إقليم بيتون Peten district فى جواتيمالا . وهذه المنطقة خالية الآن من السكان تقريبا ولكنها فى وقت من الأوقات كان يوجد بها أكبر مدن حضارة المايا . أما القسم الشمالى فيكون شبه جزيرة تشمل دول المكسيك الممتدة فى كامبشى Campeche ويوكتان وكويتسانا ورو Quintana Roo ولذا كانت مبانى مدن المايا الكلاسيكية قد انحسرت فى الإقليم الأوسط فإنها قد انتشرت مؤخرا إلى المنطقة الشمالية ولكن بدرجة ازدهار أقل وقد كانت المنطقة الأخيرة على أكثر المناطق التى عرفها الباحثون وذلك لأنها المنطقة الأولى التى خلف عنها الأسبان معلومات كاملة

وتقع كل من المنطقتين الوسطى والشمالية فى نطاق الغابات المدارية الوطئة ، كما أن تربتها رقيقة ترتكز فوق أساس من الصخور الحيرية . والمنطقة الوسطى أكثر ارتفاعا قليلا من المنطقة الشمالية وأكثر تدرية ومن ثم تجرى بها الروافد

— ٢٦٩ —



شكل (١٧) سيدة من المايا تقوم بأعمال النسيج

المسائية وتتكون البحيرات الضحلة . وتوسط الأمطار بغزارة بالقرب من المرتفعات في الفصل المطير بينما يستمر فصل الجفاف من شهر يناير إلى شهر مايو . وتقل الأمطار تدريجياً كلما اتجهنا صوب الإقليم الشالى كما تنبسط الأرض غير أنه بسبب مسامية الصخور الجيرية التى تمثل القاعدة الصخرية فإن الأنهار تخفى وتصبح مصدر المياه الوحيد على البحيرات العميقة Deep Pools وأمر رفة باسم Cenotes والتى تظهر حيث توجد انعكاسات أو شقوق فى الحجر الجيرى . وحيث تظهر المياه الباطنية ويبدو أن كل الإقليم المنخفض لا يصلح لتطور راقى للزراعة . شكل (١٧)

وربما كانت صخور الحجر الجيرى فى بيئة الأراضى المنخفضة هى المصدر الطبيعى المسئول عن إعطاء حضارة المايا صفاتها التى ميزتها بوضوح عن غيرها من حضارات أمريكا الوسطى . فهذه الصخور يمكن تججيرها وقطعها وتسويتها بسهولة حينما تكون حديثة التكون غير أنها تصبح صلبة إذا ما تعرضت لعوامل الزمن . وحينما تحرق صخور الحجر الجيرى تتحول إلى جير الذى يخلط بحصى الحجر الجيرى ويكون مونة جيدة . ولا شك أن مهندسى ونحاتى المايا كأشخاص متميزين عن هؤلاء الذين وجدوا فى الأراضى المرتفعة بأمريكا الوسطى - قد عرفوا مميزات هذا المصدر الطبيعى الوفير .

ولا تقدم الأراضى المنخفضة من النواحي الأخرى أى ظروف مواتية للتقدم الحضارى . فالحياة الحيوانية فى الأحراش كانت أكثر وفرة من الأراضى المرتفعة إذ ضمت تلك الحياة حيوان الجاجور والقروود والنور إلى جانب عدد كبير من أنواع الطيور والتى كانت تمثل مصدراً هاماً للصيد ذلك بالإضافة إلى وجود عديد من الفاكهة البرية غير أنه كان من الصعب جداً زيادة السكان أو إيجاد طعام كاف كما هو الحال فى المناطق المرتفعة حيث التحسب فى المياه من

أجل الزراعة وقد زرع أصحاب حضارة المايا نباتات تشبه تلك التي قام بزراعتها
غيرهم من الهنود الأمريكيين مثل الذرة والبقول والقرع وهي المحاصيل التي زرعها
الأمريكيون الكلاسيكيون وإن كانت الذرة تعتبر أهم المحاصيل الثلاثة .

أما النباتات الجذرية الأمريكية فمن البطاطا واليام والمانيوك والتي تلت في
أهميتها مجموعة المحاصيل الثلاثة الأولى ذلك بالإضافة إلى عديد من التوابل ولا
سيما الفلفل الشهي والفانيليا إلى جانب الكاكاو والنبط ولتبغ أما الغابات فكانت
مصدراً للأخشاب لصلبة والأوراق التي صنعت منها الخيوط والنحل واعدد
كبير من الحشرات . ومن ثم فكل هذه الصفات التي توجد في تلك المنطقة تظهر
مرة أخرى في كل أقاليم الغابات المدارية في أمريكا الوسطى والجنوبية .

وتاريخ الإستقرار في إقليم المايا المنخفض - كما تبينه الأدلة الأركولوجية -
لا يعود إلى جـذور حضارة أمريكا الوسطى وهي . في ذلك العدد تشبه
غيرها من المناطق الأثرية في أمريكا الوسطى حيث لم يكنشف في أحدها هذه
الأصول . فالمواقع الأثرية الأولى أو الأقدم في تاريخها والمعروفة والتي تبدو أبسط.
وأصغر في عددها من المواقع العديدة التي عرفت بعد ذلك كلها توضح أن الحياة
الاقتصادية للجمع قامت على الزراعة . . ويرجع تاريخ هذه المرحلة إلى الفترة
ما بين عامي ٥٠٠ ق.م. و ٣٠٠ م. وهي الفترة التي تعرف باسم فترة التكوين
Formative والتي صاحبت مظاهر خاصة لحضارة أمريكا الوسطى مثل تشيد
الأهرامات وعمرقة الميروغرافية ، والتأريخ وصناعة الفخار والتماثيل وبعض
رسم صور الحيوانات كالشعابين والجاغور .

أما الفترة الكلاسيكية classic period في الوقت الذي انتشرت فيه
حضارة المايا انتشاراً واسعاً من منطقة تركزها الوسطى وتبدأ من ٣٠٠ م.

لتصل إلى قمتها في عام ٨٠٠ م. وليفتقها بعد ذلك فترة من الإضمحلال السياسى تستمر من عام ٨٠٠ م. إلى عام ٩٢٥ م. وقد شهدت يوكاتان في ذلك الوقت خضوعها للغزاة المكسيكيين الشماليين أو التولتك *Toltecs* والذين استمروا حتى عام ٢٢٠٠ م. حيث تمكنت حضارة المايا من استعادة ازدهارها تدريجياً مرة أخرى . ولكن حدث في القرن الخامس عشر حروب عليه أدت إلى اضمحلال الحضارة مرة أخرى ومن ثم فجع وصول الأسبان إلى يوكاتان في عام ١٥٢٧ لم يكن هناك أى وحدة سياسية أو إمبراطورية أو أى اتحاد فدرالى في تلك المناطق . وربما كانت أسباب انهيار الإمبراطورية القديمة في الإقليم الأوسط واضطراب أيضاً الإمبراطورية الحديثة في يوكاتان كانت من الأمور الهامة التى شغل المهتمين بدراسة حضارة المايا الذين أعطوا تفسيرات متعددة تفاوتت من الحروب الأهلية إلى ثورة الفلاحين إلى فشل القيادة إلى تدهور الثروة الغابية . ولكن الأدلة المؤكدة هى وجود حروب أهلية ، وهذه الحروب تظهر أيضاً في إمبراطوريات أخرى حتى إمبراطورية *Teotihuacan* القريبة من مدينة المكسيك والتى شهدت صعوبات فى نفس الفترة التى كانت تعاني فيها حضارة المايا الكلاسيكية من صواب مماثلة . ولكن من الممكن أن ننظر إلى هذه الحرب على أنها حرب مدنية كنتيجة طبيعية وكسبب لإنهيار سياسى . على أى حال فأسباب الإنهيار السياسى . ظلت أموراً غير معروفة ولذا لا بد أن نضيف حضارة المايا إلى قائمة الحضارات القديمة التى ازدهرت لتضمحل .

وقد يبدو أن تداخل وارتباط مرحلتى الحضارة الماياوية يشير أساساً إلى حجم العمالة التى استخدمت فى تنفيذ الأعمال العامة أكثر من كونها مراحل أثرت فى حياة أغلبية السكان : فقد اقتربت حضارة المايا من قمة ازدهارها مع الفترة الكلاسيكية فى المنطقة الوسطى حيث شيدت الأهرامات كمراكز مدنية كما

بقيت المعابد وصالات اللامب ، وأن ما يسمى باضمحل هذه المنطقة يعنى فقط أنه لم تبنى مراكز جديدة انذاك هناك كما أن الراكز القديمة قد أهملت . وبعبارة أخرى فإن الايدى العاملة فى ميدان العمل العام قد انصرفت عنه عن طريق السلطة السياسية ، ومن ثم فازدهار وانهار حضارة المايا الكلاسيكية وحضارتها الشمالية إنما ارتبط بتغير قوة السلطة السياسية على نطاق كبير هذا هو أبسط لنتائج إلى جانب أمور أخرى قد تتصل بإجهاذ التربة أو ثورة الفلاحين أو فشل القيادة أو أى أسباب أخرى قد تؤثر فى السكان كمثل قد حدثت وليس لنا بها علم .

وقد كانت حياة الأسرة العادية فى يوكاتان فى خلال الوقت الأخير من حضارة المايا يشبه تلك الحياة التى وجدت منذ آلاف السنين . فظواهر الحياة المدنية الراقية فى حضارة المايا والتى جذبت الاهتمام مثل فن العمارة والسأريخ والكتابة وفن الرسم كانت من إنتاج متخصصين اعتمدوا فى حرفتهم على تواجد طبقة عليا من أفراد الحكومة البيروقراطية . وهكذا فىمكن لهذه الطبقة أن تعيش حياتها الخاصة فى مكان ما معتمدين فى ذلك على التاريخ السياسى للسكان . وبما هو جدير بالذكر أن وصف حياة الإنسان العادى الماياوى يدخل أساساً فى الأسس التى قامت عليها حضارة المايا .

فالاهتمام بالأساس للفلاح فى حضارة المايا انحصر فى حقل الحبوب إذ أن الذرة تمثل حوالى ٨٠ ٪ حالياً من غذاء المايا الحديث فى يوكاتان وربما كان نفس الوضع على الأقل موجود قبل وفود الاسبان حيث كان يوجد تنوعاً أقل من الاغذية الزراعية . والعمليات الزراعية كانت مشابهة لتلك الموجودة فى المناطق المدارية الاخرى والتى تتضمن قطع الاشجار من المنطقة ثم حرق أخشابها وإزالتها

بعد جفافها ثم الزراعة والحصد لمدة عامين أو ثلاثة لتترك الأرض بوراً بعد ذلك لفترة قد تطول أو تقصر ولكن لا تقل بأى حال من الأحوال عن عشرة سنوات فالأشجار قد تهذب أو تقطع على الفصل المطير بينما تحرق مع نهاية الفصل الجاف حيث يحدد يوم الحرق عن طريق القساوسة وذلك بعد إقامة شعائر هامة . ففي كل عام تنظف كل أسرة وتحرق حقل حبوب جديد حتى تستطيع أن تستمر فى حياتها مع الحرق الذى تم قبل ذلك منذ عامين أو ثلاثة . فتنبأ لدراسة الدكتور Morley أن المتوسط السنوى لعمل الأسرة بفقردها ٤٨ يوماً وهو متوسط يسمح بوجوده وقت فراغ كبير للحكام الوطنيين أو القساوسة أو الفزاة الأسبان فيما بعد .

وقد كان منزل المايا بسيطاً فى تركيبه فهو قائم على عمود ويتكون من حجرة واحدة وذلك على النقيض من المباني الضخمة التى كان على هؤلاء الفلاحين البسطاء ان يتعاونوا فى بنائها . ومنازل المايا كانت متناثرة على نطاق واسع وأنها كانت تتجمع فى أفضل الأحوال فى أكواخ صغيرة بمعنى أنه لم يوجد لديهم عملة حضرية بمعنى الكلمة كما كان هو الحال فى Teotihuacan وفى المواضع الأخرى لأمريكا الوسطى وربما كان السبب فى ذلك هو طبيعته النظام الزراعى وما ارتبط به من مشاكل ترك الأرض بوراً ومن ثم فما يسمى باسم مدن المايا فقد كانت عبارة عن مراكز مدنية فقط. تضم المعابد والأهرامات وصالات اللعب وربما أيضاً منازل بعض عليه القوم .

ولا يعرف إلا القليل عن الحياة المنزلية التى كانت تمارس فى الأكواخ الفارغة من الأثاث فقد كان الناس يجلسون على كرسي صغير وينامون على مصاطب منخفضة

ويطحنون الحبوب في طواحين حجرية تعرف باسم ميتات Metate والتي مازالت موجودة حتى الآن ، كما يطهون طعامهم في اوعية حجرية صغيرة فوق مواقد من الصلصال . وقد وصفت مصادر القرن السادس عشر عادات تناول طعام المايا كما يلي :-

الطعام الذى كانوا يتناولونه هو نفس الطعام الذى يأكلونه اليوم ويتكون من ذرة مسلوقة في المياه ومطحون وحينما ينقع يتحلل في المياه ليكون مشروباً يعرف باسم « pozole » وهذا هو ما يتناولة كشراب أو طعام في العادة . ومن عاداتهم ان يتناولوا قبل الغروب بساعة وجبه تسمى Tortillas وفيها يكون اطباقا معينه من الفلفل المجروش المذاب في قليل من الماء وعليه بعض الملح ذلك بالاضافه الى بعض فول الارض المغلى ذات اللون الاسود والذى يطلقون عليه اسم Bual بينما يعرفه الاسبان باسم Frijoles وهذا هو ميعاد الطعام الوحيد طول اليوم لاذ انهم يتناولون في الاوقات الاخرى المشروبات التى ذكرت سلفاً أما الملابس اليومية لعامة الشعب فقد كانت بسيطة حيث ارتدى الرجال بنطلون قطنى وفي بعض الاحيان قطعة كبيرة من التماس مربعة تربط حول الاكتاف مع ارتداء صنادل من الجلد ، بينما تلبس النساء ازييه قطنية بها فتحات بسيطة للرأس والاذرع ويترك الرجال شعرهم ليطول حيث يصفونه على شكل ضفائر كما تحرق خصلة الشعر في قمة الرأس لتصبح صلعاء أما شعر النساء فيختلف في نمطه كثيراً مع وجود فرق واضح بين تصفيفه لدى الفتيات والسيدات المتزوجات وتستخدم الوشم ودهان الجسد للترزين الشخصى . وملابس النبلاء والقساوسة اتخذت اساساً نفس النمط غير انها كانت أكثر فخامة وزخرفة وكما هو الحال عند الازتك وغيرهم فقد صنع روب الاحتفالات من ريش زاهى الالوان ذلك بالاضافه الى قلنسوة الاحتفالات التى صنعت لتمثل رأس الجاجور أو

الطيور أو الثعالب والتي كانت تمثل أجزاء هاماً في تقاليدهم وعاداتهم . وقد تضمنت ادوات الزينة ترينات متعددة الاذن والانف والشفاه .

وتشكيل الرأس كانت مسائله شائعة بين المايا على الأقل كان لها صفة العموم بين السكان كما يوضح ذلك الفن الماياوي فشكل الرأس المرغوب فيه كان يشكل عن طريق وضع رأس الاطفال لعدة أيام بين لوحين مغاطحين احدهما من الامام والاخرى من الخلف، صفة طبيعية أخرى كانت مرغوبة لدى المايا وهي تقارب العيون Cross-eyed حيث لجأ الاباء الى ربط كرات صغيرة من الصلصال في شعر الطفل وذلك من أجل أن تقرب المسافة بين العيون وتجعل الطفل يركز عليها كثيراً وحينما يبلغ الطفل من العمر اربعة أو خمسة اعوام يدخل مرحلة جديدة اتسمت بمزيد من التزين حيث تلتصق خرزة بيضاء في قمة رأس الطفل وفي حالة البنت كان يوضع سلسلة تدلى منها اصداف حمران حول وسطها وذلك رمزا لعنبريتها . وكان يطلب من الصبية والفتيات ان يحافظن على ارتداء هذه الاشياء حتى الانتهاء من احتفالات مرحلة البلوغ .

وقد ارتبط الحدث الاكبر في حياة الماياوي باحتفال البلوغ الذي يحضرة الصبية والفتيات سوياً ويقام فيه شعائر لإزالة رموز الطفولة بواسطة الكاهن وبمدها يقام احتفال وتوزيع الهدايا . وعقب هذا الاحتفال تصبح الفتيات مؤهلات للزواج في العادة بينما يلجأ الشباب للميش سوياً في اكواخ عامه للعزاب إلا ان يتزوجوا . وفي بعض الاحيان لا يستغرق الزواج فترة طويلة بعد احتفال البلوغ وذلك لان الاسر قد ارتبطت مع بعضها بشأن زواج ابنائهم منذ صغرهم ولا يعرف إلا قليلا عن قواعد الزواج لدى المايا ، وكل ما هو معروف ان الشخص لا يستطيع ان يتزوج احداً من عائلة أبيه ، وان اسرة الصبي تتحمل كل مصاريف

العرس كما انها تساهم بالهدايا إلى والد العروس كما ان العروسين قد يعيشا لفترة عدة سنوات إلى جوار الزوجة وذلك قبل ان يقيا منزلها الخاص . واسم العائلة Surnam® قد يعطى من الاب إلى الابن كما كانت تورث الارض ايضا من الاب إلى الابن .

أما المرض فقد اعتقد اصحاب حضارة المايا انه من فعل الارواح نتيجة لبعض الاعمال السيئة التي قام بها الشخص المريض وفي مثل هذه الحالة يحاول الشامانون علاج المرضى عن طريق الصلوات والشعائر ووصف بعض الاعشاب . والموت شيء مخيف للمايا ، ويقام المأتم والاحزان بواسطة أقارب المتوفى على شكل مهيب وتستمر عدة أيام . وعادات الدفن بين عامة الناس كانت بسيطة بحيث تلف الجثة في القماش ويملاء الفم بالذرة والحرز القيم وبعد ذلك يوارى تحت المنزل . أما ابرز الحكماء فيدفنوا في نصب حجرية تحت الاهرامات وحيث توضع معهم كميات كبيرة من الاشياء القيمة.

أما عن المعتقدات العامة لدى المايا فقد تضمنت عددا كبيرا من المعتقدات في الاله الطبيعيه على وجه الخصوص وذلك إذا ما كان اعتمادنا في ذلك على المايا الحديثون - التي لها تأثير على المطر والخصوبه فخالق الكون هو الاله هوناب هو Hunab ku صنع الانسان وأخراجه من الحب . ويبدو ان هذا الاله ظل بعيدا عن امور الدنيا وأن ابنه ايتزامنا Itzamna قد تولى هذا العمل مع الاله زوس Zeus . وقد ذكر احد الباحثين ان المايا اعتقدوا في عدد من الفيزيانات التي دمرت لعالم والتي تشبه نظائرها التي وجدت في أديان العالم الأخرى . ويعتقد هنود المايا الذين يعيشون الان في شال يوكتان ان هناك ثلاثة عوالم سابقة لعالمهم وإن العالم الحالي سوف يفرقه الفيضان يوما ما .

وتتضمن ديانة المايا ثنائيه الخير والشر فألهة الخير تجلب المطر وتزيد من خصوبة الارض وتعطى الحظ السعيد أما الهة الشر فتسبب الموت والمرض والجاعة والجفاف وهلم جدا وهكذا تعتمد كل المظاهر الطبيعية وايضا روح الانسان على حصيلة الصراع بين ثنائيه الخير والشر . وقد ذكر بعض الباحثين ان المايا كان لديهم فكرة وجود الجنة والنار ولكن غير مؤكد ان هذه الفكرة مرتبطة بوصول المسيحية لهذه الحضارة .

ويقطن بعض الالهة الرئيسي في سموات منفصلة تتابع فوق بعضها في طبقات حيث يوجد ١٣ طبقة تكون العالم العلوى والذى تمثل اسفل طبقات الارض ذاتها كما ان هناك تسع طبقات تكون العالم السفلى الذى تمثل أدنى طبقاته ميتنال Metnal التى يحكمها الاله اهبوش Ahpuuch الهة الموت وقد عبد هنود المايا أى الهة من هذه الالهة وبورك عن طريق اقامة الاعياد والشعائر والمحرمات taboos وغيرها من الطرق العامة المتبعة في هذا الصدد والنسب من بينها تشریط الاذان والشفة والتخدود واللسان وذلك من أجل اسقاط الدماء فوق صورة الالهة . كذلك فإن حرق البخور الذى جلب من اشجار الكوبال Copal كان شعارا يمارس في حضارة المايا كما يمارس الان بين المايا الحاليين أما الصوم وتقديم القرابين والاضحية بالحيوان وحتى بالانسان فقد كان امرا معترفا به أيضا في حضارة المايا وان كان نوعيه التضحية تتوقف على الموقف الدراى الذى من أجله تقدم .

والتضحيات الانسانية كما تبينها صور هنود المايا - كانت مشابهة لتلك الموجودة لدى الازتك كما كانت من الطقوس العامة التى تؤدى بواسطة الكهنة فكانت التضحية وهى غالبا ماتكون من امرى الحروب تجرد من ملابسها وتدهن

باللون الازرق ثم يوضع فوق الرأس رداما خاصا ويتقدم اربعة من مساعدي الكاهن ويمسك كل منهم بأحد اطرافه ليضخوه فوق المذبح ثم يقوم الكاهن بشق صدره ويستخرج قلبه ليقوم بعد ذلك برش الدم على تمثال الالهة الذي تقدم لاجله الضحية ثم يقوم بإزالة جلد الضحية ليتدثر به بعد ذلك ويؤدي رقصة معينة تتفق مع تقاليد القبيلة . واذا ما كانت الضحية لمحارب جسور فإن الكائن يقدم جسم الضحية لافراد قبيلته كطعام حتى يمكنهم اكتساب الصفات الروحية القيمة التي تميزت بها الضحية ومن مظاهر التضحيات ايضا وهو شبيه بما هو موجود عند هنود الازتك هي ان يرتدى الشخص المضحى به الملابس اللازمة لذلك ليوثق بعد ذلك في جذع شجرة ليكون هدفا للرماة .

ومن أهم مظاهر التضحيات ما كان يتم عند بشر الضحية الشهير لدى هنود اتشيهين أتزا Chiehentza وهو ما يعرفه الزوار في الوقت الحاضر . ويقوم الهنود بوثق الضحية التي هي عبارة عن امرأة أو طفل أو رجل تم يلقوا بها في البئر العميق وبصحبته عدد كبير من أدوات الزينة والأواني الفخارية والبخور والاشياء القيمة . وقد قام متحف هارفارد بتجفيف البئر في الفترة ما بين عامي ١٩٠٥ - ١٩٠٨ حيث استعادوا الاشياء الذهبية والنحاسية التي القيت من قبل واحضروها من كاليفورنيا جنوبا ومدينة مكسيكو شمالا .

ولعل ديانة عامة الناس التي يمارسونها في حياتهم اليومية تتمتع أساسا بنحو الاله شاك Chac وهو اله المطر وإلى ممارسة الطقوس الخاصة بهنود المايا وتضحياتهم في صورتها البسيطة الوحيدة ، غير أن يجتمع هنود المايا كان مجتمعا دينيا ، وقد حافظ الحكام الكهنة المتخصصون على نظريات معقدة واهله وطقوس بالاضافة إلى ديانة الشعب .

ومن الأمور ذات الأهمية الخاصة تلك الوحدة غير العادية بين الالهة التي تمثل دررة زمنية وظاهرة فلسفية وترتبط بهذا استخدام الكتابة الهيروغرافية وهي أمور تمثل تخصص رجال الدين والحكومة .

والتقويم والذي كان شديد التعقيد كان في نفس الوقت أكثر دقة من تقويمنا في احتساب العام الشمسي فبالإضافة إلى مظاهر المد الآلى فإن فلسفة الزمن وارتباطها بالآلهة والطقوس تبين لنا إدراكهم للزمن كموضوع هام في حياتهم العقلية ومن أهم مظاهر بقايا هنود المايا تلك العصب الميجاليثية والتي تعرف باسم Stelae عليها من نصوص هيروغرافية . وتبين هذه النقوش تاريخ النصب بالإضافة إلى عديد من الأمور ذات قيمة في التقويم مثل البيانات الخاصة بشكل القمر ورضع كوكب الزهرة وهلم جرا ، وقد أمكن العثور على ما يزيد على ألف من هذه النصب الهيروغرافية حتى الآن .

وقد قام هنود المايا بالربط بين أقسام الزمن والالهة ذات الاشكال البشرية وذلك بطريقة تشبه إلى حد ما الفكرة التي تكمن وراء أسماء أيام الأسبوع لدينا مثل يوم ودن Woden الذي يعرف بالانجليزية Wednesday أو يوم Thor بالانجليزية Thursday وهكذا . . . غير أن تقسيمهم للزمن وليس تقسيمهم للأيام فقط كانت في ضوء هذا المفهوم . وإذا حاولنا تصور هذا فيمكن القول أنهم كانوا ينظرون إلى الجزء من الزمن على أنه عبء يحمله أحد الالهة حتى الموت عندما ينتقل أمر هذا العبء إلى آلهة آخر والواضح أن تفكير الكهنة المعقد بخصر هذا الموضوع قد انتقل إلى عامة الشعب ذلك أن الناس في بعض قرى هنود المايا حتى اليوم ينظرون إلى الأيام على أنها أمور اهنية ويشيرون ليها وكأنها بشر فيقولون دهر ، جميع هذه الالهة لها صفات معينة

ومظاهر تؤثر في اقدار الناس أثناء دورة زمنية بينها وهذه الفكرة كانت تشبه أمور التنجيم في العالم القديم بحوض البحر المتوسط.

إن فكرة هنود المايا عن الزمن والمكان لم تكن فكرة تطويرية أو حتى تاريخية في المقام الأول فالزمن يبدو أنه يرجع إلى الوراء إلى الملائمة كما أنه يمتد في المستقبل إلى الملائمة أيضاً غير أن الدورات الزمنية تتكرر - فقد كانت الأزمنة القديمة متنوعة وتختلف حسب الالهة المرتبطة بها وبعبارة أخرى فإنه عندما يكون الهة فترة معينة في وضع مماثل لآلة فترة أخرى فإن الربط بين الخير والشر يكون بنفس طريقة ارتباط الالهة وبهذا يكن التنبؤ بأمور المستقبل وقد عرفت ودورة الزمن التي تهم المنتمين باسم كانون *Katon* وهي فترة تصل إلى ٢٦٠ عاماً وهي الفترة التي يمكن فيها الهالير مواله العدد على مدى دورة دائرية ١٣ يوماً من تحمل الاعباء معاً وهذا فإن الاحداث والملاحظات وكذلك أسماء الالهة كانت تشابه من كانون إلى آخر. وفي فترة كل كانون كانوا يصورون كل مرحلة زمنية تطول مدتها عن اليوم الواحد على أنها مجموعة من الالهة المختلفة تسمى معاً وكان الأثر على أي يوم بالذات هي نتيجة التأثيرات المختلفة بعدد الالهة وأن الحسابات اللازمة لمعرفة الالهة التي تعمل معاً في وقت محدد كانت غاية في التعقيد لأن الظواهر الملكية التي تستخدمها التقويم حساب الزمن لم يكن بينها ارتباط كما أنها لا تأتي في صورة أرقام صحيحة فالיום وحدة زمنية قائمة بذاتها ولكن السنة الشمسية تتكرر من ٢٤٢٢ و ٣٦٥ يوماً والسنة النجمية *Sidereal* يصل عدد أيامها إلى ٣٦٥٢ يوماً - أما دورة كوكب الزهرة تتم في ٥٨٣٩٢ يوماً والشهر القمري عبارة عن حوالي ٢٩.٥٣ يوماً وكان لابد من إيجاد صلة بين هذه الابداعات جميعاً وبين النقطة بين الدينى الذى يعتبر العام مكوناً من

كما كان ضروريا أن تكون هذه الصلة دقيقة عبر فترات زمنية كبيرة جدا ،
إن ماحقته هنود المايا فى هذا الصدد يعتبر ظاهرة من أهم الظواهر التى تميزهم
وتقويم هنود الازتك وما يشبهها فى أمريكا الوسطى كانت تشبه تقويم هنود المايا
فى نواحى كثيرة غير أنها لم تشتمل على مشكلة احتواء السنة على ٥٢ دورة
كما أنها لم تصحح الفروق الدقيقة فى السنوات الشمسية وسنة الزهرة ولكن
احتساب هنود المايا التقاويم للخطأ الكسرى فى تقويمهم السنوى لم يتعدى يوما
واحدا فى فترة طولها ستة الاف عام ، ولكن كما هو الحال فى جميع المدينيات
البداية فى العالم كانت الرياضيات والملاحظات العملية التى أدت إلى هذه النتائج
تخدم أغراض دينية وليست علمية وكانت تلك أمور تنجمية وليست فلكية .

وكان لهنود المايا كما كان لهنود الازتك تقويمان يستخدمان فى الحياة اليومية
أحدهما ويدعى الهاب Haab وهو يشبه إلى حد كبير تقويمنا الذى يعتبر العام
٢٦٥ يوما ، وكان هذا التقويم يتكون من ١٨ شهرا كل منها ٢٠ يوما (٣٦٠ يوما)
بالإضافة إلى ٥ أيام كانت تعتبر أيام كانت تعتبر أيام نحس يجب أن تتوقف فيها
جميع الأنشطة ولم يضيفوا يوما للسنة الكبيسة غير أن اختلاف السنة عن السنة
الشمسية كان يحسب بعناية فائقة حتى يمكن أن يكون التقويم صحيحا .

أما التقويم الثانى المعروف باسم tzo kin (عد الأيام) فهو عبارة عن ٢٦٠
يوما (أى عام ، وهو يتعلق بنمط الحياة الدينية . وكان هناك ٢٠ اسما للأيام
(وكذلك للالهة) مرتبة بحيث تتفق مع ١٣ رقم ثم يبدأ اليوم الرابع عشر
للأيام برقم ١ من جديد . واحتساب هذه الدورات التى تتكون من عشرين رقما
وعشرين اسما كانت تستغرق ٢٦٠ يوما قبل أن يعود الأمر مرة أخرى إلى رقم
واحد وإلى الاسم الأول لليوم كما قاموا بإعداد الحسابات للتقويمين بحيث يبدو

اليوم الأول من تقويم هاب الذى يعتبر العام مكونا من ٣٥٦ يوما واليوم الأول من تقويم توز لكن الذى يعتبر العام ٢٦٠ يوه بحيث يمين هوعداليومان كل ٥٢ عاما وعند حدوث هذا كانوا يقيمون احتفالا عظيما يبدأ بالخمس أيام المنحوسة الننى تأتى فى نهاية تقويم هاب ونحن لانعرف شيئا عن الطقوس التى كانوا يؤدوها فى ذلك الوقت ولكن يحق لنا أن نفترض أنها مناسبة من أهم المناسبات الننى كان يهتم بها هنود المايا، ونحن نعرف أن هنود الإزتك كانوا يعتقدون أن نهاية العالم قد يحىء وبعدها مع نهاية فترة ٥٢ عاما .

وفى الليلة الختامية من الايام الخمسة المحرمة فى نهاية هذه الدورة يتعد السكان عن المدينة لينتظروا ماسوف يأتى فجر اليوم النالى وبعد أن تظهر الشمس يفرح الناس ويهللون ويتهيجون ويقوم الكهنة باشعال النار المقدسة التى يشعلون منها زيرانا صغيرة فى منازلهم وهكذا تبدأ دورة جديدة مدتها ٥٢ عاما أخرى ويبدو أن هنود المايا كان لديهم اعتقاد مشابه .

ولقد كان علماء الرياضة من هنود المايا على صلة وثيقة بالملاحظات الفلكية وليس لدينا أى سجلات من هنود المايا لهؤلاء الناس . كانت الوحدات الرياضية المستخدمة هى الأحاد والخمسات والعشرنيات، وكانوا يرمزون اليها بالنقط للأحاد وبالشرط للخمسات وبالمواضع للعشرينات ومضاعفاتها وكان العد الموضوعى وعلامة الصفر التى هى بالضرورة ظاهرة من ظواهر العد الموضوعى تعتبر أعظم عمل عقلى فى العالم الجديد ، ولم يحدث هذا فى مكان آخر من العالم إلا فى الهند حيث اخترع الصفر الذى جاء إلى أوروبا عن طريق العرب .

ويعتبر هذا النصر العلمى كغيره من الاختراعات الهامة فى العالم يتكون من مبدأ غاية فى البساطة . أن جميع الانظمة الحسائية فى العالم مثل نظام العد الرومانى

المؤلف قد أفردت رهوزا محددة لكل وحدة أعلى بحيث أصبحت الاعداد الكبيرة ذات طول كبير وكثيرة التعقيد في الكتابة ومن الصعب تداولها أن فكرة المكان وفكرة الصفركاتنا ضرورية حتى في تبسيط عمليات الجمع والطرح الحسابية.

لقد كانت قبائل الهنود في أمريكا الوسطى هي القبائل الوحيدة في العالم الجديد التي نجحت في اختراع الكتابة أن الكتابة الهيروغليفية شأنها في ذلك شأن الرياضيات والفلك كان يستخدمها الكهنة في النصوص والأمور الدينية أكثر من استخدامها لها في الأمور الدنيوية ، وكانت الكتب كتب مقدسة كما كان الحال في عالم البحر المتوسط القديم ولدينا اليوم حوالي ٤٠٠ مخطوطا وطينيا جاءتنا من المكسيك الوسطى .

أما كتب هنود المايا فلم يصلنا غير ثلاثة كتب وذلك بسبب رطوبة المناخ في بيئتهم . لقد كان هنود المايا ينظرون إلى كتبهم المقدسة نظرة جادة وذلك ما يقوله أحد الباحثين ، لقد استخدم هؤلاء الناس حروفا خاصة في تدوين كتبهم وشئونهم القديمة وعلومهم ، كما استعانوا بالرسومات التوضيحية وبالرموز الخاصة لفهم أمورهم وإتاحة الفرصة لغيرهم لتعلمها وفهمها . ولقد وجدنا عددا كبيرا من الكتب بهذه الحروف ، ونظرا لانهم لم يتحوى على أمر من أمور الحرفات والاكاذيب وأعمال الشيطان فقد أحرقناها جميعا وهو أمر أسفوا له إلى درجة كبيرة وسبب لهم حزنا لا حد له .

ولم تكن الكتابة عند هنود المايا ذات حروف أبجدية ولكنها كانت تصويرية أي أن الأشكال تمثل أفكارا وأشياء وليس أصواتا . ويعتقد العلماء أن كتابة هنود المايا هي كتابة صوتية للمقاطع ولكن هذا أمرا لا يمكن التأكد من صحته قبل دراسة النصوص المكتوبة لهنود المايا دراسة مستفيضة .

أما الآن فإننا نستطيع أن نقرأ تلك ما كتبه هنود المايا وهي خاصة بمعلومات تتصل بالتقاويم ، وقد أمدنا القس دى لاند Landa بفتحاح لكتابة هنود المايا وذلك بأن رسم العلامات الخاصة بتقاويم هنود المايا ومعهما تدوين صوتي لها . ويستمر عمل حل هذه الشفرة بطريقة بطيئة للغاية لعدم وجود مفتاح للكتابة التصويرية فالامر يختلف عما نعمله عند محاولة حل شفرة أو التغلب على معضلة ذلك أن التعرف على معنى صورة واحدة لا يساعد لايساعد كثيرا على اكتشاف معنى صورة أخرى لأنه لاعلاقة اطلاقا بين العناصر المختلفة في الكلمة والواحدة كما هو الحال في الحروف الأبجدية التي تدخل في تكوين الكلمات .

أما عن أغاني وشعر وأمثال هنود المايا فقد كانت جميعها شفوية إذ أن من صفاتهم مقدرتهم الادبية الراقية وميلهم للمجاجة الصوتية مثل تلك التي وجدت في العهد القديم غير أنه من الواضح أن الكتابة الهيروغليفية لم تستخدم في تسجيل الأدب كما أنهم لم تستعمل أيضاً في تسجيل مآثر الحكام السابقين أو تاريخ مدنهم . ويبدو أن هنود المايا كان لهم ملامح مميزة في العالم الجديد وذلك من ناحية انجازاتهم الفنية فقد شاركوا في فن الرسم وفنون العمارة بصورة مشابهة لتسيره من أصحاب حضارة امريكا الوسطى ولكن قد اتفق الباحثون في حضارة المايا على أن لهم ذوقاً رفيعاً في النحت والرسم كما أن ابنتهم الحجرية الفخمة كانت أكبر من أي مثل لها في أي مكان آخر .

واحد أهم ما يميز الفن المماي لهنود المايا هو استخدام القنطرة أو العقد البارزة . حقيقة أن السكان الآخرين في أمريكا الوسطى قد شيدوا أبنية حجرية ذات أسقف أفقية صنعت من السعف ومدخل على شكل مربع إلا أن مباني المايا أعطى انطباعاتاً مختلفاً وذلك بسبب وجود أمقذ أو القنطرة البارزة . وهذه القنطرة

ليست أقواس بمعنى الكلمة تلتقي سويا في قمة المبنى ولكن كانت أقواس صناعية حيث ينحدر الجانب نحو بمعنى ليلتقيا في قمة حقيقية . وربما اتصل بمشاكل ضم هذا النوع من الأقواس استخدام هنود المايا للجير الاسمتي كنوع من المونة أو الملاط وكذلك استخدامه ككحل كبيرة . فالأهرامات والمعابد في الأماكن الأخرى من أمريكا الوسطى كما هو الحال عند هنود Teotihuacan كانت أكبر من تلك الموجودة عند المايا إلا أن عظمة مبانى المايا قد لفت الانتباه أكثر .

والفن التصويرى للمايا كان يمارس بأسلوب ثابت غير أنه كان مليء بالحياة والحياة وكان يختلف عن ذلك الذين وجد بين الأزتاك أما عن الرسم فكان رمزى أكثر منه تمثيلى ومن ثم فعلى الرغم من مهارة الفن عند هنود المايا إلا أن أعمالهم لا تحمل الفن بمعنى الكلمة وذلك لأنهم لم يكن غرضهم بطبيعة الحال الاتجاهات الحديثة لوظيفة الفن .

والرسم عند المايا كان فنا مقدسا وكان تزيين أكثر منه تعليمى ، وربما أهم من ذلك كله انه لم يكن قاصر على فئة بعينها أو أنه عاما بين الناس إنما كان يمارس من أجل الآلهة وربما لم يرى هذا الفن أحدا فيما عدا الفنان ذاته أو كبر القساوسة الذى يسمح لهم بدخول المعابد .

ومن الأشياء البارزة في حياة هنود المايا والتي اجمع عليها كثير من دارسى هذه الحضارة هو الجمع في فنهم بين الخطوط العادية والحديثة كما يتضح من دراسة معظم آثارهم .

ويبدو من دراسة آثار يوكنان ومن الملاحظات الأولى التى تركها الأسبان عن هنود المايا ان امبراطورية المايا قد انقرضت عقدها قبل وفود الأسبان . ففي

عام ١٥٢٧ حينما وضعت القوات الاسبانية تحت قيادة فرانميسكو دى مونتيجو de montejo اقدامها فى يوكنان صادف هذا القوات ظروفًا مختلفة عن تلك التى قابلت كورتز Cortez حينما وصل إلى امبراطورية الازتك . فى الحالة الأولى صاحب الغزو الحربى غزو سيامى إذ ان قدوم الاسبان كان الشرارة التى أشعلت الثورة فى عديد من الممالك المحلية والتى كانت تحت سيطرة الازتك . فقد تمكن الاسبان من بسط نفوذهم عليهم ووقعت مساحات كبيرة عامرة بالسكان تحت حوزتهم فى فترة قصيرة ومن ثم لم تكن هناك أى فرص سياسية فى يوكنان .

فالحملة الأولى التى ذهبت إلى يوكنان صادفت مقاومة محلية تغلبت عليها ولكن لم تتمكن أبدا من ضم أى مجموعات هندية لصداقتها أو تعقد معها تحالف . وأكثر من ذلك فان هنود يوكنان كانوا متناثرين فى وحدات محلية بحيث أى تأثير على أحد المجموعات كان لا يعنى تأثيراً على الأخرى . ولهذا ما ان ترك الاسبان أى مجموعة فهزومة كان عليهم أن يعيدوا الكرة على مجموعة أخرى وهكذا . حتى عام ١٥٤٥ أى بعد ١٥ عاما من المحاولة الأولى للغزو تمكن الاسبان من السيطرة حقيقة على أراضي يوكنان من قاعدة مريدا merida التى تمثل الآن عاصمة الدولة ونظرا لأنه كان من الصعب السيطرة على كل هنود يوكنان لذا فقد قسموا بين الاسبان فيما يسمى باسم Encomiendas حيث كانوا يؤدون الخدمات إلى هؤلاء لقادة فى نظير حمايتهم وتعلمهم الكاثوليكية والمواطنة .

ولم يتمكن الاسبان مطلقا من استغلال الامكانيات الزراعية فى يوكنان تحت نظامهم الذى وصفوه الاقطاعيات « Encomiendas » فقد كان الأساس الاقتصادى للمحلات الاسبانية الأولى يعتمد على تربية الماشية ولكن لم يتمخص

عن ذلك أى زيادة كبيرة فى السكان الاسبان أو أى رخاء حقيقى ، إذ أن الهنود المتناثرين كان من الصعب حكمهم وحتى فى عام ١٨٤٧ قامت ثورة ضد حكم الرجل الأبيض والتي عرفت باسم حرب الطبقات War of the casts والتي نجحت تقريبا وحتى بداية القرن الحالى عندما بدأ نظام المزارع فى يوكاتان او على الأقل فى مريدا Merida والاقليم المحيط بها دخلت هذا الجزء من العالم فى نطاق التجارة العالمية الحديثة . حيث يزرع فى هذه المزارع انواعا من نبات yucca التى تعطى خيوطا خشنة تستخدم فى عمل الاحبال والدوبار . هذا وتعد يوكاتان الآن اكبر مصدر لهذه السلعة .

واعداد هنود المايا الذين لم يفروا من مناطق تواجدهم كان تأثرهم بطيئا بالحضارة الاسبانية غير ان ادخال نظام المزارع فى اراضيهم قد دفع بصورة عامة الى تزايد السكان وتقديمهم الاقتصادى وكان نتيجة مباشرة لذلك تحول معظم محلات هنود المايا الريفية صوب الحضرية .

الانكا في بيرو

The inca of Peru

الانكا

تضم جبال الانديز الوعرة في جنوب غرب أمريكا الجنوبية أكبر مجموعة من الهنود الأمريكيين في العالم الجديد . فمؤظم سكان اكوادور وبيرو وبوليفيا ينحدرون لدرجة كبيرة من أصحاب الحضارات الراقية التي وجدت في تلك المناطق لعدة قرون قبل وفود الأوربيين اليها . وقد كان خلاصة الحضارات البدائية مملكة الانكا التي كانت دولة غنية وفي نفس الوقت على درجة من التعمد . فقد كانت دولة غنية بالمعادن التي سأل لها ألعاب الغازين الأول والتي مهدت لاحتلال أرضها كذلك فقد كانت ثرية بالرجال الذين ثاروا في وجه الحكم الاجنبي وكانوا على درجة كبيرة من الماهرة في الزراعة والحرف اليدوية . وقد أصبحت الثروة النامية هي الاساسي لتحقيق لا كبر مستعمرات الامبراطورية الاسبانية . وقد وجد عديد من الباحثين في امبراطورية الانكا مثالا للاقتصاد المخطط لصالح الدولة أو للاقتصاد الاشتراكي أو الشيوعي أو أى مشروع مثالى يوضع تحت التنفيذ . ففي اطار هذه الدولة لم يوجد عاطل أو غير مستفيد كالم يوجد مسجونين وقليل من الجرائم وباختصار لا يوجد إلا قليل من الأمراض النني واكب ظهورها في أوروبا الاقطاع في المدن المريقة والدول البيروقراطية الحديثة . ولهذا يبدو العديد من الأوربيين أن حياة المواطنين في امبراطورية الانكا كانت منظمة ومن ثم من المدهش أن يوجد تخطيط ناجح بين الهنود الأمريكيين .

وقد أصبحت امبراطورية الانكا مع مرور الزمن من أكثر الحضارات البدائية التي جذبت انظار الباحثين لدرجة انها أصبحت تعد مثالا يضرب به حين المقارنة بين نظام سياسى قديم . وحضارة الانكا لم تمثل على مقياس كبير وذلك أولا لانه نظر اليها دائما في إطار أفكار مصطلحات السياسة والاقتصاد الأوربية

وثانياً بسبب التخطيط الرياضى الذى وصفوه والذى يتضمن على أى شىء كوحدة كسرية . على أى حال فقد اكتسب حضارة الانكا بجميع مظاهرها سمعة جيدة عند القرون .

وتتسم البيئة الجغرافية التى قامت بها حضارة الانكا بأنها بيئة غير عادية تتضمن مظاهر طبيعية مختلفة . فالمنطقة الساحلية الضيقة التى تمتد من جنوب اكوادور إلى شمال شيلي منطقة صحراوية بمعنى الكلمة ، كما ان تيار هبوات الذى يتجه من جنوب إلى الشمال على طول الساحل يجعل المحيط ابرد من اليابس ومن ثم تسقط الامطار على البحر ، أضف إلى ذلك فلا ينمو فى تلك المساحات الرملية الكبيرة أى نباتات كما لا تقدم أى حياة حيوانية ، غير أن الأرض تقطع فى كل ٢٥ ميلا بانهار تشق طريقها أسفل الجبال فى خنادق وادوية قادمة من حصول الثلج . وهذه الودية النهرية المنعزلة خصبة جدا عندما تروى لذا فقد كانت موانع لبعض محلات الحضارة الأولى فى أمريكا الجنوبية .

أما سلاسل كورديلرا الانديز التى تنوج السلسلة الجبلية الساحلية والتى تعترض بعد جبال الهيمالايا أعلى نطاق جبلى فى العالم . توجد أسفل قمم هذه الجبال حقول الثلج المتراصة التى تغطى كل أسطح المناطق المرتفعة والمنحدرات الهائلة حيث تعتبر معلم طبيعى بارز فى جبال الانديز . وتعرف المنطقة باسم هضبة يونا Pana ويتراوح ارتفاعها ما بين ١٠ ألف و ١٥ ألف قدم فوق سطح البحر ومن ثم فى مرتفعة وفى نفس الوقت قريبة من المنطقة الاستوائية ولذا تختلف درجة الحرارة كثيراً فى أثناء النهار عن الليل كما تختلف من فصل إلى آخر ، فالبرد طوال اليوم قد يؤدي إلى برودة شديدة أثناء الليل ولهذا ليس من المستغرب أن يكون الهنود الأمريكين من عباد الشمس . وقد يحدد الارتفاع النشاط البشرى .

فدوار الجبال المعروف باسم سوروش Soroche أمر شائع بين كل زوار المناطق المرتفعة السفلى كما أن السكان الذين يشكون من ضيق النفس أو ضعف القلب لا يمكنهم العيش هنا . والأمطار قليلة ومحصورة في الفترة الممتدة من أكتوبر إلى أبريل ولذا فالمحاصيل محدودة اللهم إلا إذا اعتمدوا على الري . كذلك يحدد الارتفاع توزيع المزارع ونوع المحصول الذي يزرع . فالخند الشبالي لزراعة البطاطس وهي أفضل المحاصيل التي تلائم المناطق المرتفعة هو حوالي ١٤ ألف قدم في الانديز الوسطى بينما تصل إلى ١١ ألف قدما بالنسبة لمحصول الذرة . وأعلى النطاق الزراعي يوجد فوق الهيمّة مراعى متناثرة تقيم بصعوبة أود حيوان اللاما والابكا .

ظاهرة طبيعية أخرى بارزة في جبال الانديز وترتبط أيضا بالارتفاعات الشاهقة وهي وجود الخوانق العميقة التي تشق طريقها في الأطراف القريبة للهبضة المرتفعة حيث يصل عمق بعضها إلى ضعف عمق خائق اريزونا الكبير . والأنهار سريعة الجريان ولا يمكن تتبع أعاليها أو أدانيها كما أن جوانب الخائق صعبة لدرجة تحول دون معرفة عدد المجموعات البشرية التي تعيش في بطون هذه الأنهار الصغيرة أو على جوانبها والتي تعتبر من أكثر الجماعات البشرية عزله في العالم ، وهذا الجانب من الجبال هو أكثر أجزائها جفافا ولكن أكثرها استقرارا عند استخدام الري وعمل المدرجات .

أما الجانب الشرقي من الانديز فهو مختلف تماما . فالرياح المحملة بالرطوبة العاليه والقادمة عبر المحيط الأطلنطي لرى حوض الامزون ترتفع إلى طبقات الجو العليا الباردة بواسطة تيارات الجبال حيث يتكثف البخار ويبقى فوق المنحدرات الشرقية ليكون مصدرا دائما للسيول المفاجئة . ويغطي هذه الأراضي

المرتفعة غطاء غابي كثيف مقطع بواسطة روافد مائية تنجمع في شكل منابع مائية تشبه روافد نهر الامزون . وقد تمكنت امبراطوريات الاراضى المرتفعة من أن تتوغل عبر هذه الاراضى الصعبة ولكن لم تستطيع أبدا أن تقهر قبائل الغابة . ويبدو أن مثل هذه البيئة المتضمنة أراضى مرتفعة ومنحدر غربى منخفض وصحراء ساحلية عبارة عن عقبة حالية في سبيل نمو الحضارة . فنقص الأنهار الصالحة للملاحة وفقد كل من الساحل والاراضى المرتفعة في الحياة النباتية والحيوانية وصعوبة النقل لم تقدم إلا القليل بالتأكييد للصائدين وجامعى الطعام . غير انه بفضل المعلومات الزراعية ومعرفة الدورة الزراعية وفوق كل هذا الرى يبدو ان هذه المناطق كانت من أغنى مناطق الاستقرار . ففي بيرو يوجد عديد من الامكانيات للزراع . فنقص مياه الأمطار حافظ على الثروة الطبيعية للتربة والممثلة في العناصر المعدنية والتي ازيلت من المناطق التي تتعرض لأمطار غزيرة . كما أن الامتداد الكبير للعروض الأرضية سمح بإيجاد مناطق ايكولوجية مختلفة وواسعة ولا تبعد بعضها عن بعض إلا بمسافات قصيرة وماترتب على ذلك من إيجاد فرصة لتبادل المنتجات بين هذه الأقاليم الأمر الذى أدى إلى التخصص وإيجاد تنوعات أكبر من الأطعمة . ذلك بالإضافة إلى أن منتجات المحيط وملايين من المخلفات التي تساعد على خصوبة التربة وتضع أساسا على الأقل لإنتاج كبير من الطعام ولا استقرار مكثف .

ويوجد من الناحية التكنولوجية امران مكانا من الاستغلال المثمر لهذه الامكانيات . فالادوات وطرق الاستغلال لا تقل أهمية عن تنظيم السكان لاستخدام هذه الادوات والقيادة اللازمة لبناء مشروعات الرى من حفر قنوات وتمهيد للأرض أو لتبادل المنتجات أو للدفاع عن الأقاليم ضد الغزاه . هذا التنظيم السام

في الدولة يمكن النظر إليها على أنها وجه تكنولوجي واقتصادي واجتماعي وسياسي
إلى جانب كونها بناء ديني .

أما السؤال الآن فكيف أصبحت امبراطورية الانكا قصة مفيدة وذلك على
سواء الاحتمال الأثرية الكثيرة التي كشفت في بيرو ولا سيما في الأودية الساحلية التي
من المحتمل أنها كانت موطناً للمراحل الأولى لحضارة الانكا وذلك قبل أن يكتمل
تقدمها . فعلى النقيض من الأدلة المستمدة من مناطق حضارة الانكا والمايا في
المكسيك وجواتيمالا حيث لم يكتشف مراحل نمو أولى لها فقد وجد عديد من
المواقع الساحلية في بيرو تنتمي لفترة ما قبل الزراعة هناك ومواقع أخرى لفترة
الزراعة نفسها ونسبها ونسبها ثم أخيراً مواقع للمراحل المختلفة للنمو والتي أدت في
النهاية لظهور المدن الكبرى في العهد المتأخر للامبراطورية القليلة وقد ارتبطت
بداية الزراعة في ساحل بيرو قبل بدايه المسيحية بوقت قصير . وهذه الفترة التي
يطلق عليها الاركولوجيون فترة التكوين Formative Period كانت هي
الفترة التي وضعت فيها الاسس التكنولوجية لحضارة الانديز والتي انتشرت فيها
على طول الساحل . فقد ظهر نمط مميز في المباني وأعمال الفن والزراعة والنسيج
والذي سرعان ما تبلور وانتشر إلى المناطق المرتفعة . ويعرف هذا النمط باسم
شافين Chavin . وجاء في أعقاب فترة التكوين فترة أخرى حدث فيها
تطور أقبيمي وتخصص محلي واختلافاً ربما كان موازياً أو نتيجة لظهور مقاطعات
سياسية صغيرة . وقد ظهر مثل هذا الاتجاه في مناطق أخرى ولكن الانماط
المميزة هنا توصف بأن مجموعات منفصلة لغوية ethnic groups قد ارتبطت
بالتطورات الإقليمية المختلفة .

فعلى طول الساحل والمناطق المرتفعة في جنوب بيرو بدأت حضارة تعرف

الآن باسم حضارة ناركا Narca تحمل محل حضارة شافين . وفخار ناركا كان يميزا بصقله اللامع وتزيينه بالطلاء . فقد إستخدم في تكوين قدرة الواحدة في بعض الأحيان حوالي ١١ لونا مختلفا . وقد تطور فن النساجة في هذه الحضارة أيضا واستخدم كل من صوف الالبكا واللاما إلى جانب خيوط القطن وظهر منه النطير . أما التعدين فلم يكن له نصيبا إذ أن الذهب كان هو المعدن الوحيد المعروف وكان طرق تشكيله تضمن ببساطة الطرق . (شكل ١٨)

أما المظهر الحضارى في شمال بيرو حيث وجدت حضارة موشيك Mochica فكانت أكثر وضوحا ، فالأهرامات الكبرى والمعابد والمقابر التى احتوت على ما ينبأ عن تاريخ ملوكها وبلاطهم ، والرى والطرق والأدلة الأخرى كلها توضح أن نظاما سياسيا كان سائدا . وقد إستخدم النحاس والفضة والذهب في التزين ، وتقدمت النساجة ولكن خير الأدلة على النخوص الفنى ارتبطت بالفخار الأحمر والأبيض . وقد زين الفخار دائما برسوم ومناظر حقيقية تمثل الحياة اليومية والتي يمكن أن تتخذها دليلا على نظام الحياة انذاك فن دراسة الفخار يتضح أن النظام الاوتوقراطى هو نمط الحكم وان حروب الاغارة قد وجدت لها سبيلا في هذا النظام . فالوشيكائنن أنفسهم قد هزموا في النهاية حيث سادت فترة من الاضطراب السياسى عرفت في شمال بيرو باسم العصور المظلمة Dark ages .

وقد ظهر في هذه الاثناء امبر طورية جديدة في مرتفعات بوليفيا بالقرب من بحيرة تيتى كاكا Tikicaca عرفها الاركولوجيون باسم Tiahuanaco حيث بسطت نفوذها وتأثيرها إلى المناطق الساحلية وحتى الاراضى الوعرة في موشيك . ولكن هى الاخيرى بعد مضى عدة قرون على ازدهارها ذبلت وانطفأت . كغيرها من الامبراطوريات الهندية . وقد اعتمدت كل من الحضارات المتتابة

— ٢٩٧ —



شكل (١٨) مجموعة من نساء الانسكا تغزلن الصوف

السابقة في تواجدها على الرى وعلى زراعة أنواع مماثلة من المحاصيل وتربية الحيوان وصناعة الفخار والنسيج ، غدر أن سقوط وموت أى امبراطورية من هذه الامبراطوريات يرتبط باضمحلال النظام السياسى وانصراف حياة السكان .

ومع قيام الامبراطورية الجديدة التى امتدت فوق ساحل بيرو كله فى غضون عام ١٠٠٠ م . تكونت المظاهر الحضارية للدور الأخير من حضارة الانكا . وهذه الامبراطورية الجديدة التى عرفت باسم شيمو Chimu قد اختلفت عن الامبراطوريات الأولى من حيث حجمها فشبكة الرى قد شملت مناطق أكثر اتساعا الأمر الذى يأخذ على وجود نظام حكومى أكثر سلطة وتعقيدات ، كما ظهرت أيضا لأول مرة فى هذه الفترة نمو حقيقى للمؤسسات العمرانية الحضرية فبنيت المنازل فى كتل حجرية كبيرة كما وضعت على هيئة وحدات كبيرة أو متجمعة .

غير أن مصير كل الامبراطوريات الساحلية كان يقرر من الهضبة المرتفعة حيث كانت الأحوال مضطربة أكثر من الساحل ، فكل المنطقة المرتفعة من الانديز شغلها عدد كبير من القبائل المنفصلة والتى لكل منها لهجتها ولغتها . فأحد هذه القبائل التى تتحدث لغة الكيشو Quachua Language والتى تعرف حاليا باسم الانكا وذلك نسبة لاسم حاكمها قطنت بالقرب من مدينة كيزكو Cuzco الحالية فى بيرو . والتى منها بداءوا فى حوالى ١٢٠٠ م فى بسط وتأسيس نفوذهم فى المنطقة . فعمالم أسرة الانكا الحاكمة ضئيلة حتى قدوم هؤلاء الغزاة .

أول حاكم تمكن من حكم المجموعات بالإضافة إلى قومه هو باشا كوتى انكا Pachacuti Inca الذى توج فى عام ١٤٣٨ . وفى عهده اندمج جبرانه المتهورين إلى

عناصر أكثر دواما في دولته ، فقد كان ابن باشا كوتى يتولى قيادة جيش أبيه وساعد على إمتداد سلطانه إلى شمالا إلى كيتو واكوادور وجنوبا إلى شيلي وفي النهاية إلى الساحل حيث أبدأت امبراطورية شيمو مقاومتها المنبئقة . وتعد فترة حكم ابن باشا كوتى المعروف باسم توبا انكا Topa inca من أكبر الفترات التى ضمت فيها ممتلكات إلى الانكا ، فقد استمر حكمه حوالى ٢٢ عاما إلى أن مات فى عام ١٤٩٣ ليحل محله فى الحكم ابنه هوينا كاباك Huayna Capac ولتسير أمـور بناء الامبراطورية سيرا طبيعيا حيث لم يحدث ما يثير الانتباه إلا الحملة الأولى لبيزارو التى وصلت إلى تومبز Tumbez فى عام ١٥٢٧ وهو العام الذى توفى فيها هونيا .

وبعد انقضاء أربعة أعوام على حملة بيزارو ولسوء الحظ كانت فترة الحروب الأهلية كان هوسكار Huaacar نبجل كاباك مرشحا لتولى الامبراطورية غير أن أخيه Atahualpa الذى كان خاكيا لكيتو قد ثار الأمر الذى دفع هوسكار إلى تقسيم الامبراطورية والاحتفاظ بجزءها الشمالى له ، وقد انتهت الحرب الأهلية بانتصار اتاهو البسا فى نفس السبنة الذى قدم فيها بيزارو للمرة الثانية إلى بيرو .

وقد ضمت امبراطورية الانكا مايزيد على ٦ مليون مواطن وشملت عدیدا من القبائل المتميزة لغويا وحضاريا وقد اختلف أساسه الحياة من أقليم لآخر غير أن التوزيع العام ظل من سلطة الدولة التى لجأت لإيجاد نوع من التساوى فى الموارد . فقد كانت البطاطس المحصول الرئيسى فى الأراضى المرتفعة حيث انه من الممكن زراعتها على إرتفاعات أكثر من أرتفاعات الجنوب بينما كان الذرة هو المحصول الاساسى فى مناطق السهول والأراضى المنخفضة . وربما كانت

البطاطس أكثر أهمية في الحياة اليومية للأسرة ولكن نظرا لامتكان تخزين الذرة كان هو المحصول الذي تعتمد عليه الدولة ومن ثم فكان له مركزا أعلى من المحاصيل الأخرى . وفي منطقة الهضبة أو البونا زرع فوق منطقة زراعة الذرة نوعا آخر من الحبوب وهو Puinoa . وقد كانت هذه الحبوب بالإضافة إلى البطاطس تأكل ، أما على شكل عصيدة أو نوعان من الخبز gruel مع ملاحظة أن الذرة كان يستخدم في بعض الأحيان بطرق أخرى ، فقد كان يطحن دقيقا أو يأكل بدون طحن كما يصنع منه البيرة، وقد زرعت أنواعا عديدة من النباتات في المناطق الساحلية كالقنول بأنواعه المختلفة والمانيوك والقرع والبطاطا والطاطم وأنواع عديدة من الفاكهة . كذلك زرع القطن على الساحل لإستخدام أليافه في النسيج .

ولستخدام هنود الانكا التبغ ولكن في الأغراض الطبية والسحرية فقط وذلك على شكل نشوق . أما المشروب العام لديهم فكان الشيكاد Chicha ، وهي نوع من البيرة المصنوعة من الذرة أو أى طعام آخر مخمر . ومن مشروبات هنود الانكا الشهيرة الأخرى السكاكو الذي كانت تجفف أوراقه بعد احضارها من الغابات الشرقية . وحينما تمضغ هذه الأوراق بالجير تخرج منها كمية من الكوكاين . وقد إستخدم الهنود هذا الدواء حينما يبدؤ عليهم الاجهاد من العمل أو في وقت الصعوبة أو نقص الطعام . ويستخدم هذا الدواء حاليا في حياة الهنود .

ولم تكن اللحوم عنصراً رئيسياً في غذاء الهنود ، فقد وجد قليل من حيوانات الصيد والطيور كما وجد في المناطق المرتفعة حيوان الجوانكو وقليل من الأيائل . وقد لجأ سكان الساحل لصيد السمك والسحاف كما ربي سكان المناطق

المرتفعة الخنازير والكلاب والبط والتي اقتصرت استخدامها كغذاء فقط. في المناسبات أما اللاما والابكا حيوانات الحمل الوحيدة التي استخدمها سكان أمريكا الجنوبية وكانت قيمتها كطعام أهم الانكا . فحينما يذبح حيوانات كبيرة كان تقطع لحومهم إلى قطع صغيرة تجفف على هيئة بسطرمة حيث عرفت باسم شاركني Charqni . أما اللاما فقد استخدمت كحيوان للحمل على الرغم من أنها لم تستخدم في الركوب، كما استخدمت أصوافها أيضا غير أن الابكا وبو أصغر من اللاما قد أعطى أصوفا أجود ولذا فقد ربوا هذا الحيوان لذلك الغرض .

وقد قامت رعى الرى الكبيرة بتوزيع المياه على الاراضى الزراعية الهضبية، وكان ذلك بطبيعة الحال عمل مستمر لآلاف المواطنين على مدى عدة مئات من السنين . ومن ثم فمن الممكن قياس الزيادة التدريجية في السكان وحجم المجتمع وتوسع وتطور العمال والنظم السياسية ونمو الحضارة باختصار عن طريق نظم الرى الموجودة والتي تتابعه عبر القرون . ففي أبان فترة امبراطورية الانكا امتدت نظم الرى التي قامت أساسا في المناطق الساحلية . إلى كل المناطق التي يمكن ممارسة الزراعة فيها من الساحل وفي المناطق المرتفعة . كذلك كان انشاء المدرجات خصيلة عمل مستمر عدة أجيال . فلكثير من الاراضى الموجودة في الساحل وفوق المرتفعات كان لا يمكن أن يكون لها قيمة إقتصادية بدون تحويلها إلى مدرجات وتسويتها . وقد مهدت ودرجت كثير من المناطق التي كان لا يمكن أن تروى بسبب ذلك هو الرغبة في الحصول على أقصى إستغلال للأرض الصعبة . وعلى الرغم من أن هذا النوع من الزراعة كان كثيفا أكثر منه واسعا إلا أنه نوعا غريبا بالنسبة للأمريكيين أكثر من الشرقيين . حتى المخصصات التي نادرا ما استخدمها الزراعيين البدائيين كانت معروفة لدى زراعي الانكا . فالجوانغو

Guano وهي مخلفات طيور المحيط الهادى كانت تستخدم كسماد حيث كانت توزعه الدولة فوق مساحة كبيرة من الأرض . كذلك استخدمت بقايا الإنسان والحيوان والرماد والأتساك وكل مادة يمكن أن تزيد خصوبة الأرض كسماد ولكن على نطاق محلي . أما زراع البطاطس فى الجهات المرتفعة فقد اعتمدوا أكثر على نظام واجه الأرض لفترة من الزمن .

وقد كان مسئولية الدولة نحو توفير وتوجيه العمالة أمراً يميزا لنواحى عديدة من حضارة الانكا . فالقلاع الكهيرة والقصور والمعابد قد بنيت من كتل حجرية كبيرة وضعت فوق بعضها بدون استخدام مونة أو مادة لاصقة . فحجم وضخامة العمارة حيث إرتفعت بعض الحرائط لأطوال تزيد على ١٠٠ قدم كان ظاهرة بارزة ، كما قامت شبكة معقدة من الطرق ربطت أنحاء الامبراطورية وكان أغلبها من صنع المجهود الضخم للعمال . بعض الطرق كان مرصوفا وبعضها شق وسط الصخور الصلبة والبعض الثالث قد مر فوق ممرات إذا ما كانت الأرض مستعقبة أو فوق كبارى عبر المناطق الجبلية .

وكل هذه المظاهر التى ميزت حضارة الانكا كانت من تنظيم الدولة للأيدى العاملة غير أن الإقتصاد المنزلى واقتصاد القرية كان بمثابة القاعدة لهذه الحضارة . وإذا كان إنتاجها لم يكن بالدرجة التى تعنى بأعداد السكان أو أن فائضها لم يسمح للدولة بتوزيعه لكان هنود الانكا بمجموعات من القبائل البدائية المنفككة . وعلى هذا المستوى المحلى فإن حقيقة أن الحياة اليومية للهنود لا بد وأن تكون مماثلة لتلك الحياة الموجودة بين القبائل البدائية الأخرى الأقل تميزاً وحضارة ، فى القترات التى تدخلت فيها الدولة فى حياة الهنود هى تلك الاونة التى ظهر فيها اضافات جديدة للحضارة والحياة فى المجتمعات البدائية ترتبط أساساً بحياة

الأسرة والحدود التي وضعت كأطار للقرية أن الانسان المنحصر يمارس حياته في نطاق أوسع من هذه الدائرة .

والقرية الهندية في حضارة الانكا كانت تتكون أساسا من مجموعة من الانساب والتي يطلق عليها اسم ايللو Ayllu . وقد كان لمجتمع القرية لكل ملكية الأرض والسيطرة عليها غير انها قسمت بين الايللو أو الانساب المختلفة والذين بسطوا نفوذهم عليها . فكل عائلة منفردة كانت تمتلك أجزاء من أراضي الايللو أو النسب حيث تورثها فيما بعد إلى الذكور . وقد يظهر في أى وقت من الأوقات ان الأسرة الواحدة قد تمتلك الأرض التي تزرعها ولكن يعاد توزيع أرض النسب مرة أخرى بحيث توزع الأراضي الايللو على كل العائلات حتى يحدث عدالة في التوزيع . والأرض لا يمكن تباع كما أن العائلة لا تستطيع أن تتصرف فيها إذ أن إنتاج التربة كان من إختصاص العائلة التي تقدم بزراعتها . كذلك كان العمل اليومي في الزراعة من إختصاص الأفراد ، غير أن العمل الأكثر صعوبة في الزراعة والحصد وبناء المساكن وإصلاح قنوات الري والطرق وما شبه ذلك كان يتم عن طريق العمل الجماعي الذي كان يطلق عليه اسم مينجا Minga .

أما نظام تأجير الأرض على المستوى المحلي فهو يشبه ذلك النظام الذي يوجد في قرى الزراعة البدائية . ففي منطقة الانديز كان يوجد أحواض وقطع زراعية غير خاضعة للملكية للمجتمع . وفي بعض المناطق ولاسيما الأراضي المقهورة على طول ساحل الباسفيك أخذت أرض القرى باسم امبراطورية الانكا ولصالح الكنيسة . أما في المناطق المرتفعة فقد لجأت الدولة لإستخدام نظام المينجا ففرضت على المجتمعات ضرائب تتمثل في إستخدام نسبة من العمال سنويا .

ولاستخدام السخرة في العمل في أغراض عديدة خلق أراضى جديدة عن طريق تمهيد وتدرج المنحدرات . وهذه الأراضى أصبحت ملكا للدولة ، وقد تعطى الدولة في بعض الأحيان مثل هذه الأراضى لأشخاص على شكل إيعادات وذلك حينما يقوم هؤلاء الأفراد بتأدية خدمات للدولة . ومثل هؤلاء الرجال هم الحسكام المحليين Guraca أو أعضاء أسرة الانسكا أو القواد الخزبيين والعمال الذين عملوا في هذه الأراضى لم يكونوا عمال مستقرين بالأرض . فتنازل العمال في المزرعة كانت مأوى لعمال الوردية فقط وشأنهم في ذلك شأن نظام سخرة استخدام العمال في تشيد مرافق الدولة مثل الطرق والقنوات والقلاع وكنظام فإن هذا النظام يميز عن الاشتراكية . فالصفة المميزة لحكم الانسكا هو أن الدولة لاتتحمل مسؤولية معيشة المواطن العادى إذ أنها ليست دولة حرب . فالقرية الانسكاوية مثل القرية البدائية تعتمد على نفسها إذ أن الاشتراكية أو التسوية كانت المشاع العام بين كل القبائل البدائية والقرى كما كانت أساس تعاون الأسر والانساب . تدخل الدول في هذا النظام كان لا يتعدى حدود امكانها توزيع فائق العمالة تحت نظام السخرة .

أما عن التجارة وهى مظهرها ما فى نظام الانسكا فلعبت الدولة دورا يشبه دور الملاحظين الاوربيين الذى أدى إلى تطور الاشتراكية إلى نظام . وقد كان السبب وراء ذلك ان التجارة لم تكن حرية بين الافراد فى البضائع الهامة كما انه لا يوجد وسيلة للتبادل أو سوق إذ أن الطريقة التى لجأت إليها الدولة لتبادل منتجاتها كانت الطريقة البدائية المعروفة ولكن على نطاق كبير وهم فى ذلك يشبهون قبائل نوتسكان Nootkan والملاينزين والبولينيزين حيث يقوم رؤسائهم بجمع وتوزيع البضائع فى مناطق اختصاصهم . فوظيفة دولة الانسكا فى التجارة

كان أساساً قائماً على إعادة توزيع البضائع .

وعلى مستوى القرية ملئت المخازن والشون بالحبوب والملابس التى يمكن للمجتمع استخدامها فى وقت التمحط والمباعدة .

كذلك يسمح باستخدامها للأفراد والاسرة غير النادرة . وهذه المخازن والشون قد خصصت لصالح الدولة عن طريق الخبز وان كانت فى العادة هذه وظيفة القرية أو النسب فى القرى التى يقطنها الجماعات البدائية . وسلطة الدولة على القرى فى هذه الحالة يضمن وضع أسس إقامة مخازن الحبوب أو المنتجات الأخرى التى تنتج من أراضي الدولة والكنيسة والتى استخدمت لاطعام الجيش والمتخصصين والموظفين الذى يقطنوا المدينة الكبيرة

وربما كان أهم نتيجة اقتصادية لاعادة توزيع الدولة للبضائع هو التحكم فى انتقالها من إقليم إلى إقليم آخر كإرسال الحبوب إلى مناطق زراعة البطاطس ، وصوف الألبا من المناطق المرتفعة إلى المناطق الساحلية وهكذا .

وهذا النوع من إعادة توزيع السلع كان الوظيفة الهامة لما سمي بالتجارة المحلية ولكن هذه وظيفة الدولة إذا ما اتخذت كلمة اشتراكية بمعناها الفصفاض ونظر إلى المجتمعات البدائية على أنها دول اشتراكية . فمؤسسا بولينزيا على سبيل المثال يقبلون هدايا فائض الطعام من كل أسرهم الذين أسعدتهم الحظ فى وقت من الأوقات للحصول على هذا الفائض غير أنهم يعطون فيما بعد معظم ما حصلوا عليه إلى ذويهم حسب السكينة التى قدموا من قبل وقد يقال أن هذا تبعا لكرم الرئيس ولكن من الناحية الاقتصادية هذا مجرد إعادة توزيع .

فليس هناك استغلال فيما عدا جزءا بسيط يحجز للرئيس وعائلته وبعض أتباعه القلائل وحينما يحدث شئ مشابهة لهذا في مجتمع الانكا فقد يختلف مقياسه فعدة آلاف وعدد أكبر من العمال ساهموا ومن ثم خفصيلة الانتاج كانت أكبر لكي يمكن أن تقيم أود مجموعات أكبر من الأسرة الحاكمة والمتخصصين والجيش والقساوسة أو الكهنة . وقد أصبحت دولة الانكا في أوج عظمها دولة مستقلة إذ كان هناك ١٢ أسرة تمثل الطبقة الموسرة وعدد كبير من الحواريين والفنانين الذين لا يؤدوا عملا سوا مساعدة الحكام في الباسهم وتزينهم والرقص والموسيقى ذلك إلى جانب الكهنة وخدام الكنيسة .

فوقت العمل كان ناحية هامة في النظام البدائي لإعادة توزيع المنتجات كما كان يعتبر شكلا من الضرائب التي لا تنفع العامل مباشرة . بمعنى أن الدولة كانت تحصل الضريبة من منتجات العامل وليس من العامل ذاته . فالملابس سواء كانت قطنية أو صوفية أو خليط من الاثنين معا يبدو أنها حفزت على الاهتمام الأول للدولة . وكما هو الحال في بقية أجزاء الاقتصاد فقد وجدت طريقتين لصناعة السج للنشاط المحلي الاكتفاء الذاتي والنشاط القومى أو الدولى . ففساء القرى كانوا يقوموا دائما بأعمال الغزل والنساجه وذلك من أجل توفيرها لأسرهم وثانيا لإنتاج كميات محددة للدولة لكي تستخدمها الجنود والعاطليها . ونفس الشئ ينطبق أيضا على كل الحرف اليدوية حيث وجد في الدولة بعض الرجال المهرة الذين يخضعوا في صناعه منسوجات راقية للطبقة الحاكمة . ففي أوج حضارة الانكا كان الأفراد البارزين في الأسرة الحاكمة كانوا يرتدون ملابس فاخرة وكانوا لا يرتدون الثوب مرتين أبدا .

أما الفلاحون فقد ارتدوا ثيابا من أقشه مغزولة في المنزل ولكن في المناطق

المرتفعة الفاسية المناخ كان على السكان أن يرتدوا ملابسهم ثقيلة ولذا فقد ارتدى الرجال في العادة البنطلون القطنى والصديرى بدون أكمام وشال يوضع على الظهر ويربط بمقعدة من الامام .

أما النساء فقد ارتدين باثواب تلتف حول أجسادهن من تحت الاذرع وحتى الاقدام وبها أجزاء عليا تلف حول الاكتاف وتربط بدبابيس مستقيمة كما وضع حزام فى الوسط . وقد ارتدى ايضا كل من الجنسين الصنادل خارج المنزل .

أما الزينة فقد انحصرت لدرجة كبيرة فى أفراد الطبقة العليا الذين كانوا يزينوا أنفسهم بالاساور والحلى الفضية والذهبية . وقد سمح لأفراد أسر الانكا بتشعب أذانهم ووضع خراط كبير . وقد لاحظ الاسبان عند وفودهم الى تلك المناطق مايسموا باسم كبار الاذان (Big ears) Jones (The inca Kinsmen ore)

والاريجون الذين يقطن معظمهم المدينة العاصمة كيزوكو قد أعفوا من الخدمة الحربية والعمل ومثلهم فى ذلك مثل الطبقات الخاصة الأخرى فى المجتمع وقد كان السكوركا Curacas نوعا من نبلاء المقاطعات والذين كانوا فى وقت من الاوقات حكاما لأقاليمهم وقد وضعهم الانكا ضمن مجموعة بيروقراطية الدولة ككونهم حكام غير مباشرين ومع مرور الزمن تعلم أحفاد السكوركا فى كزوكو عادات الانكا ومن ثم أصبحوا غير مميزين عن طبقات الانكا الاصلية كذلك تعتبر جماعة اليانا Yana من الجماعات المميزة فى مجتمع الانكا وذلك بالنسبة للتعجيد حيث يقضوا معظم وقتهم فى تخصصاتهم المختلفة كخدم أو موسيقيين أو راقصين أو أصحاب حرف يدوية متخصصة وغيرها من التخصصات التى تخدم الحاكم .

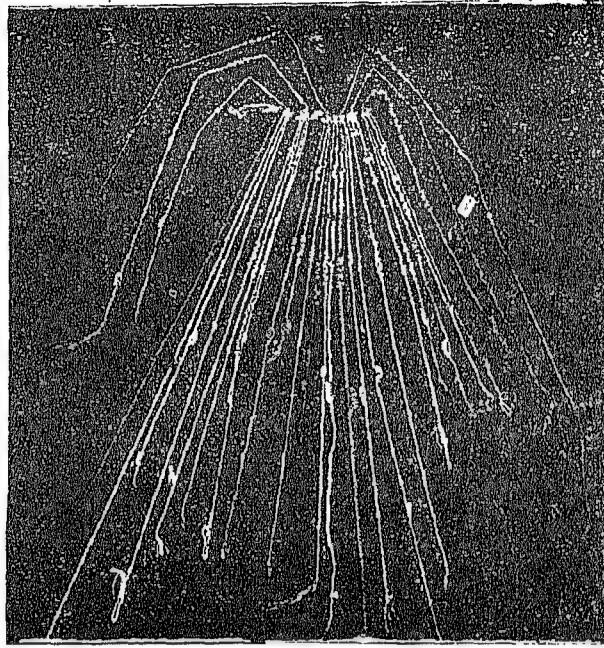
أما الاكلا Acila والذين يسمون خطأ باسم عنبارى الشمس

"Virgins of the sun" فكانوا عبارة عن الاماثة الموازين لجماعة اليانا
والذين يعمل بعضهم في خدمة الكنيسة ولكن أغلبه كان خدام أونساج مبرة .
وأحد الحرف الاخرى التي تستحق للذكر في مجتمع الانكا حرفة السكيو
quipu الذي يقوم بتسجيل أعداد السكان والضرائب ونظرا لان الانكا كانوا
يفتقرون إلى الكتابة والحساب ولذلك فالشخص المتمرن فقط هو الذي يستطيع
أن يقوم بعملية التسجيل . ومثل هذا الشخص الذي يتمرن على تقويه الذاكرة
يعرف باسم كيبو حيث يربط به عدد من الخيال أو السلاسل ذات العقد (شكل ١٩)
وهذه كانت ملونة في العادة لتمثل عناصر متعددة كالسكان أو الضواحي أما العقد
الموجودة بها فكل واحدة منها تمثل الاحاد والعشرات والمئات والالوف وهكذا
وقد اعتقد بعض المعلقين الإسبان الأوائل أن كل مجتمع الانكا ينقسم إلى
وحدات من السكان تبدأ من مجموعات عشرية إلى وحدات مئويه ثم إلى وحدات
ألفية وهكذا ولكن نعرف الآن أن هذه طريقة احصاء ارتبطت بطريقة بسيطة
للمد أكثر من تنظيم وظيفي للمجتمع . وأكثر من ذلك فإن هذا العدد ينحصر
فقط في الاسر وليس الأفراد فالشخص الأعزب مثلا ليس له خدمة للدولة .

وقد تمتع النساجون والمعدنيون من جماعة اليانا بصيت واسع في انتاجهم
الجيد . فالمنسوجات المزينة بالصور والتي صنعها نساجو الانكا فاقت كل ما
هو معروف بأوروبا ، كما أن الصهر الحقيقي للنحاس والفضة كان معروف بل أيضا
توصلوا لصناعة البرونز على الرغم من أن حضارة الانكا لا تعتبر من بسين
حضارات البرونز وذلك لأن المعدن لم يستخدم في صناعة الأدوات والأسلحة .

كما أن وفرة المعادن الثمينة ولاسيما الذهب كان عاملا لجذب الاسبان غير أن
قيمة الذهب لدى الانكا كانت تنحصر في امتلاكه بغير استخدام في الزينة وعمل

— ٤٠٩ —



شكل (١٩) الكينو Qni u

لترين المنسوجات بها فقد كانت مدينة كوزكو حقيقة مدينة الذهب فقد كان
للقصر أفريز ذهبي وأعمدة من ذهب وفضة كما أن معبد الشمس الشمر كان له
حديقة مليئة بنباتات وحيوانات صنعت جميعها من الذهب المطروق .

وقد كانت الموسيقى أحد الفنون الراقية لدى الانكا كما كانت أكثر تعقيدا
وتطورا عن تلك الموجودة في معظم المجتمعات البدائية . ومن بين آلاتهم الميزة
مصفار الارض حيث يتدرج كل واحد من هذه المزمار في طوله ونغمته وذلك
بالإضافة إلى القلوت وأنواع عديدة بين الطبل والأجراس . وقد كان تكوون
السلم الموسيقي بين خمس لغات استخدمت في الغناء ، كما أن أغاني الحب العربية
مازالت تسمع حتى الآن في بعض القرى الهندية . وقد صاحب للموسيقى في معظم
الاحيان الرقص الذي مثل في بعض الاوقات دراما بسيطة.

وقد بينت دراسة الاسبان عادات وثروة وحجم بلاط كوزكو بوضوح إذ
تصورا أن حكومة هؤلاء الحكام كانت قوية ففي الحقيقة لم يقيم حكام الانكا في
كوزكو إلا بدور ضئيل في الحكم . فامتساع الحدود وحوزة اعداد من السكان
داخل الاقليم كانت ذات أهمية كبيرة جدا للدولة البدائية إذ أن هذا البسط
يرتبط بزيادة الدخل الذي يساعد على تطوير وعظمة المدينة العاصمة تغير . أن
انتقاليد المحلية الاقليم المطلوب على أمة كانت لاتنغرأساسا إذ كان على حكامها
المحليين الخضوع فتمتد للسلطة الحديده ومن ثم تسر بقية الحياة على منوالها .
وهكذا لم يغير حاكم الانكا المحلي غير المباشر الاشكال المختلفة للعادات التي
توجد في مكان حدوثها . فلم يكن هناك نظام مستقلا للمدل في مملكة الانكا .
فالقانون العام وضع أساسا لمنع الاعمال التي تهدد النظام القائم وأن أغلبية الجرائم
القليلة التي حدثت وعاقبت عليها الدولة هي تلك التي اقترفها عدد من بيروقراطية

الدولة . فالحياة المنظمة كانت فى قمة الجرائم ثم يليها بعد ذلك السلوك الوظيفى السىء ، والامتناع عن الضرائب ثم القتل . والغرامة لم تكن معروفة كذلك لم تبنى أو تشيد السجون إذ اقتصر العمل الجبرى فى المناجم على أصحاب الجرائم البسيطة أما الموت فكان عقوبة الجرائم الأخرى . وبعض الجماعات التى عرفت ميتيما *Mitima* كان عليها أن تخدم جزءاً من وقتها فى الجيش فى المناطق المفتوحة حديثاً غير أن المعلومات غير واضحة عما إذا كان هذا العمل كنوع من العقوبة لجرائم ارتكبت أم كنوع من التجنيد أو شكل من أشكال التطوع .

وقد انشطرت الحياة اليومية للفلاح بين العمل فى الحقل والمنزل، حيث لم يقطع ذلك الروتين إلا فى أثناء احتفالات وشعائر القرية . والمنزل العادى فى الأراضى المرتفعة فى بيرو كان صغيراً على شكل مربع أو مستطيل بنيت حوائطه من أحجار الحقل أو الطين أو الطوب التى كما صنع سقفه من الأشجار والحشائش ولم تكن له مداخن أو حتى نوافذ ومن ثم فكان المنزل مظلماً كئيباً مليئاً بالدخان والأثاث فيه متناثر ويتكون من مصطبة مرتفعة قليلاً عن الأرض وفى بعض الأحيان وجد مقعد للجلوس ، إلى جانب موقد من الصلصال وقليل من الأواني الصلصالية والأطباق . ويخزن الطعام والملابس الزائدة فى قدور كبيرة وفى العادة تبنى المنازل التى ينتمى أصحابها إلى نسب واحد فى مكان واحد حيث يحاط بسور وقد شيدت هذه المجمعات السكنية على جوانب التلال حتى لا تشغل أراضى زراعية قيمة . ولذا فشكل القرية كال شاذاً بفضل المجمعات السكنية المختلفة التى كانت تتباعد عن بعضها بمسافات كبيرة . ومثل هذه القرية المفتوحة كان من الصعب الدفاع عنها غير أن السكان كان لديهم قلعة أو ملجأ عند قمة التل المجاور يمكن الرجوع إليه لحماية أنفسهم .

وقد ارتبطت العائلة الممتدة كوحدة مع مجموعة من العائلات في فئان أكبر أو أولو *Ayila* أو مجموعة العشيرة المحلية . وقد سمح للشخص أن يتزوج من بين أفراد مجموعته لذا فعضوية الأطفال في الأولو قد تكون عن طريق الأب أو الأم على الرغم من أنها اعتبرت في العادة أبوية وربما كان سبب ذلك أن الممتلكات تورث للذكور والأولو ليست عشيرة كتلك التي توجد بين عديد من قبائل الهنود الأمريكيين كما أنها لم تكن أحادية الجانب أو خاصة بالزواج من الأباء *Exogamous* أو طوطمية *Totomic* إنما كانت تشبه سلالة كتلك التي تظهر بين مجموعة البولينيزيين على الرغم من أن المعلومات المحددة عنها ناقصة .

ونظام القرابة المتعلق بالجانبين وغير الأباعدى ساد في الأولو . فمصطلح أخ وأخت امتدا ليشمل كل أبناء الأعمام ، كما أن التميز بين أبناء العمومة للزم والمرع والموقع أن يكون في الأولو لوجود له . فالعم يطلق عليه مصطلح ، والد كذلك الخالة تلقب بالأم إذ أن في مجتمع الأولو أو النسب يلعب هؤلاء الأفراد دورا مثل دور الأب أو الأم غير أن العم والخالة يميزوا عنهم ويؤكد نظام المخاطبة الفروق الجنسية حيث تستخدم مصطلحات خاصة تبعا لنوع المتخذ والشخص المخاطب كذلك تعكس المخاطبة التأكيد على الاختلاف في الجيل أو السن .

ويعتبر أننا لا نعلم عامل اقتصادى هام كما هو الحال في معظم المجتمعات البدائية ولذا فالأطفال مرغوبين بأعداد كبيرة شريطة أن يأتوا بعد فترات مناسبة . ولا يوجد إلا قليل من المعلومات عن ميلاد الأطفال عند الأنكا . ولكن يبدو أن البداية ، أو القابلة كانت تستدعى لمداواة الأم في حالة الوضع وبعد الميلاد تأخذ الأم طفلها إلى النهر لتغتسل هي ولابنها وبعد أربعة أيام يوضع

الطفل في القباط جييدا ويربط في لوحة المهد والتي تحملها الام خلف ظهرها ويظل الطفل بها الى أن ينمو ويستطيع السير وحينما يبلغ الطفل من العمر عامين يفطم ويقص شعره في احتفال يحضره أقارب وأصدقاء الأسرة الذين يحملون معهم هدايا بهذه المناسبة . ويقوم الخال الأكبر للطفل بعملية قص الشعر وتقليم الاظافر التي يحتفظ بها ويعطى للطفل اسما يظل محتفظا به حتى يعطى اسما آخر عند الاحتفال ببلوغه . وفي خلال المرحلة الباقية من الطفولة يلعب الاطفال سويا بمساعدة الآباء غير أن التربية الرسمية تقتصر على آباء الانكا والكوراكا Curaca والبنات المختارات اللاتي سيذهبن للكنيسة أو سوف يصبحوا أكلا Acila في كوزكو .

وعند بلوغ الصبية ١٤ عاما يتم احتفال بلوغ لهم يتضمن إعطائهم شظايا الحرب واسما جديدا وربما عد هذا أمراً بسيطاً في القرى حيث كان يعقد مرة واحدة في العام للشباب الذين بلغوا هذا السن غير أن أبناء الانكا قد يلحقوا باحتفالات تستمر لعدة أسابيع حيث تشرب في أثناء الاحتفالات مشروب الشيككا Chicha وتنحر اللاما كنضحية بأعداد كبيرة كما يخضع الأولاد لاختبارات قوة تحمل ، وتزارع عدد من الأضرحة المقدسة . وبعد ذلك يعطى الأولاد بنشاط الحرب والأسلحة ثم أخيراً تشطر الاذان ليوضع فيها قرط الانكا الذي يعطيه المركز الجديد كجارب . كذلك يخاطبوا بعد ذلك بأسمائهم الجديدة كما تمنح لـلهم ألقاب الرتب في هذا الاحتفال أيضاً .

أما احتفال بلوغ الفتيات لمرحلة النضج فيقام مباشرة بعد الحيض الأول ومن ثم فقد كانت احتفالات فرديه أكثر منها جماعية . فتظل البنت في عزلة لمدة ثلاثة أيام بعدها تأخذها والدتها إلى الاستحمام وتمشط شعرها وتلبسها

ملابس جديدة ثم تخرج بعد ذلك إلى الأقارب للاحتفال حيث يعطيها خالها الأكبر اسماً جديداً ويقوم الأقارب بتقديم الهدايا .

وبين الفلاحين كان الزواج ممنوعاً بين الأقارب في حدود ابن العم الأول ، فأبناء العمومة الاوائل تزوجوا فقط إذا ما كانت الزوجة هي الزوجة الاساسية ، فزواج الأقارب الغرباء كان يعتبر جريمة شنعاء . على أى حال فقد تمكن أباطرة ألانكا المتأخرين من جعل أحد شقيقاتهم زوجة رئيسية كما أن آخرون تزوجوا اخوات لهم من الام أو ألأب . وقد فسر هذا الشذوذ عن القاعدة بأنها محاولة من ألانكا لبيان كيف أنهم كانوا فوق مستوى الرجل العادى وفوق القانون . وقد سادت نفس العادة في مجتمعات شبيهة التنظيم كما كان فى هاواى ومصر والتي ربما كان لها صلة كبيرة بالميراث لدى الحاكم إذ أن تثبيت السلطة وقوة الدولة قد يرتبط بهذا النوع من الزواج .

والزوجات الثنائيات كانت من الامور الشائعة بين النبلاء والطبقة الراقية غير أن الفلاح نادراً ما استطاع أن يفعل ذلك . فكل الناس البالغين من المفروض أن يتزوجوا ولا يعتبر الشخص بالغاً حقيقياً إلى أن يستقر أو تستقر فى منزله أو منزلها الخاص . وفى مجال الاختيار المسموح فى الزواج وضعت بعض القيود فى القرية إذ كان على الشخص أن يختار زوجه غير أن الرأى النهائى كان للوالدين .

وقد أقام ألانكا للزواج احتفالين بطريقتين تتميز بهن الاول احتفال مدنى يحضره الحاكم أو مثله ليشهد الزواج وربما كان ذلك من وظيفة المحصى أو العداد أما الحفل الثانى فهو حفل الزواج العادى الذى تنظمه عائلتى العروسين طبقاً للامادات المحلية التى تتضمن تبادل الهدايا ولقائمة المآدب والطلاق محرم وذلك لان الامبراطور حضر وأشهر الزواج والارملة لا تستطيع أن تزوج أى شخص

فيما عدا شقيق زوجها . والرجال لهم أكثر حرية من المرأة غير أن الارمل عليه أن يتزوج شقية زوجته المتوفاة .

ويعتقد سكان الانديز أن الأمراض تسببها قوى طبيعية خارقة ، وأن السلوك السيئ وإهمال الطقوس الدينية قد يغضب الآلهة ، وأن قوى طبيعية معينة تكمن في النباتات أو أن الرياح ربما تسبب المرض وذلك عن طريق إدخال أجسام غريبة إلى جسم الإنسان . وأحد المعتقدات المعينة التي آمن بها الأنكا وما زالت حتى الآن موجودة في بعض قرى الانديز هي فكرة أن الحضة المفاجأة قد تدفع الروح إلى الخروج من الجسد وترك الشخص في حالة ضعف شديد الهم إلا إذا أمكن إعادة الروح .

أما المطببون أو الشامانيون فكأنوا مجموعة من الناس اعتقدوا أن لديهم معرفة ومهارات خاصة تمكنهم من التأثير على القوى الطبيعية . وبهذا المنطق فإنهم يمارسون وظيفة السحر والتطبيب كما أنهم يستطيعوا تقرير إذا ما كانوا يرغبون في استخدامهم سلطانهم لإلحاق الضرر بالناس . وقد استخدم الأنكا طرق الشفاء الموجوة بين الهنود امريكيين إذ يبدأ الشامان عمله بتقديم الاضحية إلى الروح التي تسبب المرض ثم إذا ما اكتشف بعد ذلك العضو المصاب يقوم بتدليك وحكة إلا أن تعود إلى مكانها وإذا ما قرر أن هناك شيئاً غريباً موجوداً فإنه يستخرجه عن طريق المص ويعقب ذلك وضعه ما يشبه المرهم على موضع الداء وقد أجريت عمليات الترتبة في الرأس لإبان الغزو وذلك من أجل الشفاء آلام الرأس . فقد عثر الأركولوجيون في رواسب بيرو على جماجم اتسمت بوجود ثقب صغيرة محفورة بها أو قطاعات صغيرة محفورة بها . وبعض الجماجم كانت معراة والبعض الآخر أجرى بها أكثر من عملية .

ويخاف سكان قرى الانديز كثيرا من السحرة أذ يعتقدوا أنهم يسحبون الموت عن طريق ممارسة السحر حيث ذكروا أن السحرة يمكنهم عمل صورة للمنحية ثم حرقها أو قتلها أو ربما يحصلوا على ختملة من شعر المنحية أو الاظافر لاستخدامها في نفس الغرض . وقد مارس السحرة عملهم في سرية كاملة حتى لا يتخوضوا للموت ومن ثم فنتيجة لذلك فلا يعرف أحد على وجه التأكيد من هو الساحر وأن الشخص الذي يدعى على آخر بممارسة السحر يكون من السهل أن يصاب بالضرر أكبر من غيره .

وموت أحد أفراد الأسرة يؤدي إلى التجمع العوري للأصدقاء والأقارب الذين يرتدوا ملابس سوداء ويؤدون مصاحبة بقرع الطبول والغناء . أما الأقارب من النساء فيقمن بتقص شعورهن ووضع الحجاب فوق رؤسهن . وقد يستمر المأتم بين الأقارب لفترة طويلة تصل إلى عام وذلك إذا ما كان المتوفى شخصاً ما . وتلف الجثة بالقماش حيث تدفن مع ممتلكات الميت الثمينة إذ أن بقية أغراضه تحرق . وشعائر موت ألانكا بسيطة غير أن الترتيبات تستغرق وقتاً أطول كما أن عدد من الخدم يضحي بهم حيث يدفنوا معه . ومقابر ألانكا العادية كانت عبارة عن حجرة بسيطة من الحجر توضع فيها الجثة في وضع الجلوس وقد تزال في بعض الأحيان الامعاء وذلك كمحاولة للتحنيط . وقد دفن الملوك في قبور أقيمت في الأقاليم الساحلية وذلك في الفترة السابقة للأنكا كما أن مقابرهم معروفة جيداً للآركولوجيين . ومحاولات التحنيط كانت أكثر لديهم وساعد على ذلك جفاف المناخ الساحلي . أما مقابر ألانكا المتأخرين في كوزوكوفغير وفيرة ولكن بعض الأدلة التي عثر عليها تشير إلى أن ألانكا استمروا في عمليات التحنيط .

وقد اعتقدوا أن روح الميت قد تسكن بعد صعودها من الجسد في أحد

الاشياء الطبيعية سواء كانت مظاهر طبيعية أو نبات أو حيوان .. وبعض الآلهة
 للمعنيين والارواح الطبيعية وأرواح الأجداد البارزين قد تقدس في أماكن
 تواجدها المعروفة باسم هواكاس Huacas والذي كان قريب الشبه من الأضرحة
 الرومانية . وقد يكون الهواء كاسر أى شيء ، قد يكون مدينة كاملة مثل كوزكو
 أو حجر أو ينبوع أو جبل . واعتقد الهنود كذلك في عديد من الأشياء التى
 ترتبط بقوى طبيعية خارقة ويمكن حملها ومن ثم فقد تكون على هيئة حمى أو
 أحجار أو بعض البلورات ذات الأشكال والألوان غير العادية والتى تجلب لب
 أصحابها . وتحمل هذه الأشياء لجلب الحظ وتوضع فى العادة فى حقيبة صغيرة
 شأنها فى ذلك شأن رابطة الادوية لدى سكان سهول أمريكا الشمالية :

ويمثل كل دأولو Ayllo مجموعة حضارية وثقافية تعبد سلفها بطرق وشعائر
 خاصة ومختلفة إذ أن كل أفراد قرى إقليم الانديز يشتركون فى مفاهيم عامة
 بالنسبة للأسلاف والارواح الطبيعية والآلهة الخاصة لأفراد الانساب والقرى .
 أماحكام ألانكا فتمد فرضوا على رعاياهم المحليين معتقدات بالكهنة القومية
 والتى تضمنت فى جزء منها المعتقدات الخاصة للرعية واعتمدت أساسا على نظام
 التراضى الكهنة الكهنة ، ومن ثم تضمن الكهنة نظام الحكومة ذاتها
 إذ أن حكومة ألانكا كغيرها من المجتمعات البدائية كان تنظيمها أوتوقراطى
 أو ذاتى .

ومعتقدات ألانكا التى وضعت أساس الدين للدولة ارتكزت على الاعتقاد فى
 الخالق Creator حاكم عالم ما وراء الطبيعة وذلك فى أصل مفهوم أن إمبراطور
 ألانكا يحكم الأرض . والخالق ليس له إسم غير أن ألانكا مخاطبوم بسلسلة
 طويلة من الألقاب والتى من بينها لقب فيراكوشا Viracocha (اللورد) والذي

استعماله الاسبان للاشارة إليه ، وهو نفس المصطلح الذى كان يستخدمه الهنود في مخاطبة الاسبان الاوائل الذين خافوا من ملاحظتهم الغربية عليهم . وقد كان فيراكوشا نوعاً من حضارة بطل ، حيث اعتقدوا أنه خلق العالم والبشر ثم رحل حوله بصحبة الناس ليعلمهم الطريقة الصحيحة لعمل الاشياء . وبعد ذلك اعتزل وسمح للآلهة أصغر لرعاية الكون الذى خلقه . وكانت الشمس أهم هذه الآلهة وأنشطها كما أنها كانت سلف أسرة ألانكا وكما هو الحال في عديد من المجتمعات كان إله الشمس على هيئة رجل وكان المسئول عن نمو المحاصيل أما إله الرعد فقد تلى في اهميته الشمس حيث كانت تقام له الصلوات من أجل سقوط الأمطار . أما إله القمر فكان على هيئة أنثى فهي زوجة الشمس وهي هامة لأن مظهرها التقويمي كان أساساً لحساب الوقت طول العام ولنتيجة الأعياد . أما الأرض والبحر فتد نظر إليهما أيضاً على كونهما أنثى ، كما أن بعض النجوم والاجرام كانت أصول بعض الأنشطة المعينة . وعلى النقيض من معظم الجماعات البدائية أقام ألانكا الصلوات لهذه الآلهة وقدموا القرابين وقد شكلت القرابين جزءاً هاماً في معظم الاحتفالات في معظم الأحيان كما أنها واكبت زيارة الناس إلى الأرضة . حيث كانت الخنازير وحيوان اللاما تنحر كضحية إلى جانب الأطعمة وشراب الشيكال التى تقدم دائماً بالإضافة إلى الملابس . أما البشر فقد كانوا أغلى الأضحية وهم نادرون فلا يقدموا إلا في شعائر الدولة أثناء حدوث مجاعة أو قحط أو إبان الهزائم الحربية أو تولى أمبراطور جديد وهلم جرأ .

وفترات الإحتفالات العامة الكبرى كانت تتفق تماماً مع مجتمع زراعى يعبد الشمس فالسنة الشمسية امتازت بوجود احتفال كبير للشمس في نهاية الشتاء ٢١ يونيو والقمر في ٣١ سبتمبر والصيف فى ٢١ ديسمبر حيث كان يعقد في هذه الآونة احتفالات بلوغ شباب النبلاء . وقد أقيمت كل هذه

الاحتفالات فى الميدان الكبير فى كوزكو حيث حضرها الامبراطور وبلاطه . وقد اقيمت احتفالات اخرى فى فترات منقطعة من القويم وربما كان أهمها احتفال ايتو Itu الذى كان يعقد فى الوقت الذى يحتاج فيه ألانكا لمساعدة الآلهة وذلك فى أثناء الحرب أو الجفاف أو الأوبئة . والمظاهر الرئيسة لهذا الاحتفال كانت شبيهة بالاحتفالات الأخرى إذ تتضمن صوم الناس ليومين قبل الاحتفال ثم إخراج للكلاب من كوزكو ووضع صور الآلهة فى الميدان الكبير ثم إقامة الصلوات وتقديم الأضحية . ويعقب هذا اليوم العادى يومين آخرين للبرح والشرب والرقص .

والتقاليد الدينية للقبائل المتفرقة فى أنحاء الامبراطورية لم يغيرها ألانكا ، فكما هو الحال فى نواحى الحضارة الأخرى فقد أضاف الحكماء بعض الأشياء إلى نطق معينه الأمر الذى ساعد على إعطاء الحضارة المحلية دفعه الإستمرار عبر الزمن وقد كان تأثير سياسة ألانكا فى الحكم غير المباشر قوى لدرجة أن الأوربين فكروا حين وفدوهم لتلك المناطق الإستمرار على نهجهم حتى لو اقتضى الأمر أن يوضع بعض ألانكا فى مراكز إدارية غير أن سياسة الأسبان هدفت لخلق وحدة دفاعية بين الهنود والنس أصبحت كاملة فى النهاية بعد أن تقدمت اللغات المحلية وبعض التقاليد نحو توحيدها مع مرور الزمن ومنذ القرن التاسع عشر أصبحوا هنود بيرو وحدة لغوية وشعباً .

فالقوة الأسبانية تحت قيادة بيزارو تمكنت بعد ١٥٢٧ من العودة مرة أخرى لفتح إمبراطورية ألانكا وكانت تتكون من ٢٠٠ رجلاً بصحبة ٢٧ حصاناً . ومن حسن حظ بيزارو كانت إمبراطورية ألانكا ممزقة بالحرب الأهلية ومن ثم فقد تمكن الأسبان من القضاء على الإمبراطورية نهائياً فى الفترة ما بين يناير

عام ١٥٣١ ونوفمبر عام ١٥٣٢ . وقد كانت المقاومة للغزاة ضعيفة وغير منظم . وذلك بعد أن قبض بيزارو على الامبراطور آتا هواليا Atahualpa الذى فاز بالحرب الالهية وأعدمه . وقد استخدمت طريقة القبض هذه على رأس تنظيم المقاومة بنجاح فى أيام الغزو الاولى للمكسيك .

وقد قبل سكان بيرو الاصليين الحكام الجدد بسهولة لفترة من الزمن غير أن العلاقة بين القرى الريفيّة والسلطة المحليّة كانت مضطربة لسبب الموضى وفى بعض المناطق الحساسة مثل وادى كوزكو تمكن الغزاة من حيازة أفضل الاراضى كما كان الإقليم الساحلى مركزاً لنشاطهم . وهكذا أسست مدينة ليما عاصمة الاسبان وميناءهم . كالو Callao . فى عام ١٥٣٥ حيث تطورت مدينة ليما لتصبح من أغنى المدن آنذاك ولتكون مقعداً لحضارة الاسبان وحياتهم الاجتماعية ومركزاً للحكومة .

كذلك عمرت أجزاء عديدة فى المناطق المرتفعة بالقرى الزراعية . ووزعت كإقطاعيات Encomiendas للأسبان كما حدث فى الأجزاء الأخرى من أمريكا الإسبانية . وقد اعتمد هذا النظام على نظرية الالتزام من الجانبين فعلى الهنود أن يقوموا بدفع التزاماتهم السنوية من البضائع والطعام فى مقابل التزام الاسبان بحمايتهم وفض المناسبات بينهم وتعليمهم المسيحية . ولم يطلب الاسبان أى حقوق لآى أرض فى أى مكان إذ أن حكم الهنود ارتبط بحياة الغزاة ووريثهم الاول حيث شعر التاج الاسبانى بعد ذلك أن الهنود قد تعلموا . وأنهم يمكن أن يعتمدوا على أنهم وقد وضعت عدة حواجز بين الغزاة والهنود وكان هدفها حماية الهنود من استغلال سادتهم .

غير أن هذا الإتجاه الاسبانى لم يكن مقبولا . لبعض الغزاة الاسبان الذين طعموا أن يصبحوا ملاك اراستقراطيين وسعوا إلى ذلك لتكونهم من أصول

متواضعة حتى ابن بزارو كان مجرد راعى في ضيعة أسبانية. في وقت من الاوقات نشأت إقطاعيات، أو كما عرفت باسم *Latifundios* ضمت بعضها مساحات كبيرة وصلت إلى عدة آلاف مربعة من الأميال عمل بها الهنود الذين جلبوا من مناطق خارج مناطق تواجدهم . وقد نمت مزارع حديثة حقيقية في قليل من المناطق حيث تخصصت في زراعة محصول معين للسوق التجارى كذلك ربيت قطعان الماشية في مزارع أخرى كبيرة اقتطعت من الهنود. على أى حال ففي وقت من الاوقات أصبحت السمة المميزة للنظام الموجود في الأراضي المرتفعة هي الضيعة *Hacienda* . ففي هذه الاقاليم استمرت قرى الهنود تستخدم أرضها بطريقة الشيوع التقليدى مع دفع العائد إلى صاحبها وذلك في العادة المحاصيل الاوربية مثل القمح الذى يستخدمه لانفسهم . غير أن مالك الارض لم يكن دائما من القواد الاسبان إذ كان من أصحاب الاعمال . فالمجتمعات الهندية كانت هي المسيطرة على الارض وذلك بسبب التقاليد التى تربط القرى وبسبب الرابطة القانونية التى تفرض عليها البقاء مادام عليهم ديناً لصاحب الارض. وحينما تباع الضيعة فإن القرى الداخلة في حوزتها تنتقل إلى الملاك على اعتبار أنها تكون جزءاً ثابتاً من الموارد .

وقد كان هناك أمران هامان أثرا كثيراً في سكان بيرو الأصليين في خلال الفترة الأولى للاستعمار الأولى هي لإجبار أعمال الانسكا على العمل في مناجم الفضة في ظروف غير صحية الامر الذى أدى إلى أن يقضى عدد كبير منهم نحيبم أو يمرضوا من التجنيد . أما العامل الثانى فهو انتشار الامراض المعدية كالجدري الذى أحضره الاورييون معهم فقد قدر أن عدد السكان الأصليين قد تقلص بمقدار النصف في غضون قرنين من حكم الاسبان ، كما أن عدم الاستقرار في الحياة الاجتماعية والاقتصادية قد واكب صراع وإضراب من نوع آخر . إذ

أن حكومة المستعمرات والتي هدفت أساساً لتعليم المسيحية لم تجد أن عملها سهلاً ومن ثم فقد شنت حملات تخريبية ضد الدعارة التي لم يجدى التعليم في منعها ، كما أن مهورات السكان الأصليين في بعض الجهات عزلت كما أحرقت في البعض الآخر وبصفة عامة فقد دمرت حياة ثقافية وحضارية لهم .

وأخيراً بعد مضي ١٥٠ عاماً حدث توافق بين حضارة السكان الأصليين والمستعمرين إذ تدهورت الأراضي في مناطق المرتفعات تدهوراً كبيراً لدرجة أن أصبح أمام الهنود لا مفر من قبول التغير حيث أن النظام في الضيعات قد وضع الفلاح في وضع سيء كما أن الثورات كانت تقابل بعنف وتمخض عنها آثار سيئة فقد جمعت الحكومة عديد من القرى في وحدات كبرى عرفت بإسم Reduccions ، حيث مهد هذا التوحيد إلى تخطيط المدن الأسبانية والتي قامت على الخطة المستطيلة ذات الشوارع المتقاطعة وحيث يوجد في منتصفها ميدان عام وكنيسة كبرى . كذلك دخلت إلى المدن بعد أن وضع الأسبان نظامهم عمل السكان المحليين في بعض المناصب الإدارية وتبدو درجة سيادة المستعمرين للسكان المحليين سواء من الناحية السياسية أو من الناحية العامة للحضارة من الثورة التي قام بها جبريل كوباك إمارو Jose Gabriel Tupac Amaru في عام ١٧٨٠ إذ كان هدف الفلاحين تحسين الوضع الاقتصادي الذي انهار بسرعة تحت سلطة الأسبان إلى أن أصبحت بيرو أفقر عن ذي قبل . وقادة هذه الثورة كانوا من سلالة ألانكا وجماعات أكثر كاسي الذين كانوا يأملون في أن يعودوا إلى سلطتهم ومركزهم القديم . ولكن عدل الثوار ولائهم بوضوح نحو الكنيسة والتاج بحيث قد بدى أنه ليس هناك ثمة رغبة في عمل أي شيء أكثر من إصلاح بعض الأشياء الخاطئة التي جاءت مع الحكم الأسباني . وحتى في أثناء حرب الاستقلال الأخيرة بين عامي ١٨٢١ و ١٨٢٤ أبى الهنود الأمريكيين على ولائهم

للتاج أكثر من ولائهم للجمهوريين . وقد كانت نتائج هزيمة الثوار على قدر من الأهمية إذ تمت عدد من الإصلاحات الدورية لصالح الهنود وأن فرضت في نفس الوقت بعض القوانين التي تحد من حضارة ألانكا أضف إلى ذلك فإن مهاجم التعديين أصبحت أكثر وفرة كما أن سخرة العمال والميتا Mita أدت إلى انهيار الاقتصاد الإسباني . وهكذا تم الانحطام النهائي والاستقرار بين المستعمرين وحضارة الألهالي كما بقيت العلاقة على حالها في بعض المناطق دون تغير حتى يومنا هذا .

ومنذ الحرب العالمية الثانية فقط أصبح التغير في نمط حياة ألانكا القديم واضحاً إذ أن الوضع السياسي للشعوب الزراعية الصغيرة قد شهد زيادة التمثيل في الشؤون الاقتصادية العالمية وكان نتيجة لبداية حركة تصنيع محلية وإن كانت قومية إلا أنها كانت ذات أهمية لتلك الشعوب . ومعنى ذلك أن العمل الاجرى زادت أهميته للقروين كما أصبح التعليم نافعا ، وتحرك السكان صوب المدن أو إلى مراكز الصناعة الامر الذي أدى إلى توسيع عالم الفلاح ولإيقاظه من سبات التخلف التي كان يتصف بها فيما سبق فلاح بيرو .

ولعل من أكثر نواحي التغير الاجتماعي إثارة في الماضي والحاضر وذلك بالنسبة لمركز الفلاح وإعطائه قدراً أكبر من التمثيل في العالم الحديث ما حدث نتيجة الاختلاط السلالي . فمصطلح مستيزو Mestizo والذي يعنى لغويًا خليط الهنود البيض يعنى أيضاً بمفهوم أوسع هندی العالم الأبيض . وبالتدريج نجد أن المفهوم الثاني أصبح المعنى المعتاد ومن ثم تحرك هنود أكثر صوب الملك الاقتصادي للعالم الحديث وذلك عن طريق التخلي عن الملابس التقليدية للفلاح وعن لهجته وعاداته وتقاليده لدرجة أن المصطلح يشير في الوقت الحاضر أساساً

إلى الأحوال الاجتماعية والحضارية أكثر من إشارته إلى وضع سلالى معين .

وبالمثل فإن مصطلح هندي أصبح يتفق مع معنى فلاح . ففي تعداد بيرو فى عام ١٨٧٦ كانت نسبة الهندود حوالى ٥٧٦ ٪ من مجموع سكان بيرو ، وفى عام ١٩٤٠ أعطى التعداد ٤٠ ٪ فقط من جملة السكان للهندود ، وكما هو الحال فى بقية أجزاء أمريكا الاسبانية فقد أصبح الهندود مختلطين أو مستيزو وربما بدرجة أسرع عن ذى قبل . وبطبيعة الحال جزء من هذا الظاهر صاحب الإختلاط الجنسى ولكن الشيء المهم هو تناقص فى نسبة الفلاحين والهندود الذين انغمسوا نسبياً فى الحياة السياسية والاقتصادية لبيرو وزيادة أعداد المواطنين أو المتحضرين فى العالم الجديد . فالجماعات التى تعتقد فى نفسها ألائكا أو الكيوشو أو الهندود أصبحت أعدادها أقل بينما زاد أعداد سكان بيرو . وإذا ما استمر الاتجاه الحالى وإذا ما استمر التقدم الصناعى وزادت نسبة المتعلمين واستمر الرخاء فإن بيرو سوف تصبح أمة حديثة تتمم بوجود طبقات اجتماعية وحرفية واقتصادية مميزة غير أنها لا تستند على أى معايير يفترض أنها بيولوجية ولا يستطيع أحد التأكيد عما إذا كان وضع بيرو فى الإقتصاد العالمى سوف يستمر فى اتجاهه الحاضر .

أهم مراجع الباب الثالث

- 1 — Barton, R. F., *The Kalingas : Their institutions and Customs law*, Chicago, 1949.
- 2 — Keesing, F.M., *Taming philippine Headhunters*, Stanford, 1934.
- 3 — Kroeber, A.L., *peoples of the philippines*, Newyork, 1958.
- 4 — Worcester D.C., *headhunters of northern luzon*, National geographic Magazine, Vol. 23, No. 9, 1912
- 5 — Gann, T.W.F., *Maya cities, A record of 'exploration and adventure in Middle america*, London, 1927.
- 6 — ————, *History of the Mayas*, New York, 1931.
- 7 — Hay, C.L., *The Maya and their Neighbors*, New York, 1940.
- 8 — Stephens, J.L., *incidents of Travel in central america, chiapas and Yucatan*, New York, 1841.
- 9 — Thompson, J.E., *The rise and fall of May a civilization*, Normon, Okla, 1954.
- 10 — Bennett, W.C., *The archeology of the central andes*, In J.H., Steward *handbook of South american indians*, Washington, 1946.
- 11 — ————, *andean culture history*, american Muesum of natural history, Handlook No. 5. New York, 1949.
- 12 — James, P.E., *latin america*, New York, 1942.
- 13 — Means, p.A., *ancient civilization of Andes*, N.Y, 1931.

الباب الرابع

جماعات المجتمعات الحديثة

١ - قرية مراكية

٢ - قرية هندية

قرية مراکشية

قرية مراکشية

يمتد ذلك الجزء من العالم العربى والذي يعرف جغرافيا بشمال إفريقيا على طول الحدود الجنوبية للبحر المتوسط. ابتداء من المحيط الاطلسى غربا إلى حدود مصر شرقا . وهذا الشريط الخصب الذى يفصل منطقة الصحراء الكبرى عن البحر يحتوى فى أرضه مجموعة من الدول العربية تضم مراکش وتونس والجزائر وليبيا . وبصفة عامة تتمتع هذه المنطقة بمناخ البحر المتوسط بفصلية الميزتين فمن شهر أكتوبر وحتى شهر مارس يكون الشتاء باردا مطيرا .

أما فى الصيف أى فى بقية العام فالمناخ حار جاف . والزراعة هى أهم الموارد الإقتصادية فى المنطقة كما أن غالبية السكان من المسلمين وأن كانت شمال إفريقيا ومنطقة الشرق الاوسط قد شهدت عبر التاريخ هجرات متعددة وغزوات مختلفة وضعت أساسا للجموعات السكانية فى هذه المناطق . بمعنى أن التجانس الظاهر بين سكان العالم العربى هو نتيجة لتاريخ حضارى وسلالى معقد .

أما مراکش التى تحتل الركن الغربى القصى من شمال إفريقيا فقد كانت خاضعة لحكم السلطان حتى بعد إستقلالها عن فرنسا إذ يمارس السلطان وظيفته أساسا كقائد وزعيم دينى للسكان المسلمين . أما إداريا فقد انقسمت المملكة فيما معنى إلى ثلاثه أقسام وهى مراکش الفرنسيه التى كانت أكبر الاقسام الثلاثه ومراكش الاسبانيه التى كانت محمية أسبانيه ثم منطقة طنجه . وحتى فى عصر البلايستوسين كانت شمال إفريقيا منطقة حديه للحضارات الراقية التى نمت فى أماكن أخرى فأول التأثيرات الحضارية التى وفدت إلى المنطقة صاحبت جماعات البحر المتوسط التى حملت الزراعة وقدمت من منطقة الهلال الخصيب

في غضون الالف الثالثه ق.م وحملت معها القمح والشعير والخضروات والمساعز والاعنام والخناير وقطعان الماشيه . ويعتقد أن هؤلاء الوافدين كانوا هم أسلاف سكان البربر الحاليين .

وفي حوالى عام ١٨٥٠ ق.م تمكن الفينيقيون من تأسيس مدينه قرطاجنه التى تقوم مكانها الآن مدينه تونس ، وربما كان لهم علاقات تجاريه مع السكان المحليين غير أنهم لم يؤسسوا مستعمرات ثابتة لهم هناك. إذ ان الانتشار الرومانى قد حطم نهائيا قوة قرطاجه أثناء الحرب اليونانيه حيث أصبح الرومان بعد عام ١٤٦ ق.م هم سادة شمال إفريقيا . وفي عام ٤٢ ق.م. أسست موريثانيا (مراكش) كمقاطعه ، إذ تكونت المستعمرات وقدمت إلى المنطقه عديد من الحضارات . وربما بسبب رغبه الرومان فى السيطرة على تجارة البحر المتوسط أقاموا مدنا عديدة فى المنطقه غير انه مع القرن الرابع الميلادى خبا ضوء الامبراطوريه الرومانيه من شمال إفريقيا وأنقسمت أراضيها إلى ممالك عدة .

غير أن الفراغ السياسى والتجارى الذى خلفه الرومان سرعان ما ملأه المد الإسلامى الكبير فى غضون القرن السابع الميلادى إذ وفد العرب من الشرق وسرعان ما غنوا المدن والمراكز التجاريه . وهكذا وجد سكان مراكش وحتى عامه الشعب فى القرآن دستوراً فأقبلوا عليه ، ثم حدث بعد ذلك الغزو الثانى الكبيرى للمسلمين فى غضون القرى الحادى عشر الميلادى وضمت هذه الغزوة اعداد كبير من القبائل البدويه التى وفدت من شبه الجزيرة العربيه حيث استقرت فى المناطق الزراعيه فى شمال إفريقيا واختلطت إلى حد كبير بسكان البربر الاصليين ونتاج عن هذا الاختلاط السكان العرب الحاليين الذين يعيشون

في ريف شمال إفريقية إذ أن بعض البربر لم يتقبلوا الوافدين الجديدين ومن ثم انسحبوا صوب الجنوب إلى المناطق الصحراوية والجبلية وإلى أعلى الأنهار وهي نفس المناطق التي يتواجدون فيها في الوقت الحاضر . وبعض هؤلاء القوم مستقرون يمارسون نوعا من الزراعة البدائية الجافة كما إن البعض الآخر رعاة بدائيون . ويعرف هؤلاء بأسماء متعددة إلا أن أكثرها شيوعا الشوايا والتبائل والشلوح والريف . وفي مناطق الصحراء أصبح البربر رعاة جمل وهم الذين يطلق عليهم اسم الطوارق .

وقد وصل التوسع الإسلامي إلى أسبانيا في عام ٧١١ م ومنذ تلك الفترة وحتى دخول المسيحية لأسبانيا في خلال القرن ١٥ شهدت المنطقة حضارة كبيرة وذلك بالمقارنة بالمراكز الأخرى في العالم العربي . وقد أطلق على عرب أسبانيا اسم المور وذلك نسبة إلى مورتانيا في شمال إفريقية ومن ثم فكلية المور بالإنجليزية تعني مملكة مراکش الحالية . وقد طرد عديد من المور واليهود من أسبانيا بعد عام ١٤٩٢ حيث استقروا في مراکش كما أن بعض المور الأسبان تجمعوا في بعض مناطق معينة كما فعل نفس الشيء يهود أسبانيا والذين يتحدثون لهجة اندلسية أسبانية قديمة .

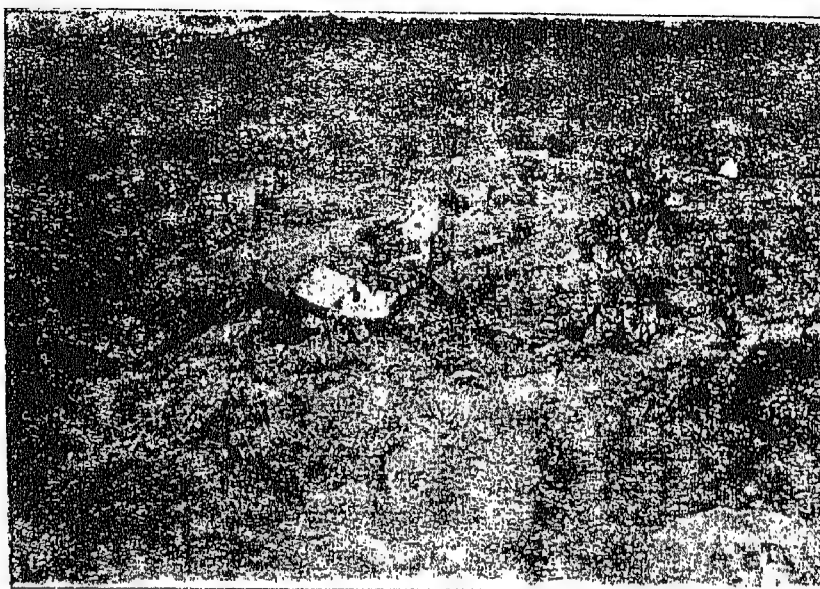
ويعود بداية النفوذ الأوربي في شمال إفريقية إلى إحتلال الفرنسيين للجزائر في عام ١٨٣٠ ثم التونسي في عام ١٨٨١ . وفي عام ١٩٠٧ بدأ الفرنسيون يغزون مراکش كما بدأ الأسبان يوسعون قبضتهم على عديد من مدن المستعمرات ومن ثم كانت مراکش آخر دول العالم التي استعمرتها القوى الأوربية . وقد حارب المراكشيون الأسبان والفرنسيون حرب العصابات تحت قيادة ثائر الريف المعروف عبد الكريم بحيث لم تخضع كل أراضي أسبانيا للقوى الفرنسية إلا بعد عام ١٩٣٠ .

وتعتبر مراکش اليوم من أكثر الدول العربية إستقراراً ، وتأثير الحضارة الأوروبية على شال إفريقيا مختلف ومتنوع كما أنه ليس مجرد تأثيراً سياسياً . فكل الغزاة السابقين للأوروبيين كانوا على مستوى تكنولوجى واحد غير أن الاختلاف كان يكمن أساساً فى التنظيم السياسى والتجارى والحربى غير أن آخر الغزاة كانوا يمثلون التكنولوجيا الصناعية الأوروبية ومن ثم كانوا قادرين على تقديم العناصر الكفيلة بتطوير أحوال الحياة لدرجة لم تشهدا دول شال إفريقيا من قبل .

وتعكس قرية المديونة التى تضم ما يقرب من ٣١٥ شخصياً فى منطقة طنجة الدولية النتائج الحضارية الرئيسية المختلفة فى تاريخ مراکش . فقد اختلط البربر والعرب هنا مع اللغة العربية والديانة الإسلامية والحضارة السائدة هنا كغيرها فى بقية المحلات العمرانية المراكشيه . والملامح الطبيعية للسكان بربريه أساساً وتتصف بالقامة الصغيرة وناء الجسم الثقيل والوجه المربع والعضلات القوية والشعر البنى الداكن واللحية والشارب الطويل ولون البشرة أبيض تشوبه السمرة من فعل الشمس . وتسود اللغة العربية بين السكان ولا يتحدث أحد باللغة البربرية . وقد درس قرية المديونة الدكتور وليم شورجر فى عام ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ومن ثم فوصف القرية يعتمد على المعلومات المستقاة من دراسته فى هذا الوقت . (شكل ٢٠)

تقع هذه القرية على بعد ميل من ساحل المحيط الأطلسى وتنفصل عن الساحل سهل فيضى يستخدم للزراعة والرعى . والمظهر العام للأرض يذكركنا بجنوب كليفورنيا وأجزاء من ساحل البحر المتوسط. الأسبابه حيث يميل الجو إلى الدفء والجفاف وتسود النباتات الشوكية والنباتات التى تتحمل الجفاف مثل

— ٢٢٥ —



شكل (٢٠) قرية المديونة

Palometto والكثيرى التى أحضرها الأسبان من أمريكا . والمورد والهام هنا الأرض الخصبة بالإضافة إلى الصخور المتجمعة التى يصنع منها القرويون أحجار الطواحين اليدوية التى تعتبر فى الاقليم لإنتاجا متخصصا يباع فى الأسواق الخارجية . ومن الصفات الخاصة الأخرى التى ترتبط بالمنطقة الرياح إذ أن اتجاه الرياح له أهمية فى مراكش وفى معظم الاقليم الغربى للبحر المتوسط فالرياح هنا رياح غربية محملة بالأمطار أما الرياح الشرقية والمعروفة باسم السيروكو فتسود فى فصل الجفاف وذلك بعد أن تقطع مسافات طويلة فوق أراضى حارة الأمر الذى يجعلها تحمل إلى طقس المنطقة حرارة وجفاف أكثر من المعتاد . وتهب رياح السيروكو بعنف وقد يستمر هبوبها بضعة أيام ترتفع فى أثنائها درجة الحرارة إرتفاعا كبيرا كما تجفف المياه وتجرق الحشائش والمحاصيل وتخلق فوق ذلك كله توترا فى الأعصاب بين السكان وإذا يحرص المور فى أثنائها على التواجد داخل المنازل والأقلال من العمل كلما استطاعوا ذلك .

وتعتبر الزراعة والرعى الحرف الرئيسية لسكان القرية ، أما قطع الأحجار فهذا عمل ثانوى متخصص يعتمد عليه كدخل نقدى يستعمله سكان القرية فى الحصول على ضروريات حياتهم من خارج محلتهم العمرانية . وسكان هذه القرية مثل أى قروين آخرين فى أى مكان مكثفين ذاتيا لدرجة كبيرة مع وجود روابط سياسية واقتصادية بالدولة بالقدر الذى يجعلها جزءا منها . وعلى الرغم من القرب من البحر إلا أن السكان ليس لديهم أى توجيه إقتصادي نحوه فليس لديهم قوارب كما أن كل تقاليدهم تتجه نحو اليا بر .

والتنظيم السياسى للقرية يشبه تنظيمها الإقتصادى يتصف بقدر كبير من بالذاتية فشكل ١١ قرية يحكمها شيخ وكل قرية يرأسها مقدم الذى يختار فى العادة

عن طريق مجلس القرية الذي يقوم بدور رؤساء العائلات، وإلى جانب المقدم توجد وظيفة أخرى واحدة وهي وظيفة المأذون والذي يمينه مجلس القرية للعناية بالمسجد وإقامة شعائر الصلاة. ولا تأخذ الأصوات في المجلس لاي قرار إذ يتبع الإتجاه العام أكثر من القاعدة. فبحكم القانون لقاء المجلس مفتوح لكل السكان وفي العادة يعقد خارج المنازل وللتشريعات نادرة جدا إذ أن الإجتماعات تعقد فقط من أجل النظر في حالات السرقة أو الاعتداء وذلك بناء على طلب المجنى عليه. ولا يوجد هناك إتجاه للحرية ضد المجتمع حيث لا يوجد شخص مجنى عليه أو متضرر. فإذا ما خرقت تعاليم الإسلام فليس هناك من متضرر ولكن عقاب ذلك سوف يتلقاه الفرد يوم الحساب.

وملكية الارض فردية، ومعظم الحقول والاراضي الخصبية يمتلكها الاهالي الذين يعملون بها. وفي بعض الحالات قد يعمل بعض الافراد في الارض على أساس المشاركة في المحصول أو نظير التأجير النقدي إذ أن الربا والفائدة. من الامور التي منعه القرآن، وقد يتبع الجامع قطعة صغيرة من الارض يتخذ دخلها لتغطية نفقات المسجد. ويملك سكان من خارج القرية حوالي ١/٣ الاراضي التي تقع حولها، ومعظم أراضي الرعي مشاعة تمتلكها القرية ككل وحرية الرعي فيها كفيلة لاي فرد. وهذه أراضي حدية ليست في جودة الاراضي التي تستخدم في الزراعة غير انها قادرة على الإنتاج ويمكن إستخدامها لزراعة المحاصيل لاي شخص ليس لديه أرض. وبعد مضي عشر سنوات من الممكن للفرد أن يعان عن ملكيته لهذه الارض، ومن ثم لا توجد أي عائلة لا تمتلك أرضا في القرية كذلك مصادر المياه ملكية مشاعة فيمكن لاي فرد أن يستغل مياه بئار القرية كما يسمح لاي شخص أن يروي زراعات حدائقه،

وأهم محاصيل الحقل الذرة الرفيعة والقمح إلى جانب محاصيل أقل أهمية مثل الحنظل والفول والشعير والذرة . وقد تتبع دورة زراعية غير أنه لا تستخدم متخصبات فى الحقل . وقيمة السماد البلدى معروفة لذا يستخدم فى الحدائق غير انه كافى لإستخدامه فى الحقول الكبيرة . وتزرع محاصيل الحقل قبل بداية موسم الامطار الشتوية وتخصد مع الربيع حيث تغطى محصولا سنويا واحدا . أما القطع المخصصة للحدائق فتروى وتغطى محاصيل مستمرة وكلها تقع فى مناطق تسمح مياهها الجوفية فى أن تتدفق على هيئة ينابيع يمكن إستغلالها فى الري ، ومن ثم فهى محددة وكل مواقعها مستقلة . وأهم منتجات الحدائق الفجل والبطاطا والطماطم والبذنجان كما أن التين والكمثرى هما أشهر المأكلة التى تزرع إلى جانب التماح والبرقوق والعنب غير أن هذه المحاصيل لا تلقى عناية خاصة .

ويتطلب الحرث والبذر مجهودا كبيرا ولكن ما أن تثبت المحاصيل حتى يقل الجهد إلى أن تأتى فترة الحصاد . وعملية الحصاد تقوم بها النساء حيث تذهبن بصحبة الفتيات لقطع القمح أو محصول الجيوب ثم حمله إلى مكان عام خصص للدرس . وهناك توضع أكوام نبات القمح على الارض ثم يقوم الابكار بحرق النورج الذى يقطع لنبات ويفكك الجيوب وبعد ذلك يقوم الرجال بذر الجيوب حيث يتطاير النبن ويبقى القمح وذلك بواسطة المذراة . ويستخدم التبن كغذاء للحيوان بينما تنقل الجيوب لتخزن فى المنازل وذلك بعد تنظيفها .

وأهم الحيوانات المستأنسة الماشية حيث تحلب الابكار وتستخدم الثيران فى حرث الحقول . أما الحقول والبغال فقد تستخدم أحيانا فى عمليات الدرس ولكن لا تستخدم أبدا فى عمليات الحرث . والاغنام والماعز والطيور والكلاب حيوانات أخرى يستخدمها الاهالى والخنازير محرمة تربيتها خلال العام الإسلامى كما أنه

ينظر إلى الكلاب على أنها غير نظيفة إذ لا تعامل كما يعاملها الأوربيون. وتحلب
الاعز في نفس الوقت الذي تعتبر فيه الأغنام مصدرا هاما للصوف وكلها تستخدم
لحومه كطعام على الرغم من أن لحوم الأغنام تفضل عن لحوم الماعز .

ويعتبر الحارفي عالم البحر المتوسط ذات أهمية إقتصادية كبيرة لأنه هو وسيلة
المواصلات الوحيدة لأغلبية العائلات هناك كما أنه من السهل تربيته وذلك على
المقيض من الحنول الباهظة الثمن في شرائها وتربيتها والتي تمتلكها الاسر الموسرة
فقط ويكون امتلاكها كنوع من الوجاهة أكثر من الناحية العملية أما البغال فهي
أصلب وأزنع ولستخدامها أكثر.

وصناعة التيجير صناعة محلية متخصصة في المديونة حيث تعتبر هذه القرية
المصدر الذي يوزع كل شمال غرب مراکش بالاحجار فأغلبية سكان مراکش
مازالوا حتى الآن يطحنون حبوبهم على الرحى الحجرية وقرية المديونة كانت
مصدرا هاما لاستخراج أحجار الرحى منذ العصر الروماني على الأقل وذلك نظرا
لوجود نوعا من الصخور المجمعة التي تصلح لصناعة هذه الرحى . ويعرف كل
رجال القرية البالغين تقريبا طريقة قطع هذه الاحجار وتصنيعها حيث يلجأون
إلى هذا العمل كإحتياجوا إلى نقود بمعنى أن هذه الحرفة وقتية ولا يوجد بها
مخترفين يعملون كل الوقت .

والفرص الإقتصادية محدودة جدا في المديونة وذلك خارج العمل الزراعي
وقطع الاحجار . والاتصال التجاري للملاحين قاصر على السوق الذي يقع قريبا
منهم في مدينة طنجة فالقرية ذاتها لا يوجد بها محل أو سوق ولا مقهى . إذ أن
القرويين يستطيعوا أن ينتجوا معظم حاجاتهم الضرورية من طعام ومأوى
وصوف خام للملابسهم . أما الملابس الأخرى والادوات المعدنية وآنية المطبخ

وبعض الاطعمة المرغوبة كالنوايل والشاي والسكر والسمك وزيت الزيتون
فكلها أشياء تشتري . وليس هناك حاجة للقول انه لا يوجد شخص هناك لديه
كل الاشياء التي يرغب في شرائها والتي توجد في محلات وسوق المدينة .

ولباس القرويين هو اللباس المعتاد عند العرب ويشترى جميعه من المدينة
فيما عدا العمة واللاسة فتصنع محليا . وينسكون رداء الرجال من بنطلون واسع
صنع من أقشة قطنية ملونة بألوان داكنة وقميص ذات أكمام يرتدى فوقه صدرى
ملون مطرز بمزيد من الازار الصغيرة . وفي بعض الاحيان يوضع قميص آخر
من القطن الابيض فوق الصدرى . وعندا التقيص الثانى ليس له أكمام أو كوله
ويشد غطاء الرأس لايه بواسطة رباط . ولذا لم يلبس القروى عمامة أو قبعة
مصنوعة من لسعف فانه يضع فوق رأسه لاسة من القطن يبلغ طولها ما بين
٢٠ و ١٨ قدما . ويرتدى سكان القرى دبلج أو نعال مصنوعة من جلد الماعز ويتلف
كل اللبس السابق الذى يرتدى خارج المنزل روب صوفى ذو أكمام قصيرة وهود .
ويرتدى هذا الروب أو الجبة على مدار السنة فى فصل الشتاء يحبى صاحبه من
الامطار والبرد وفى الصيف يحميه حرارة الشمس . وكذلك يسمى الهود مرتديه
ويستخدم عند ارتدائه كمسكان لوضع حافظه النقود . (شكل ٢١، ٢٢)

وتعد هذه الجلابة Jelaba كما تعرف فى المغرب رمزا لمركز الشخص .
فالعمال والفلاحون على سبيل المثال يرتدون أروبا أو جلبيه بنيمه لانظهم فيها
الاسواخ بينما يرتدى طلاب المدارس وكبار الرجال أروبا بيضاء . ومعظم
الرجال ولاسيما وهم مسافرون يملون معهم مظاريف جلدية كبيرة تحت
الارواب تعلق بشرائط فى أكمامهم وذلك ليضعوا فيها الاشياء القيمة والاوراق
والنشوق أو المعسل .

— ٢٤١ —



شكل (٢١) ملابس الفلاح



شكل (٢٢) مغربي من قرية المديونة

ورداء النساء كما هو الحال في بقية الدول أكثر تنوعاً من الرجال غير أنه في مراکش نجد أن خطوطه العرضية تشبه ما لدى الرجال فهي عبارة عن بنطلون واسع وبلوزة وصديري عادي بالإضافة إلى قليل من الأشياء التي تميز ملابس النساء . حيث تلف حول الوسط قطعة كبيرة مربعة من الأقمشة القطنية كقميص وتوضع قطعة أخرى فوق الرأس تعرف باسم بابوشكا أو ربوزد Rebozo بالاسبانية وهي تستخدم لأغراض حماية الرأس كما تستخدم أيضاً في حمل الأطفال وتستخدم النساء أيضاً الحنة في تلوين أيديهم وأرجلهم كما يستعملوا الكحول .

ويخلق الرجال رؤسهم غير أنهم يطلقون شواربهم مبكراً كما أمكن ذلك ، أما ترك اللحية فصفة لمركز كبار السن . أما قص شعر النساء فليس له أهمية إذ أن تعاليم الإسلام تقضى بأن تغطي النساء رؤسهن . وترتدى النساء فقط المجوهرات التي تصنع أساساً من الذهب وتشمل الحلقات والعقود والاساور . وهذه المصوغات تعتبر ثروة المنزل وتدل على مقدار ثراء الأسرة ، وهي تباع وتشتري تبعاً للظروف الاقتصادية للأسرة .

والأسرة في قرية المديونة والتي تضم الزوج والزوجة والأبناء وفي بعض الأحيان الأقارب المستنئين تعتبر أساساً أساس الوحدة الاقتصادية . فكل أسرة مكنتية ذاتياً ، والقرية في حد ذاتها عبارة عن تجمع غير منظم لمنازل الأسر وكل منزل مسور ويشمل داخله المنزل وحظيره الحيوان والمطبخ ومكان تربية الدواجن ثم فرن خارج المنزل . ويبني الصخر من الأقمصاب وهو مرتفع لدرجة يصعب منها رؤية ما بداخله .

والإحساس العام الذي يوحى به مظهر القرية أنها تتكون من جماعات خاصة تهتم كل البعد عن التخطيط بل تكون مجرد تجمع سكاني .

وقد صمم المنزل من أجل الحماية من الطقس أكثر من كونه بيئة اجتماعية جيدة فهو في العادة يشبه الكهف ذات الشكل المستطيل ، حوائطه قوية وسقفه منحدر وبه نافذتان صغيرتان في الحائط الأمامي . وتتكون عديد من المنازل من حجرة واحدة تبلغ مساحتها ١٠ X ١٥ قدما بنيت من كتل حجرية غير منظمة بواسطة مونه من الطفل . وتتكون بعض المنازل من حجرتين أحدهما أماميه والاخرى خلفيه . وقليل من المنازل التي تمتلكها الاسر الكبيرة أو الغنية تتكون من أربع حجرات . أما منازل الاثرياء فتمدهن من الداخل كذلك تدهن الحوائط الخارجية التي تواجه الرياح .

وتؤكد تعاليم الإسلام الفصل النوعي في كل الامور ومن ثم ففي تنظيم المنزل يراعى ضرورة وجود مكان منفصل لتجمع الرجال ، كما لا بد وأن تحظى النساء في أثناء زيارة ووجود الرجال وإذا ما كان المنزل يتكون من حجرة واحدة فلا بد وأن يكون هناك كوخا ملحقا بالمنزل تقوم النساء بالعمل به والجلوس في أثناء وجود غرباء بالمنزل . أما إذا كان المنزل يتكون من وحدتين أو أكثر فيخصص نصفه لإستعمال الرجال والنصف الآخر للنساء .

وهنا يجب ملاحظة أنه حتى في خيم البدو في المناطق الصحراوية العربية يخصص جزء من الخيمة للحريم بوضع ستار حاجز .

والمنازل دائمة ومستقرة ولا يتذبذب السكان كثيراً وقد تبني منازل جديدة غير أنها نادرة وحيثما يبني منزل جديد يحتفل بانتهائه عن طريق ذبح شاة وتلطبخ بعض دمائها على الباب وذلك من أجل طرد الارواح الشريرة وعند الانتقال إلى منزل جديد يحتفل صاحبه بدعوة أصدقائه وأقاربه لتناول العشاء والذي يسبقه تناول اللبن المحلوط بالعسل أو زيت الزيتون واللذان

يشرا أيضا في أركان المنزل لطرد الارواح الشريرة .

وأثاث المنزل ضئيل أو معدوم إذ يجلس الناس على حصير وضع على الارض وفوقه بعض الوسائد أو جلد الماعز . أما الاسرة فعبارة عن مرتبة محشوة بالقش ترتفع قليلا عن سطح الارض . وقد يشغل حيزا كبيرا من الفراغ في المنزل صناديق التخزين وجوالات الحبوب المخزونة والبصل والثوم المعلق وبعض المستلزمات الشخصية . أما أدوات الطهي فتخزن خارج المنزل في مكان الطهي .

وتتناول الاسرة في المديونة ثلاث وجبات خلال اليوم وجبتان خفيفتان عند الفجر والظهر وأخرى أكثر دسامة عند المساء ويصنع أنواع عديدة من الخبز من خليط القمح والشعير كما أن الذرة غذاء أساسي . واللحوم غالية ومن ثم فاستعمالها قليل . وهي تقي في زيت الزيتون وتشوح كما تقدم الخضروات .

أما المشروبات المستعملة فهي المياه واللبن ولكن لا يشرب احد اثناء الطعام ، ويقدم الشاي دائما في المناسبات الاجتماعية . ولا تستخدم مشروبات روحية بسبب تحريم الإسلام لها .

وتبدأ الطعام عادة بالبسملة وكل وجبة طعام تقدم في وعاء واحد يوضع في وسط الذين سوف يتناولوا الطعام حيث يقوم كل واحد منهم بأخذ نصيبه بيده ومن قواعد الاداب أن تستخدم اليد اليمنى لحسب في الطعام وإذا ما وجد ضيفا فن عادة المضيف أن يختار من الطعام قطعة جيدة ويقدمها للضيف . ويعمد المور دائما بغسل أيديهم جيدا قبل تناول الطعام ولا يرغبون في استعمال الشوكة لأنها غير نظيفة إذ يستعملها أناس عديدون .

وعادات الكرم ولاسيما بالنسبة للمشاركة في المشرب والمأكل تعتبر من أهم الالتزامات في عرف الاسلام إذ يعتبر المسلمون أن غذا فرقا جوهريا بينهم وبين غيرهم فالرفض أو الامتناع عن مشاركة الضيف أو الفقير في الطعام عمل لا يرضى عنه سبحانه أو البشر . كذلك فرفض ما يقدم اليك من طعام يعتبر أهانه . وعند تناول الطعام في حضرة ضيف يأكل الرجال أولا ثم النساء والأطفال .

وتتحدد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد في القرية لدرجة كبيرة بالاتجاه العام في السن والنوع والقرابة فعظم سكان القرية متصاهرين بطرق معقدة إذ أن الزواج المفضل في العالم العربي هو زواج الأقارب ولاسيما أبناء العم إذ يفرض على الولد أن يتزوج ابنة عمه . والزواج ليس محدد تحديدا صارما في قرية المديونة وذلك لصغر المجتمع ولقرابه من المجتمعات الأخرى ومن المدينة ولكن رغم ذلك فإن ٧٩٪ من حالات الزواج تتم من داخل القرية ويعيش الأزواج الجدد في منازل خاصه بهم في أى مكان ومن ثم فلا يوجد تكدرس وتنظيم الأقارب في منازل متجاورة أو أحياء في القرية وإذا مات زوج رجل امرأة من خارج القرية يكون الزواج ابويا بمعنى أن الأطفال لابد وأن ينشأ في قرية أبيهم ولكن مرة أخرى لا تكون القرية ذاتها سببا لسكن الأقارب ولهذا السبب فإن أبناء العمومه لا يفرق بينهم السكن .

وحقيقة أن الملكية فردية وأن الاسر النووية تنفصل عن بعضها بما يتناسب مع نمط مصطلحات القرابة . فوالد الشخص يلقب بمصطلح مختلف تماما عن مصطلح العم كما أن الخال له تميز آخر . وبالمثل الأم والخاله والعمه كل منهم يلقب بلقب مختلف عن الآخر ، وإذا كان الشخص من نفس الجيل فاطفال هؤلاء العمات والخالات والخالان كل منهم له مصطلح خاص . بمعنى أن ابن الاخت يميز عن

ابناء الاعمام كما ان اولاد العم يميز بينهم على أساس نسبهم لاعائلة الاب أو عائلة الام . وهذا النوع من العزل يستمر ايضا في جيل الأطفال غير انه في حالة جيل الاجداد والاحفاد فترك مصطلحات القرابة بدون تميز .

وعلى الرغم من حقيقة أن كل أفراد القرية متقاربين إلا أن السلوك الاجتماعي والذي يتقرر أساسا تبعا لدرجة القرابة وتبعا للسن والنوع . فبين الأقارب نجد ميلا بين الشخص وخالة في المعاملة ببساطة أكثر من ميلا نحو عمه الذي يعد في منزلة والد آخر ولكن لا توجد حواجز أو مسافات اجتماعية يمكن ملاحظتها بين المجموعات المختلفة من الأقارب بالدرجة التي توجد بين القبائل البدائية . ولكن بين النوعين ولاسيما إذا كانا بعيدا القرابة أو غرباء تكون الكلفة شديدة للدرجة ليس لها مثيل في أي حضارة أخرى في العالم . ووجهة النظر العربية أن الرغبة الجنسية لا يمكن مقاومتها إذا أن النساء تجذب في العادة الرجال الذين لا يستطيعون المقاومة ولهذا يفصل الصبي عن الفتيات إذا ما بلغوا مرحلة النضج وفي العادة يبعد النساء عن الرجال أكثر من بعد الرجال عن النساء . فقسم الحريم في المنزل خصص أساسا لأوى اليه في حضرة الرجال إلى المنزل . وإذا ما كان هناك ضرورة لخروج السيدة إلى الشارع فلا بد وأن تغطي وجهها عند المرور على الرجال . وفي قرية المديونة لا يرتدوا الحجاب ولكن يوضع على الرأس ثمال يقوم مقال الحجاب في بعض الأحيان .

وحياة الافراد في قرية المديونة يحفظها عددا من الاحتمالات والازمات التي توجد من أي مجتمع كالميلاد والزواج والمرض والموت وغير ذلك . فالولادة ينظر اليها على انها من اختصاص النساء فحسب فلا يحضرها رجل ابدا رغم أن المعلومات عن عملية الولادة جد ضئيلة . فالسيدة الحامل تظل تؤدي اعمال المنزل بنشاط إلى أن يأتيها الام الخاص فتذهب إلى مكان الحريم بصحبه أقاربها

واصدقها وقابلة القرية . وتحدث عملية الوضع والسيدة جالسه على طرف مقعد أو صندوق وإلى جوارها سيده اخرى تساعد . اما القابلة فتستقبل الطفل ثم تقطع حبله السرى وتمتسله وبعد ذلك تعطيه لأمه ليرقد إلى جانبها على السرير وعلى النقيض من شعوب عديدة في العالم لا تقام احتفالات ميلاد الطفل او تقطع حبله السرى .

وفكرة ارضاع الطفل بانظام قد تبدو غير انسانية لسكان قرية المديونة إذ يجب ارضاع الطفل حينما يرغب في ذلك كما انه لا يجب ان يرضع الطفل من ابن امرأة غير أمه .

وبعد مرور سبه ايام على الميلاد يعطى الطفل اسما ومن الممكن أن يكون أى اسم ولكن القاعدة العامة التى يميل العرب اليها وهى تسمية الطفل الاول باسم محمد لا توجد هناك لا يسموا ايضا الاطفال على اسماء أحد الاقارب واحتفال التسمية بسيط إذ يجتمع الاقارب والاصدقاء وتمنن الاسرة الاسم . ونفس الاحتفال يعقد لكل من الذكور والاناث ولكن يفضل الانباء الذكور في بعض الاحيان وحتى في احتفال التسمية تكون الاستعدادات أكثر في حالة لو كان المولود ذكرا . ونسبه وفيات الاطفال مرتفعه غير ان الاهالى يتقبلون هذه الحقيقه بسهولة وربما يرجع عدم تسميه الطفل إلا بعد سبعة ايام إلى الرغبة في مرور ايام الخطر الذى يحتمل أن يموت فيها الطفل .

وتمارس عملية الطهارة لكل الاولاد وهى ضرورة اسلامية ، وتم العملية بين عمرى ٣ ن ٧ سنوات ونادرا ما تجرى بعد ذلك السن ويقوم باجراء هذه العمية متخصصون وتجري احتفالات لذلك .

وينظر للزواج على أنه حالة طبيعیه لكل البالغين، فالصبي لا بد أن يتزوج ظلماء يستطيع أن يـ

أسرة. والزواج رابطة بين العائلات فمن الناحية النظرية لادخل للعريس أو العروس في عملية الاختيار . وعلى الرغم من أن زواج الإسلام المتدخل بين ابن السهم و بنت السهم إلا أن الاختيار النعمى للزوجة في قرية المنيون يتوقف أكثر على المميزات الاقتصادية التي تترتب على المصاهرة بين عائلتين وبطبيعة الحال زواج لبناء الاعمال له تأثير على استقرار المجتمع اذ ان الزواج من عائلة الاب سوف تحافظ على المصادر الاقتصادية الاساسية وعلى المركز الاجتماعى ولكن كما هو متوقع فى وقتنا الحاضر حينما تكون المجتمعات أقل استقرارا فالعائلات التي تجد مصلحة اقتصادية فى زواج معين قد تعرف عن اتباع عادة زواج بنات السهم لابناء السهم .

وترتيبات الزواج يقوم بها اساسا والد الصبي فالاب يختار العروس وبقية الاسرة تستشار فى هذا الصدد ثم تجرى الترتيبات بعد ذلك دون علم الولد أو الفتاة على الاطلاق . وقبل الزفاف يدعى الصبي إلى أسرة الفتاة ولكن ليس من المفروض أن يرى عروسه وكهزم من ترتيبات الزواج هو دفع نقود وتقديم الاطعمه بالاضافه إلى تقديم أهل العريس زوج من الشباب إلى العروس . وتستخدم النقود فى شراء الشبكة التي تعتبر ملكا خاصا للعروس ولتكون تأمينا لها ضد الذكبات والطلاق . أما الطعام فيستخدم فى حفل الزفاف الذي يعقد فى بيت العروسة أما الشبشب فهو رمز لرحله العروسة إلى منزل الزوجية .

وتستغرق حفل الزواج ذاته ثلاثة أيام فبعد القران يتم فى اليوم الاول بين والدى العروسين ، وفى خلال اليومين الاول يبقى كل من العروسين فى منزلها يرحون وينمون مع اصدقائهم فى احتفالات بسيطة وفى اليوم الثالث يحلق العريس ويرتدى ثيابا جديدة ثم يحتفل به اصدقائه على هيئة غداء عزاب بينما

تزين العروس في منزل ابويها بصحبة اقاربها وفي وقت متأخر من الليل ينسل من وسط اصدقائه ويذهب إلى عروسة .

ويسمح الاسلام للزوج ان يطلق زوجته لاسباب محددة غير انه لا يمكن للزوجه ان تطلق زوجها وفي الواقع قد يكون اهل الزوجه من القوة بحيث يمكن حمايتها وربما يكون للرأى العام تأثير اقوى من القانون من هذا الصدد والزنا من جانب الزوجه يعتبر جريمة لا تغتفر وسبب قوى للطلاق وعدم انجاب سبب آخر للطلاق حتى في اسرة الزوجه اذ ان المفروض من الزواج هو انجاب الاطفال . رجل واحد في قريه المديونه حاول ان يزيد من حجم اسرته عن طريق الزواج من امرأتين في وقت واحد مع العلم بأنه في الامكان أن يتزوج من اربع نساء غير انه لا يوجد بالقريه من لديه الامكانيات على ان يقوم بهذا العمل .

وتعالج الامراض في القريه بطرق ماديه وروحيه فالكسور والقطوع والحلوش وماغيز ذلك تعالج بالطريقه العمليه اما الامراض غير المنظورة والمحولة الاسباب فتعالج باستخدام انواع متعددة من الاعشاب والتشريط وبعض الاوليه الذين قد يستخدموا الطبول لطرد الارواح الشريرة من المريض .

وينظر إلى الموت على أنه رحله من عالم صعب إلى عالم السلام إلا ان مراسم الجنائز تشبه إلى حد كبير تلك الموجودة لدى معتنقي الديانه المسيحيه فتغسل الجثه بالماء والصابون وتكفن في قماش قطنى ابيض وتغطى ببشكير قطنى أيضا وفي اليوم التالي لوفاة تجرى مراسم الدفن ويشترى الخبز والتين خصيصا لمراسم الدفن حيث يوزع على الناس الذين يحضروا الدفن ، وتوضع الجثه في خشبه تحمل إلى المدفن ويسير حولها المشيعون . ويوضع الميت في الحدة ثم يوارى

التراب ويرتقب القرآن . وبعد الدفن يقيم المأتم لمدة ثلاثة أيام

أما عن معتقدات أهالي قرية المديونة فهي تشبه تلك الموجودة في بقية أنحاء مرا تكش ترتبط أساسا بتعاليم الجماعات السنية إذ من المعروف ان الاسلام قد أنتشر في هذه المناطق وانه في خلال الزمن حدث اختلافات محلية في اتباع تعاليم السنة ومن ثم فالسلوك الفعلي والشعائر والمعتقدات التي قد توجد في قرية معينه قد لا تتفق تماما مع تعاليم الاسلام . على أى حال فليس هناك أى قرية اسلاميه منعزله عن تيار الاسلام وتكون ديانته خاصه بها

والاسلام مثل المسيحيه دين عالمي إذ ينظر المسلمون إلى الاسلام على انه آخر الاديان وانه تتمه للرسالة الساوية التي نزلت قبله . ويعتمد الدين الاسلامي على ثلاثه معتقدات أولها في وحدانية الخالق والايان بوجوده والثاني وجود الملائكة وهم وسيلة الاتصال بالبشر والمعتقد الثالث هو الايمان بالحياة الآخرة وان كل فرد مسئول عن عمله الدينياري . ويعتبر المسلمون القرآن دستورهم والحديث الشريف منارا يوضح لهم السلوك الصحيح ويعتمد الاسلام على خمسة اركان وهي شهادة الا الله إلا الله واقامة الصلاة وحج البيت ودفع الزكاة وصوم رمضان

وسكان قرية المديونة يتبعون تعاليم دينهم غير ان البعض يجهل عنها بعض عنها الاشياء . ويعتبر المسجد في قرية المديونة هو مركز النشاط الديني سكا يضم ايضا مدرسة اقرية . والشيخ أو الفقي وهو رجل الدين المتعلم - هو الموظف الوحيد الذي يتقاضى أجرا من سكان القرية وواجبه الاول هو تعليم الصغار الى جانب اقامة عديد من الانشطة الدينية ، ولا يوجد شيخ معين بالقرية يختص بأقامة شعائر الدين بل يمكن ان يقوم بهذا العمل أى شخص متعلم ومن ثم يعتمد إلى معلم الاطفال الاضطلاع بأقامة شعائر الدين والتي لهمها صلاة الجمعة .

وتعتبر الاعياد الدينية من أهم الاحتفالات التي تتم في قرية المديونة ومن أبرزها مولد النبي الذي يحتفل به في اليوم الثاني عشر من الشهر الثالث الهجري وحيث تستمر الاحتفالات سبعة أيام . كذلك يقام احتفال آخر في خلال موسم الحج وهو العيد الكبير حيث تنحدر الذبائح ذلك إلى جانب العيد الصغير والاحتفال بيوم عاشوراء .

وعلاقة قرية المديونة بالاروبين محدودة وغبر مباشرة ففي وقت دراستها كان لا يوجد بها سوى شخص أوربي واحد وهو انثروبولوجي كان يقطن القرية بالإضافة إلى أن حوالي ٧٣٠ فدانا من اراضيها الزراعية قد بيعت إلى اوروبيين يقيمون خارجها . ولم يحدث ذلك نتيجة لضغط الاوروبيين على الاهالي انما قد باعوا اراضيهم بمحض ارادتهم إذ أن الرغبة في الحصول على المال كانت دافعا قويا وراء ذلك . ويبدو أن اتجاه بيع الارض في قرية المديونة كان يسير مع الاتجاه العام في مراكش حيث فقدت البلاد انذاك استقلالها الاقتصادي والسياسي وربما ومن المؤكد أن الهجرة إلى المدن الكبرى كانت مصاحبة لهذا الاتجاه . على أي حال فلا بد وأن الأوضاع قد تغيرت في قرية المديونة في غضون الفترة التي أعقبت دراستها بحيث تأثرت بالتيارات الاقتصادية والسياسية الجديدة التي طرأت على شمال إفريقيا .

قرية هندية

قرية من قرى الهند

تمثل محاولة وصف قرية من قرى الهند إحدى الصعوبات الرئيسية لدى دراسى السلالات الذى يقوم بنحصر أحدا للجماعات التى تمثل جزءا حضارة قديمة عظيمة معقدة ، أكثر من كونها دراسة مجتمع مكتفى ذاتيا ومتجانس إلى حد ما فى معظم القبائل . فإن قرية واحدة فى دولة كالهند فى غاية التعقيد . فالقرية فى حد ذاتها لها وحدة فعلية ولكن أكثر نساءها ينتمون إلى مجتمعات أخرى ، كما ينتمى كل فرد منها إلى طائفة ما ، وبقدر عدد الطوائف فى القرية هناك تنوعات فى العادات يلتزمون بها خارج القرية أيضاً ، كما أن هناك فى كل قرية هندية عدد من المسلمين ، ومن ثم تتعايش ديانتان عظيمتان جنباً إلى جنب فى قرية .

وقرية «شاميربت» Shamirpet تحتوى على ٢٥٠٠ نسمة ، يتركزون فى هضبة «الدكن» على مسافة ٢٥ كم من مدينة حيدر أباد . واللغة التى يتعلمها معظم السكان هى «التلوجو» Telugu ولكن كثيرون يتعلمون الأوردية ، والنسبة يتحدثها المسلمون فى شمال الهند ، كلغة ثانية . وفيما عدا ذلك فإن قرية شاميربت تتميز بكل السمات التى نجدها فى المجتمع الريفى فى وسط الهند وشبه الجزيرة . والتركيب الاجتماعى للقرية يتمثل فى طوائف نمطية . وبين السكان الهندوس هناك ١٤٠٠ نسمة ينتمون إلى «الطوائف النظيفه» و ٦٨٠ نسمة من المنبوذين . وأما المسلمون خارج الطوائف فهم حوالى ٣٤٠ نسمة . واثنان من أدنى الفئات فى الطوائف النظيفه أناس قدموا حديثاً من مجتمعات قبلية . وتوزيع الناس بهذا الشكل إلى طوائف هو إحدى الطرق التى تشكل بها المجتمع الهندى .

وقرية شاميربت ليست قديمة ، وإن كانت طرقها كذلك . وطبقاً للأساطير فإنها تأسست منذ ٣٥٠ عاماً مضت حين أمر الحاكم المسلم لمدينة حيدر أباد

بناء خزان مياه كبير . حينئذ استقر عدد كبير من الذين اشتركوا في بناء المشروع في نفس المكان وصرعان ما لحق بهم مستوطنون جدد جذبهم تسهيلات الري الموجودة . وظلت القرية إقطاعية تنتمي إلى عائلة مسلمة كبيرة حتى عام ١٩٤٨ ، حين ضمت حيدر أباد إلى جمهورية الهند ، ومنذ ذلك التاريخ لم يصبح لحيدر أباد حاكم بالوراثة ، بل دخلت في إطار الحكم الإداري الحديث .

وتتميز هضبة دكان بالمظهر الريفي . ففيها الحقول الخضراء ، الخضبة ، والصخور القاحلة ، وتحيطها الأشجار الضخمة والشجيرات دائمة الخضرة والعدد الهائل من البحيرات والخزانات التي تزين المنطقة وتصنع منظراً ساحراً . ويبلغ متوسط الأمطار خمسة وعشرين بوصة سنوياً والمناخ دافئ طوال العام وإن لم يكن مريح طوال العام .

وينتهي سكان قرية شامربت إلى الشعوب التي تتكلم الدرافيدية والتي أضافت مملكتها القديمة الكين في صنع الحضارة الهندية . ومن الناحية السلافية فإن سكان المنطقة يمثلون خليطاً متجانساً من عناصر كثيرة . فالمسلمون ينحدرون من أجداد اعتنقوا الإسلام في نفس المنطقة وليس من مهاجرين من الشمال ، ومن ثم فهم لا يختلفون كثيراً عن الهندوس في الشكل .

وأما عن الثياب والتزين فإن المسلمين والهندوس يختلفون كثيراً . فالملوكة الهندوسية تتنوع حسب الثروة . فكل الهندوس ، ماعداً أكثرهم غنى ، يلبسون الرداء الهندوسي النصفي أو الدوتي dhoti وعليه قيص . والفتيات يلبسن جنله بسيط وبلوزة . وأما الأغنياء فيلبسون ثياباً مختلفة ، وتظهر الاختلافات أكثر في مناسبات معينة . فربما يرتدى الرجل معطفاً ، وربما يرتدى «بيجاما» بدلاً من الدوتي أو الهندلون الضيق الذي جاءت منه البيجاما الغربية . وتقدر النساء

الثريات بالسارى . ويزين الهندوس أنفسهم بالذهب والفضة . وتتحلى النساء بالحلقات والعقود والحلخال والحزام والخواتم فى الايدى والارجل على السواء . وأما المسلمون فيلبسون بطريقة متشابهة فالرجال يلبسون سروالا واسعا وقيصا . وأما خارج البيت فهم يلبسون معطفا طويلا مزررا حتى العنق وطربوشا أحمر أو طاقية من صوف الغنم الأسود . وتلبس الفتيات جوبا بحزام فى الحصر ووشاحا رقيقا حول الكتفين . والنساء المتزوجات يلبسن سارى وبلوزة ، كما يجب أن يتحجبن فى حضور الرجال فيما عدا الأقارب المقربين ، وكذلك يلبسن خارج البيت عباءة تغطى جسدمن من قمة الرأس إلى أقصى القدم .

والقرية لم تنشأ بنخطة محددة . فالشارع الواسع الرئيسى تحده المباني البيضاء الحجرية التى تقع فيها المكاتب الحكومية المتعددة ، والمدارس ومكس البريد والنحال الصغيرة . وفى الحارات الضيقة المنعرجة التى تنفرع من هذا الشارع يعيش أفراد الطوائف النظيفه من مسلمين . وأما الطائفتان المنبوذتان وعدد من الصادين الحرفيين فيقيمون فى مناطق منعزلة عن القرية . والحوارى الضيقة عادة ما تكون قذرة لأن أصحاب المساكن يلقون بالقمامة فيها . وعلى إحدى الطائفتين المنبوذتين أن تسكن الشوارع ، وبمساعدة الخنازير والكلاب فإنها تنجح فى ذلك .

ومنازل القرية ذات ثلاثة أنماط رئيسية . أوسعها وهو المعروف باسم « بهوانتى » يعيش فيه أثرياء المزارعين والناجحون من الحرفيين . وأكثر بيوت المسلمين من هذا النمط . والمنزل يتكون من خمس أو ست حجرات يحيط بها فناء واسع وسور . وداخل الفناء نجد حظيرة المواشى وحظيرة آلات الزراعة وأدوات المنزل . وحوالى ست منازل من هذه المنازل الراقية بها مرابض صحية صغيرة ،

في داخل الفناء . والمنزل نفسه حجري وسقفه مغطى بالقرميد وله فراندة تطل على الفناء والحجرات منظمة بطريقة تكون صحنًا من ثلاثة جوانب . وأما أثاث الحجرات فهو رث وغير مريح . فهو عبارة عن عدد من المقاعد الخشبية والسكنبات التي تسكني للجلوس . وأكثر القطع راحة عادة هو السرير . ويزين الأثاث والجدران والأبواب عادة رسوم وزخرفة .

كما أن المنزل العادي متوسطي الحال مبني من الحجر وسقفه مغطى بالقرميد ولكنه أصغر حجماً بكثير وأقل فخامة من البهوانتي . وإن كان هناك فناء فإن ما فيه من أملاك يبلغ نصف ما في البهوانتي تقريباً . وأما منزل الفقراء «الجدس» وهو حجرة واحدة من الطين مسقوفة بالقش . وليس فيها ما يذكر إلا أدوات طبع بسيطة .

وقرية شامربت أكبر من قرية شان كوم وأكثر تعقيداً . والزراعة هي الحرفة الرئيسية ولكن فيها كثير من الحرف الأخرى . ففيها صناعة الفخار والحلاقة والتجارة والنسيج والسكى والرعى . وكل حرفة من هذه الحرف تختص بها طائفة معينة وإن كان بعض أعضاء الطائفة يزرعون مساحات متفاوتة من الأرض .

وأهم محاصيل المنطقة الأرز والذرة العويجه كما تزرع والذرة الشامية والبقول السوداني وبذور التربة الأخرى إلى جانب الدخان وبمجموعة كبيرة من الخضروات ويحميد والقمرويون للسميد واستخدام الري بوسائل الشادوف القديمة ، كما يستخدمون الساقية التي تديرها الثيران والأبقار في معظم الأحيان . كما يملكون الأبقار والجاموس التي تمثل جزءاً هاماً من مصادر الغذاء ولكن الماشية في حالة يرثى لها نتيجة انعدام التغذية الجيدة ولا توفر كمية كبيرة من

اللبن . وتقوم طائفة الرعاة برعى قطعان الماعز ، كما يتولى تربية الخنازير طائفة أخرى تسمى «إركالاس» كما يربون لمعداد كبيرة من الدجاج والخيوانات الأليفة كالكلاب . وعدد القطط في القرية كبير ولكنها لا تعتبر أليفة .

وأهل قرية شامربت لا يجدون التغذية الكافية بالمعايير الحديثة . وحتى الميسورين منهم يعانون من سوء التغذية الكاملة . فهناك فيتامينات معينة غير متوفرة كما أن البروتين والدهون لا تكفي السكان ، خصوصا بين الطبقات المنخفضة الدخل . وعادات الأكل وبمكوناته تتنوع في القرية فالبراهمة والكموميت طائفتان نباتيتان ، فهم يمتنعون من أكل البيض وأيضا السمك . كما أن الهندوس جميعا لا يأكلون الأبقار . وأما المسلمون فيأكلون الأبقار ولكنهم لا يأكلون الخنازير . والسمك واللحم غالية الثمن جدا ولا يستطيع من يأكلونها أن يدفعوا ثمنها في الغالب . والسكان جميعا يحبون الزبد واللبن ، ولكنها نادران ومرتفعان الثمن حتى أن قليلا من الناس هم الذين يستطيعون أن يستخدموها في الغذاء اليومي . والخضر والفاكهة هي التي عادة ما تضاف إلى الأرز المسلوق في غذاء غالبية السكان اليومي .

والنظام الإقتصادي للقرية بوجه عام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنظام الطوائف . فعظم الطوائف تمارس احتياكا حرفة أو مهنة معينة ، رغم حرية بعض أفراد الطائفة في أن يمارسوا وظيفة جانبية أخرى ، كالزراعة أو عمل يومي . وكل الطوائف ترتبط ببعضها البعض ارتباطا قويا في المساهمة في اقتصاد القرية . وشعور الطوائف بالإرتباط والمشاركة ومقياسها عظيمان جدا ، فكل طائفة لها دور في الإقتصاد وهو أساسي بالنسبة للأسرة وكل طائفة مغلفة على نفسها ولا القرية ضيقة فإن على كل رجل أن يجد زوجة له من قرية أخرى ، ولذلك فإن علاقات المصاهرة وزمالة المهنة توجد بين أعضاء الطوائف في القرى الأخرى ،

ولكن في داخل القرية نفسها فإن العلاقة بين الطوائف يخلقها تخصص العمل العضوى وسلوك أعضاء الطوائف مع الطوائف الأخرى تحكم تقاليد قديمة راسخة ومعظمها تقرر أن الاختلاف أو الفارق الاجتماعى مانع كبير للزواج كما تنقسم الطوائف بنظامها المتدرج في المراتب .

ويعتقد الهندوس أن مجتمعهم كان مقسماً أصلاً إلى خمس مجموعات تدعى فارنوس (الملوتين) : والثلاثة الأول منها وأكثرها أهمية كذلك هم البراهمة (وهم القساوسة والمتعلبون) والثانية هم الكشاترين (المحاربون والحكام) والثالثة هم الفيشيون (وهم التجار) . وهذه الطوائف كانت تعد مولودة مرتين والمجموعة الرابعة هى الطوائف الإسطيطانية وهى أدمن من الطوائف السابقة ، ولكنها لا تعتبر من المنبوذين . والمجموعة الخامسة كانت تشمل على الطوائف المنبوذة . وفى قرية شامربت فإن النظام الحالى أكثر تعقيداً . فالطوائف الحديثة تنظم فى نظام طباقى :

وكل الطوائف مغلفة على نفسها وكلها تعرف بهـذا النظام الطباقى . وأكثر أشكال الإعتراف بهذه الطبقة هو رفض الشخص لأن يتناول طعام من يد أى عضو فى طائفة أدنى . ووضع كل فرد دائم وثابت ، فهو يولد . فى طائفة معينة ولا يمكن أن يتغير وضعه إلى أعلى أو إلى أدنى . وكثيراً ما كانت تقسم الطوائف فى الماضى حتى أن بعض الطوائف أصبحت أقساماً مغلفة على نفسها أعلى أو أدنى فى الأقسام الأخرى . ولا يتزوج عضو فى قسم من نفس القسم الذى يندمى إليه دائماً يجب أن يتزوج من قسم مختلف .

ويقدم أعضاء الطوائف خدماتهم دون انتظار عائد مباشر . فهذه الخدمات

تعد واجبا على الطائفة كما أن الطائفة الأخرى سوف تردّها يوما ما . فالزراع مثلا يحصل على أدوات جديدة كل فترة من النخار ، وأواني فخارية من الفخار ويخلق له الحلاق ، إلى آخره ، ثم يقوم بدفع كل هذا بعد حصاد عامين من محصوله . وترسخ العلاقات المهنية بين الأفراد وتصبح تقليدية عبر أجيال الأسرة في الغالب . والذين يحتاجون خدمات مؤقتة من صاحب حرفة عليه أن يدفع مقدّما وليسوف يجد القرويين الفريق لا يتعاملون بالنقد بقانون في أجورهم .

وأما مجتمع المسلمين في القرية فليس فيه طوائف ولا طبقات . وهم عادة يتمتعون بدخل مرتفع كما أن حكم مدينة حيدر آباد كانوا مسلمين حتى وقت قريب وهم يفخرون بأنفسهم . وأكثر المسلمين يشتغلون بالتجارة وآخرون من أثرياء المزارعين . وأما الهندوس فلهم ديانة أكثر قدما ويشعرون بالتفوق على المسلمين . وحتى عام ١٩٤٨ كان للمسلمين سند في الدولة ولكن بعد أن انتهى حكم المسلمين بدأ الهندوس يظهرون احتقارهم الصريح للمسلمين ولكن هذا الاتجاه خفت مدته بعد أعوام قليلة من ذلك رغم أن المجموعتين لاتزالان تؤمنان بتفوقيهما الأصلي ، وفيما يتعلق بالاقتصاد الاجتماعي فإن المسلمين يعتبرون نوعا من الطائفة تعادل بشكل ما طائفة الهندوس الزراعية ويسخر الهندوس من عادات المسلمين مثل عدم لثفاتهم إلى التقاليد الطائفية في الزواج كزواج أبناء العم . كما يعتبر المسلمون متظاهرين بالنسبة للهندوس (يأكل المسلم أرزا حامضا في بيته ويخرج يلحق شفتيه ويدعى أنه أكل أرزا محمرا ولحما شيا) كما ينظر المسلمين إلى الهندوس أنهم جبناء وحمرء .

والتنظيم السياسي للدولة يتمثل في حالين متميزين تماما . لإحدى الطائفتين هي التي تنبثق من القرية ذاتها وتقرر أكثر شئون القرية العادية لمجتمعا ودينا .

والمجموعة الثانية هي ستة من الممثلين للحكومة الهندية وهم مسؤولون عن جمع الضرائب والسجلات الرسمية والبوليس ، وأهم هؤلاء الممثلين من وجهة نظر القرويين هو (البساتواري) لأنه المسؤول عن سجلات الأرض والعوائد . كما تعين الحكومة بمجموعة من أربعة عشرة عاملاً يقومون بالأعمال اليدوية الخاصة بالقرية ، وعلى رأس المجموعة المحلية من الموظفين هو رئيس القرية وهذا الشخص هو أغنى فرد في القرية وهو يتوارث الوظيفة عن أجداده . وإن لم تعد له نفس السلطات القديمة فإنه لا زال يتمتع بتأثيره العظيم في فض المنازعات في القرية . وعادة فإنه لا يتخذ قراراته الهامة بطريقة تعسفية ، ولكنه يستشير مجلس القرية الذي هو أهم أعضائه ، ويتكون المجلس من أكثر الأشخاص ثراء وتأثيراً في القرية وزعماء الطوائف المختلفة والجماعات الدينية وهو يشتمل على سبعة وعشرون عضواً . واختصاصات المجلس متنوعة فهو يساعد الرئيس على فض المنازعات التي لا تعرض على المحاكم الحكومية . وينظم احتفالات القرية ويبادر دائماً بتخطيط مشروعات تنمية المجتمع وبالرغم من أن هناك عصبية متعارضة كثيرة تعارض أى قرار فإن الأقلية دائماً ما ترضخ في سبيل تماسك المجتمع . كما أن الطوائف تقوم بالقسم الأعظم في عملية الضغط الاجتماعي . فكل طائفة ترتبط بالطائفة المماثلة لها في مناطق أخرى في حفظ تقاليد الطائفة وكل طائفة بالقرية لها رئيسها المتوارث الذي ينفذ قواعد السلوك التقليدية . وأى خروج من هذه التقاليد فإنه يحاسب صاحبه بينما تعرض الحالات الأكثر خطراً على مجلس القرية .

والوضع الاجتماعي للأفراد يقرر بانتمائهم للطائفة ، ورغم ذلك فإنه يمكن الصعود في السلم الاجتماعي إذا أحرز قدر من الثراء ، فمثلاً أحد الفلاحين المنبوذين أصبح مزارعاً غنياً في القرية وصار مشهوراً . وهو يشغل مركزاً مثيراً فيها .

رغم أنه لا يزال يحترم تلك الطوائف الأعلى منه ورغم أنه لا يزال منبوذاً إلا أن صوته في المجلس له نفوذه . ويتأثر التمييز الطبقي كذلك بالسن فكبار السن أكثر احتراماً ولهم من السلطات ما ليس للشباب ، وكذلك فإن المراكز العليا في الطائفة ذاتها تتحدد بإحراز مهارات معينة وسمات شخصية معينة ، فالقدرة على التحدث والبلاغة ميزة عظيمة كما أن خفة الدم تلاقى تقديراً عظيماً . وينال التعليم أهمية متزايدة في الوقت الحاضر ، فالتعليم يتيح للفرد فرصة العمل في الحكومة وينال حقوقه في العالم الحديث . وفي عامي ١٩٥١-١٩٥٢ على كل حال لم يكن أهل القرية يناولون أكثر من أربع سنوات من التعليم .

وعلى كل مستوى فإن الرجال يحتلون مكانة أعلى من النساء ، وبصفة خاصة في الشؤون العامة . فالرجال يحتلون كل الوظائف السياسية . ويقتصر عمل النساء على الشؤون المنزلية . والوظائف التي يحتلونها في الشؤون العامة غالباً ما تكون غير مباشرة وثنائية . والتقسيم الجنسي للعمل صارم فلا يمكن أن يقوم الرجل بالكس أو الطبخ أو جلب الماء . كما لا يمكن أن تقوم المرأة بالحرق أو بيع في السوق ، رغم أن العوانس والأرامل يستطعن أن يقوموا بأعمال الرجال .

وأنماط الملكية الزراعية تكشف تميزاً كبيراً . فمن بين الثلاثة آلاف فدان تمتلك أسرة واحدة ربعها . وتمتلك كل أسرة من ثمان أسر مائة فدان، وعشرون عائلة تمتلك كل منها أربعين فداناً، وستون عائلة تمتلك كل منها خمسة أفدنة وهناك حوالي مائة وعشرون أسرة لا تمتلك شيئاً وحوالي مائة وعشر أخرى تمتلك أقل من خمسة أفدنة . ولا بد أن يعمل كل عضو من هذه الأسر كعامل زراعي أو بالمشاركة مع مالك .

وطالما كان الأب حياً فإن الأسرة تشترك في ملكية الأرض والعمل فيها .

وحين يموت الأب فإن الأرض والمواشي والأدوات توزع بالتساوى بين الإبناء ولعل هذا هو السبب في ضالة الملكية لدى عدد كبير من السكان . ولا يبيعون الأرض إلا في الضرورة القصوى ، وحين يحدث هذا فإن كل الأسرة تعلن الحداد والأرض بالنسبة للفلاح الهندي هي الأم وفراقها يشبه خسارة أسرة . وهم يعلمون المشاشية كأنها أعضاء في الأسرة وموت أحسبها أو بيعها يسبب حزناً شديداً .

ووحدة الأسرة العادية في شامريت هي من خلال الأباء والأبناء ، اذ يتصل السكن عن طريق وراثته الأبناء . ونظرياً فإن على الأبناء أن يعيشوا في نفس المنزل لكي يخرجوا جيلاً جديداً ، كان عددهم كبيراً . ولكن هذه الأسرة المشتركة لا تنتشر كثيراً على كل حال ، وبصفة خاصة بين الأسر الفقيرة ، لأن الأرض الضيقة باتتاجها الضئيل لا تستطيع أن تكفيهم ، وكثيراً ما تنشب المشاجرات عند انفصال الأسر المشتركة . ولكن الخصومة لا تستمر طويلاً لأن أفراد المشتركة يجدون أن عليهم أن يشتركوا في أمور كثيرة . فالأعياد والاحتفالات والطقوس التي تتعلق بأمور الحياة الهامة كالميلاد والزواج والموت .

وبعد مولد طفل مناسبة هامة يحتفل بها احتفالاً كبيراً خاصة إذا كان الطفل الأول للزوجين . وهم يفضلون الأولاد بصفة تقليدية . وأما البنات فليست ذات أهمية كبيرة لأنها سوف تنقل إلى أسرة أخرى بعد الزواج . ولكن في التعامل اليومي فلا يبدو أن السكان يعطون حياً أكبر للأولاد . وعند الولادة فإنه يعتقد أن الأم وأقرب النساء إليها غير طاهرات .

وفي اليوم الثالث أو الخامس فإن طقوساً معينة تقام لتطهر أعضاء الأسرة جميعاً ما عدا الأم . وفي اليوم الواحد والعشرين أو الثلاثين في بعض الطوائف

يختارون للوليد اسما ويخلقون رأسه ويضعوه في مهده.. وتستحم الام لمصاحبة بعض الطقوس حتى تصبح طاهرة مرة أخرى . ويصحب هذا الاحتفال وغذاء يشارك فيه الاصدقاء والاقارب . وتشارك كما جرت التقاليد بعض الطوائف الهندية في هذا الاحتفال ويتنبأ الراهمة للولد بمستقبله وتقوم زوجات الحلاقين بدور الداية بالنسبة للطوائف النظيفه ، ويتولى الغسالون أمر الملابس والفراش .

ويلاقي الاطفال عناية كبيرة من قبل الام « فهي ترعاه كلما طلب ذلك ، كما أنه محل اهتمام جميع أعضاء الاسرة وأحيانا يطعم الوليد لبن الام حتى سن الرابعة أو الخامسة ثم يفقد الطفل الاهتمام في الخامسة تماما .

ففي هذا الوقت يمكن أن تكون الام قد ولدت طفلا آخر ، ويدفع الغلام في سن الخامسة لكي يلهو مع أقرانه وتبدأ الاسرة في تعليمه السلوك الطيب من الخيشت . ويتزايد سلطان الاب يوما بعد يوم ويتزايد احترام الابن له كلما كبر . وتم الام بالدرجة الاولى بتدريب بناتها وبصفة خاصته تعليمهم لمواجهة المشاكل التي سيلاقونها بعد زواجهن .

وبداية البلوغ الجنسي تمثل تغيرا بارزا . وأول دورة شهرية للفتاة تقام لها الاحتفالات والطقوس . تعزل حتى انتهاء الفترة ثم تغتسل وتلبس ثيابا جديدة وتظل الاسرة تقيم العبادات للالهة الذهبية في البيت ثم تأخذ مجموعة من النساء الفتاة ويكمن الطقوس عند ضريح الاسرة. وهذا الإحتفال يعلن أنها قد أصبحت امرأة وأنها قادرة على الزواج . وأما بالنسبة للاملسان فان بلوغهم يأتي تدريجيا ولا يحتفل بتغيرهم الجنسي مثلما يفعل للفتيات .

وعند البلوغ يجب أن يتزوج الشاب . ويتم الزواج عن طريق التفاوض بين الامر المعنية دون الرجوع إلى رغبة الشباب . وقد حدثت عدة حروب عاطفية

ولكنها تعتبر خروجاً على القواعد المتواضعة . وأفضل زواج هو بين أبناء العم ولكننا لا نتحدث كثيراً على كل حال . وفي كل الحالات يجب أن يتزوج الشاب فتاة من خارج قريته . وفي كل حالات الزواج تقريباً يجب أن توفر أسرة الزوجة زوجة .

وتختلف طقوس الزواج من طائفة لأخرى ولكن أثر السنسكريتية واضح فيها جميعاً . فيبدأ والد الزوج في المفاوض وتقام حفلة الزواج في بيت العروس . وإذا كان الزواج في قرية غريبة فعلى أسرة الزوجة أن توفر بيتاً لإقامة أفارب العريس . وفي أول يوم يعد عشاء كبير ترحيباً بالضيوف ثم يقام الزواج في اليوم التالي . وأول طقس هو عبادة اله الأسيرة والذي يشترك فيه العريس والعروس . وأهم طقس هو « لاجنام » الذي ينشر فيه البراهمة أشعارهم ويضع العريس عنقاً من الحب الأسود حول عنق العروس ويضع الخواتم على أصابعها الصغرى . وآخر طقس في الزواج هو جلوس العريس والعروس بين دنان البخور والسنار المتصاعدة حيناً يرتل السكاهن أشعاره المقدسة . ثم تقام طوس ثانوية أخرى وأخيراً تودع العروس مع عريسها وأهلها بين أغاني المراق الحزينة .

وطبقاً للتقاليد فإن إرادة الزوج مطاعة لأنه سيد زوجته وهي خادمه الخالص المطيع . وأى إنسان في شامربت يقول أن هذا هو المفروض ولكن الواقع يختلف شيئاً . وفي السنوات الأولى من الزواج فإن استقلال الزوجة يكون أقل منه . بعد سنوات حين تربي البنات وتشارك بدور حاسم في إدارة البيت .

وإذا كانت تعيش في أسرة مشتركة مع حماها وحماها فإن وضعها يكون قلقاً شيئاً ما ، وذلك يرجع إلى إصرار الحاة على أن تكون الزوجة خاضعة طبقاً

للتقاليد . ولكن كثيرا ما يتوق الزوجان الحديثان إلى الإستقلال ببيت لهما ، وكثيرا ما ينقلان ذلك حين تسمح لهم قدرتهم المالية .

وعلى غير ما يعتقد كثير من القبائل فإن الهندوسى والمسلمون يعتقدون أن الموت يحدث بسبب أسباب عضوية . ولكن فى حالات الوفاة الشاذة ينسبون أسباب الموت إلى قوى خارقة كالسحر أو غضب الآلهة . وفى مجتمع الهندوس يمارس حرق جثة الميت ودفنه . ويدفن الاطفال عادة عند البراهمة البالغين وبصفة عامة ، فإن المعمرون والاثرياء من الناس يحرقون بينما يكتفى المتبنون بالدفن .

وحين يتوفى شخص فإن الخبر يرسل إلى الاصدقاء والاقارب وتغسل الجثة وتكفن وتربط فى نعش من الخشب يغطى بالقماش ويزين بالازهار . وتصحب فرقة موسيقية النعش إلى المدفن أو أرض المحرقة . وقبل أن يوضع النعش فى المحرقة أو القبر فإن أكبر الورثة يرش الماء حول المحرقة أو القبر ثلاث مرات . ثم يشعل أحد الاقارب النار أو إذا كان يدفن فإن كل الاقارب يشاركون فى وضعه فى القبر . وفى طريق عودتهم فإنهم يأخذون حماما تطهيرا فى الطريق . وإذا حدثت الوفاة فى موعد طيب فإنه يعتقد أن الروح سوف تصعد إلى خالقها فوراً ، وأما غير ذلك فإنها سوف تخلق فوق البيت لمدة أحد عشر أو ثلاثة عشر يوما .

وفى اليوم الثالث للوفاة فإن البيت يطهر بتنظيفه وغسل كل الثياب والفرش والنخيل من أدوات المطبخ كلها . وفى اليوم الحادى عشر أو الثالث عشر يقدمون الطعام والماء للروح ويخلق الاقارب شعورهم ويستحمون ويقيمون احتفالا آخر . وبين الطوائف السامية فإنهم يجمعون الطعام المحرقة

وينثرونها فى نهر مقدس . وفى بعض الحالات فإن الأسرة الغنية تأخذ للعظام إلى نهر الجانج أقدس نهر فى الهند . وفى العيد المتألى للقرية فإن الأسرة تقيم احتفالا للروح حتى تستقر فى ضريح الأسرة مع باقى أرواح الجدود .

وأشكال الوفاة الشاذة مثل حادث مروع أو كارثة ، تفسر على أنها عن عمل القوى الخارقة . فربما تعادى أرواح الجدود أقاربها الأحياء ، وربما تنتقم آلهة القرية من المعتدين عليها ، وربما تكون نجوم النجس سببا فى الكوارث . والكاهن البراهمى هو الذى يستطيع أن يصف الدواء لهذه الكوارث . فأرواح الاجداد تسترضى بالاعتذار والصلاة لها . وآلهة القرية عادة ما تطلب التضحية بأحدى الماعز أو الغنم . وأما إذا كانت النجوم هى الغاضبة فإن الصوم وإقامة الطقوس هى السبيل . وعادة ما يستشار الكاهن قبل زراعة محصول ما إذا كانت النجوم تباركه أم لا .

وأما السحر والاشباح الشريره فتحتاج خطوات أكثر حساسية . وكما يعتقد فى كثير من أنحاء العالم فإن للساحر لغة خاصة به ولا يمكن أن يعرف ، وإن كان الناس يستطيعون أن يخمنوا من فاعل الشر ، وأما الاشباح فهى أكثر صعوبة ، والسبيل الوحيد هو تجنبها ، ولكن بعضها يمكن أن ترويضه ، وأصبح فى خدمة أشخاص معينين . وهم يظنون أن الاشباح هى ارواح انتقام لبعض الأشخاص الذين لم يكونوا راضين ساعة موتهم . والنساء الجوامل ، والذين ينتحرون والأشخاص الذين يموتون وهم يكرهون شخصا ما والذين يقتلون فى شباهم والغارقون يمكن أن يصبحوا اشباحا بعد الموت .

ومعظم المشكلات اليومية التى تصادف الناس فى حياتهم وتطلب مساعدة القوى الخارقة يصلون ويقسمون الطقوس من أجل حلها ويضجون لروح الاجداد

أو الالهة . وأكثر هذه الطقوس شيوعاً هي الصوم في أحد الأيام أو التقدير بالصوم في يوم قادم إذا تحققت رغبة أو قضيت حاجة .

والديانة الهندوسية هي مجموعة هائلة ومتنوعة من العناصر المتباينة . فبالإضافة إلى المعتقدات الفولكلورية في الأشباح وأرواح الأجداد والشياطين نجد تراث هائلاً من المعتقدات في الآلهة والالهات والصلوات والطقوس والاحتفالات . وبالإضافة إلى ذلك نجد أن الأشخاص والأسر والطوائف الخاصة تكون جماعات دينية مستقلة في كل مجتمع . وأما الإسلام فإنه على عكس هذا الكم المتضارب والمفكك . فالمسلمون في شامربيت ينتسبون إلى المذهب السني ويتبعون تعاليم السنية كما وجدت في القرآن .

وفيما عدا البراهمة فليس للهندوس وقت معين للعبادة ، ولا يزور المعبد في القرية يومياً إلا بعد ضئيل . فهم لا يلجأون إلى الالهة إلا في أوقات الشدة وأثناء احتفالات القرية وكما يوجد في شامربيت فإن الهندوسية ليست نظاماً كلاسيكياً ثابتاً وإنما دين آلى يتمثل في الصوم والأعياد والاحتفالات والطقوس المعروفة لمواجهة الاوقات الحرجة في الحياة . فهو دين عملي أكثر منه دين روحي .

والاحتفالات الدينية تنقسم إلى ثلاثة أنواع : احتفالات أسرية ، احتفالات طائفية احتفالات قروية . والاحتفالات الطائفية والاسرية عديدة ومتنوعة ولا يمكن وصفها هنا بالتفصيل . وأما احتفالات القرية فأقل عدداً ولكنها أكثر يرواً في حياة المجتمع إذ يشارك فيها الجميع بما فيهم المسلمون ولعل أهم الاحتفالات السنوية هو الذي يقام لبوخاما وهي الهة الجدرى . ولا يؤمن المسلمون بآلهة الديانة الهندوسية ولكنهم يخافون من آلهة القرية المحليين مثل بقية أهل القرية ولذلك فهم يشاركون في الاحتفال .

وتبدأ الاستعدادات مبكرة في أول اليوم . فتأخذ كل أسرة إزاء جهديده من الفخار وتزينه بألوان جميلة وتحملا بالارز كقربان للآلهة . ويدور كاهن في نفس الوقت في أنحاء القرية ليجمع الارز والزيت من جميع من بالقرية . وقبل أن يبدأ وقت الاحتفال تبدأ جماعة الماديحان في دق الطبول لجمع الناس لمسكان وسط القرية وحين يأتي الجميع حاملين أوانيهم من الارز (يونام) فان الموكب يسير وراء الطباخين خلال القرية . وكلما اقترب الموكب من ضريح الالهة تلبس روحها بعض الناس ويروجون في غيبوبة . وفي الضريح يقدم الكاهن إلى الإلهة قربان الارز الذي قدمته القرية . ثم يقدم القربان الفردى الذي يقدم كل شخص إلى الإلهة في ترتيب حسب درجة كل طائفة ودرجة كل أسرة داخل الطائفة . واختيار الكاهن للأسر دائما ما يثير عداوات ومشاكل كثيرة . وتقدم طائفة الرعاة الماعز والاغنام قربانا للآلهة نيابة عن القرية كلها كما يفعل الافراد عن أسرهم . وترك رؤوس الحيوانات وأرجلها في الضريح ولكن الارز واللحم يؤخذ إلى البيوت لإقامة العزائم .

وإيمان الهندوس بالثلاث وهواء الله المنتشر في الهند موجود كذلك في شامريت فالاله براهما هو الخالق وفشنو هو الذي يحافظ على الكون وشيفا هو الذي يدمر ويأما وكر يشفا هي آلهة أخرى ، كما توجد المعتقدات الهندوسية الهامة في طباع القرويين المميزة . وأحد هذه المعتقدات هو معتقد الكارما ، وهو معناه أن مصير الإنسان في الآخرة يعتمد على أفعاله في الدنيا . وهذا معناه الظاهري أن الإنسان يجب أن يختار لنفسه وأنه خير . ولكن يلزم هذا الاعتقاد فكره أخرى هي أن أفعال الإنسان في الماضي تحكم شخصيته في الحاضر وكثيرا ما تجددهم يقولون مثلا ما قدر لنا يجب أن نراه ، ولاراد لقضاء الله وما قدره الله لابد محتوم . ولكن هيبذه المعتقدات بطبيعة الحال لا تمنع الناس من محاولة حل

مشاكلهم ولكنها تبرر روح التسليم التي تتأهب حين يعجزون عن حلها .

وتناسخ الارواح وتوالدها تكون إيمان راسخ عند الهندوس ، فالحياة عملية مترابطة من الوجود لا تنتهى . والشخص الذى يسلك مسلكا طيبا فسوف يدخل الجنة أو يولد فى طائفة أفضل مره أخرى . أما الذى يسلك مسلكا خبيثا فسيذهب إلى النار أو يولد فى طائفة أدنى مرة أخرى ، وإذا كان مسلكه لا يقتدر فسيولد فى جنس من أجناس الحيوانات الدنيا .

وتسم مفاهيم القرويين عن الجنة والنار بالوضوح . فالجنة مكان السعادة فكل من فى الجنة ينالون ما يتمنون فى الحال . وكل الناس فى الجنة يعيشون فى القصور الفاخرة حيث يقوم على خدمتهم جيوش من الخدم . وهناك يأكلون أشهر الطعام ومالذ وطاب وقد قال أحد المنبوذين أنه يعتقد أن فى الجنة تستطيع أن تجد ما تريد من الارز والحبوى . لانه ليس هناك من الموظفين من يسىء اليك أو ينهرك . والنار على العكس من ذلك مكان مفرع ولكنها ليست مستقر الشيطان الذى يدفع الانسان إلى المعصية فالنار تحتوى على مئات من الغرف ، تتدرج فى الرعب أكثر وأكثر ، ويتولى زبانية الله نقل الانسان العاص من كل غرفة مفرعة إلى أخرى أكثر فزعا .

وتختلف الهندوسية عن المسيحية والإسلام فى جوانب كثيرة . فالهندوس فى شامربت يعيشون فى ونام مع المسلمين ، فرغم شعورهم بالفرقة فانهم لا يرسلون الارسلالات لهداية الكفرة ولا يضطهدونهم فالديانة نفسها تتكون من خليط عجيب من الالهة والمعتقدات والعادات والطقوس المحلية . ولو كان المسلمون أقبل تمسكا بدينهم لذابوا فى الهندوسية وأصبحوا من مجموع من تلك المجموعات الكثيرة التي تدخل فى الهندوسية .

ولكن الهندوسية تهتم اهتماما كبيرا بالسلوك الأخلاقي ، رغم الاستعداد . لتقبل آلهة ومعتقدات جديدة . والقمل الطيب الذي يضمن حياة سعيدة في الآخرة يسمى « دارما » . والدارما هو القمل الذي يرعى التقاليد والموروثات ومراعات الصوم والأعياد والحج والاستحمام الطقوس واجتساب ما يدنس المرء . وهناك أنواع من المحرمات خاصة ببعض الطوائف وبعض الأفعال كالزنا والقتل والعنف يفضها المجتمع كله . والدارما هي الخبز على الصواب والنهي عن المعصية .

وتوصف الهند دائما بأنها بلد التسليم بالقدر وعدم الشهور بالزمن ، ولكن سياسته الهند الحالية ، خصوصا سياستها الذرية المستقلة ، تدل على التغير الجذري الذي أصاب الهند ، ولكن ما الذي يحدث في مجتمع صغير كقرية شامربت ؟

أولا يجب أن نعي أن التغيرات التي تحدثت في الهند كدولة قد بدأت قبل الحرب العالمية الثانية وثورة المستعمرات . فلقد كانت الهند معبر الكثير من الثقافات والتأثيرات الاقتصادية والغزو . وما قبل التاريخ يحتفل أن الحضارات العظيمة لنهر السند مثل حضارة موهنجودورا كانت بإيدي المهاجرين . وكانت غزوات الفدا أكثرها بروزا ، ولكنها كانت قايلا من كثيرة ومن الغزوات المعروفة فإن غزوة الاسكندر الأكبر كانت ذو أثر محدود ، ولكن بعد القرن الثاني عشر فإن تدخل المسلمين وتغلغهم فيما عرف بامبراطورية المغولية كان له أثر ثقافي وسياسي يمتد حتى يومنا هذا في مجتمع محدود مثل قرية شامربت .

وقد حدث تأثير آخر وكان من الغرب هذه المرة بسبب الغزو لبرتغالي لجوا عام ١٥١٠ ، ثم توالى المنافسة بين بريطانيا والمانيا وفرنسا الاستيلاء على اقتصاد الهند . ثم قامت الامبراطورية البريطانية في الهند عام ١٧٥٧ .

ولقد أثر الحكم البريطاني الطويل على جواب كثيرة في الثقافة الهندية القومية

وبخاصة في القانون والإقتصاد والحكم . ومنذ انسحاب البريطانيين وتقسيم الهند في عام ١٩٤٧ إلى باكستان مسلمة وهندوسية فإن كثيرا من التوتر والمشاكل قد قامت بسبب المشاكل بين الهندوس والمسلمين في شبه الجزيرة وبسبب التغيرات الإجتماعية التي تحدث مناطق كثيرة من العالم كانت تعتمد على غيرها .

وأما شامريت نفسها فقد كانت جزءا من دولة شبه مستقلة هي حيدر اباد ولم تتأثر كثيرا بالحكم الانجليزى أو بحركة الاستقلال الوطنية ، وبالذات أثر غاندى وحزب المؤتمر . وأكثر الحركات السياسية أهمية هي حركة القضاء على الإقطاع الزراعى فى عام ١٩٤٨ ، حين أصبحت حيدر اباد جزءا من الاتحاد الفيدرالى وانتهى تميز المسلمين فيها ، وأصبح الناس يتقبلون مظاهر التغير فى الحكم وفى أنشطة الرخاء وبرامج التنمية الزراعية فى شامريت .

وفى عام ١٩٥١ ذهب الناس للانتخابات لأول مرة فى التاريخ . وذلك ليعتاروا ممثلهم فى البرلمان الوطنى والهيئة التشريعية .

ولقد تحسن الإتصال بالمدينة فى الأعوام الأخيرة - فبالإضافة للعربات التي تجرها الثيران هناك سيارة فورد موديل ١٩٢٨ يملكها رئيس القرية ، وعشر دراجات وأتوبيسات . ورأى الناس السينما والسيرك فى المدينة . ويملك الناس الفوتوجراف وهناك جهاز راديو حديث . والشباب يرتدى الزى الأوروبى الحديث . كما يملك بعض الناس أفلام الخبر والنظارات الشمسية والأمواس الحديثة والكشافات .

وتصاحب هذه التغيرات الملموسة بعض المبتكرات الاقتصادية الخالصة . فالثياب المنسوجة على الآلات مثل محمل النسيج المحلى . فنادرا ما ترى الناس يعملون بالنسيج الذى كان فى الماضى هو النشاط الوحيد لقضاء وقت الفراغ .

ويستعمل الحسلا قون والنيهارون والحدادون والصاغة الآلات الحديثة . وهذا يستدعي كثيرا من المال وما أدى إلى زيادة الفلاحين لنشاطهم وبيعهم المحصول بالتد ، وهم يحاولون زيادة المحصول باستخدام بذور محسنة وسداد كيميائي . ولكن لم يطرأ تغيير كبير على أدوات الزراعة وربما يكون مرجعه إلى ضيق ذات اليد .

والمفاهيم الحديثة للمرض وعلاجه بدأت تغزو المعتقدات القديمة التي كان يؤمن بها أقل قرية شامريت . ومن المؤكد أن معظم الناس لا يزالون يعتقدون أن الكوليرا والجذري سببها الآلهتين ولكنهم لم يعودوا يقدرون هسربا من سيارات التنظيم الحكومية ، وهم يبحثون عن التنظيم بملف بما يعد سابقة غريبة بالنسبة للقرى في جميع أنحاء العالم . فالقرويون في جميع أنحاء العالم لا يزالون يستخدمون السحر والتراتيم والفاقوس الشعبية ضد الأمراض . وأهل شامريت أيضا لم يتخلوا عن هذه الأساليب تماما ، ولكنهم لم يعودوا ينظرون إليها على أنها بديل للعالم ومضادة له ، وعادة فانهم يجربون الأساليب القديمة أولا ثم يلجأون إلى الأساليب العلمية أو يذهبون إلى مستشفيات المدينة حين تفشل الأولى

والنظيم الإجتماعي متمثلا في العلاقات الأمرية والطائفية يتغير تغيرا طفيفا ، وإن كان نظام الطوائف لم ينته بعد . فبعض المهن التي لا يمكن أن تتدرج تحت نظام الطائفة وبعض المرونة الاقتصادية والاجتماعية قد جعلت من الممكن أن يتجاهل بعض الناس قوانين الطوائف الصارمه . ولقد ألغى الدستور الهندي نظام المنبوذين ، ورغم أنه لا يزال موجودا في شامريت فسوف ينتهي منها بالأكيد في القريب .

ولكن الجزئيات البسيطة لنى تعبر عن دخول الحداثة إلى الحياة اليومية في شامربت قليلة حتى الآن ولا تبلغ من الثقل حداً يجعلها تؤثر على البنيان الاجتماعي والعادات الريفية . فلا زال العالم محدوداً بمحدود القرية بالنسبة لأهل شامربت . والتاريخ عندهم هو مجموعة الأساطير الطائفية ، ويبدو أن التقاليد والمؤسسات الاجتماعية يظنون أنها نشأت مع نشأة البشرية على الأرض . والشعور الوطني لا يزال مبهاً لا يعرفونه فلا يكادون يعرفون أسماء المهاتما غاندى وجواهر لال نهرو .

وفي مقابل الأخلاقيات الحديثة للعالم الغربى والننى تسمى إلى السيطرة على الطبيعة ، فإن العنصر الأساسى فى فكر أهل القرية هو تكيف الفرد مع الكون والمجتمع الذى يمثل جزءاً من الكون ، وهذا هو الدارما . وحين يحدث أمر جليل فإنه يعزى إلى القدر لا إلى سبب إيجابى ما ، وكل أشكال العلاقات الفردية والجمعية تتدرج فى نظام تصاعدى . وأكثر هذه الأشكال وضوحاً هو نظام الطائفة ولكن نفس النظام ينسحب على الأشياء والحيوانات وحتى الأفعام . ورغم أن التغييرات الحديثة تخفف من حدة تعصب السيد ضد أحد المنبوذين فإن فكرة السيادة والخضوع لا تزال راسخة بشكل جورى .

ولا تزال المفاهيم الفردية الحديثة عن حقوق الإنسان والمساواة غير مفهومه لدى أهل القرية . فى الخمسينات لو كان لأهل لقصرية أن يماروا بين التقدم والتقاليد لاختراروا التقاليد بطريقة آليه . فالتقاليد هى السبيل الصحيح وأى خروج عنها يعد خروجاً إلى طريق مجهول . ولكن هذه المبادئ النظرية ولعل الخروج عليها ليس ضرورياً من المستحيل . فالأفراد فى شامربت الآن يتقبلون ما تنتجه الحضارة الحديثة ، وكلما زادت سرعه التغييرات فى الهند الحضرية فلسفوف تصبح آثارها أكثر وضوحاً فى شامربت .

أهم مراجع الباب الرابع

- 1 — Coon, C.S., Tribes of the rif, Harvard African studies, Cambridge Vol. 9., 1931
- 2 — ————, North africa, in R. Linton (ed.), Most of the world, New York, 1949.
- 3 — ————, Caravan : The story of the Middle East, New York, 1951.
- 4 — Neakin, B., The Moors, London, 1962.
- 5 — Westermarch, E.A., Ritual and belief in Morocco, London, 1926.
- 1 — Dubø, S.C., indian Village, London, 1955.
- 2 — Hutton, J.H., Caste in andia, Cambridge, 1946.
- 3 — Rawlinson, H.G., india : Ashort cultural history, N.Y., 1938.

رقم الصفحة

مقدمه

البَابُ الْأَوَّلُ

الجماعات البدائية

148-1

٢٦-١	جماعات الاغاف
٥٦-٢٧	الاندامان
٨٤-٥٧	الاسكيمو

ابواب ایضاً

القبايل البدائية

LV-10

۱۱-۸۷	الجيفارو
۱۴۰-۱۱۱	التاموس
۱۷۴-۱۴۱	الشيخين
۲۰۰-۱۷۵	النوير
۲۳۱-۲۰۱	تاهيتي بولينزيا

رقم الصفحة

الباب الثالث

٢٢٣-٢٢٥

الماليك البدائية

٢٦٠-٢٣٥	الكالينجا في جزر الفلبين
٢٨٨-٢٦١	المايا في المكسيك
٣٢٥-٢٨٩	الانكا في بيرو

الباب الرابع

٢٢٧-٢٢٠

جماعات المجتمعات الحديثة

٣٥١-٢٢٩	قرية مراكشية
٢٢٠-٣٥٣	قرية هندية

فهرس الأشكال

رقم الشكل	الموضوع	رقم الصفحة
١	نموذج لكوخ الياغان المخروطى	١٢
٢	مجموعة من الاندامان فى قاربهم المخنور	٢٣
٣	الاحتفال بالزواج عند الاندامان	٤٦
٤	سلوك اللقاء والمقابلة لدى الاندامان	٤٦
٥	الرقص لدى الاندامان	٤٧
٦	اسكيمو يحفر قطعة من الصخر بواسطة مخراز النخ	٦٢
٧	أحد الاسكيمو يجلس فى خيمته	٦٩
٨	سيده من الاسكيمو تحمل طفلها	٧٥
٩	النانجوس فى سيبيريا	١٢٢
١٠	الشين هنود سهول امريكا الشمالية	١٥٤
١١	أحد أطفال هنود سهول امريكا الشمالية	١٦٣
١٢	النووير	١٧٩
١٣	فتاة من بولنيزيا	٢١٣
١٤	شاب من كاليانجا	٢٥٩
١٥	كوخ السكاليانجا	٢٦٠
١٦	أحد اهرامات المايا فى يوكاتان	٢٦٦
١٧	سيده من المايا	٢٦٩
١٨	مجموعة من نساء الانكا	٢٩٧
١٩	الكيبو Quipu	٣٠٩
٢٠	قرية المديونه	٣٣٥
٢١	ملابس العلاج	٢٤١
٢٢	مغربي من قرية المديونه	٢٤١

مكتبة الإشعاع

الجماعات البدائية

* جماعات الياغان

* الاندامان

* الاسكيمو

القبائل البدائية

* الجيفارو

* النانجوس

* الشين

* النوير

* تاهيتى بولينزيا

الممالك البدائية

* الكالينجا فى جزر الفلبين

جماعات المجتمعات الحديثة

* قرية مراكشبة

* قرية هندية

* * * * *

الإشعاع alesh'a

الناشر : مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والتوزيع، المنتزة - أبراج مصر للتعمير رقم ١٤ ٥٤٧٥٤٩١

المطابع، المعمورة البلد - بحري - شارع ٢٦٨ ٥٦٠٠٤٧٩ إسكندرية